الجمهوريّة الجزائريّة الدّيموقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة باتنة-1- الحاج لخضر

كلّية اللّغة والأدب العربيّ والفنون

قسم اللّغة والأدب العربيّ

آليّاتُ الحِجاج
في الخطابِ الأدبيّ عند المُعتَزِلة

أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في: اللّسانيّات.

إعداد الطّالب:

ميلود نزّار

إشراف الأستاذ الدكتور:

السّعيد هادف.

أعضاءُ لجنة المناقَشة

الاسم واللّقب	الرّتبة	الجامعة	الصّفة
السّعيد بن إبراهيم	أستاذ التّعليم العالي	جامعة باتنة1، الحاج لخضر	رئيسًا
السّعيد هادف	أستاذ التّعليم العاليّ	جامعة باتنة1، الحاج لخضر	مُشرفًا ومقرِّرًا
خليفة صحراوي	أستاذ التّعليم العالي	جامعة عنّابة	عضوًا
ابتسام بن خرّاف	أستاذ محاضر	جامعة باتنة1، الحاج لخضر	عضوًا
الأمين ملاّوي	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	عضوًا
صوريّة جغبوب	أستاذ محاضر	جامعة خنشلة	عضوًا

السّنة الجامعيّة: 1438-1439هـ الموافق لـ 2017-2018م

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيموقراطيّة الشَّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة باتنة-1- الحاج لخضر

كلّية اللّغة والأدب العربيّ والفنون قسم اللّغة والأدب العربيّ

آليّاتُ الحِجاج
في الخطابِ الأدبيّ عند المُعتَزِلة

أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في: اللّسانيّات.

إعداد الطّالب: إشراف الأستاذ الدكتور:

ميلود نزّار السّعيد هادف.

أعضاءُ لجنة المناقَشة

الاسم واللّقب	الرّتبة	الجامعة	الصّفة
السّعيد بن إبراهيم	أستاذ التّعليم العالي	جامعة باتنة1، الحاج لخضر	رئيسًا
السّعيد هادف	أستاذ التّعليم العاليّ	جامعة باتنة1، الحاج لخضر	مُشرفًا ومقرِّرًا
خليفة صحراوي	أستاذ التّعليم العالي	جامعة عنّابة	عضوًا
ابتسام بن خرّاف	أستاذ محاضر	جامعة باتنة1، الحاج لخضر	عضوًا
الأمين ملاّوي	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	عضوًا
صوريّة جغبوب	أستاذ محاضر	جامعة خنشلة	عضوًا

السَّنة الجامعيّة: 1438-1439هـ الموافق لـ 2017-2018م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

شُكر

لا يفوتني قبل أن أقدِّم أطروحتي بين يدي القارئ، أن أَختصَّ أستاذي المشرِف البروفيسور "**السَّعيد هادف**" بأسمى ما يقتضيه مقامُه في مسيرتي العلميّة من عبارات الشّكر والإجزال، لِما أفدتُه من توجيهاته العلميّة ونصائحه الّتي لا ينضب لها معين ولا ينفد لها صبر.

مُقدِّمة

1- أهمِّية الحِجاج في حياة النّاس:

تزايد الاهتمام بالتّواصل والحِجاج في العصر الحديث، مع مطلع النّصف الثّاني من القرن العشرين، ويرجع فضل السّبق في إعادة بعث نظريّة الحِجاج وصياغتها صياغة لسانيّة وعقلانيّة إلى **شايم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتيكا**، من خلال نشر كتابهما المشترَك، والموسوم "مصنّف في الحِجاج-البلاغة الجديدة" عام1958م، ومن الطّريف أن ينشر خلال السّنة نفسها الإنجليزيّ **ستيفن أدلسون تولمين** كتابه "استعمالات الحُجَّة".

ومنذ سنة 1958م، أصبح **شايم بيرلمان** مَعْلَمًا حِجاجيًّا، يُؤرِّخ لنظريّة الحِجاج المعاصرة، وقد تكاثرت البحوث والمؤلّفات والدّراسات حول الحِجاج، منها: **اللّسانيّة**، وتُمثّلها أعمال **أوسفالد ديكرو وجون كلود أنسكومبر**، **والتّداوليَّة-الجدليَّة**، وتُمثّلها مؤلّفات المدرسة الهولنديّة، وروّادها هم **فرانس هانز فان إيمرين وروب غروتندورست وتيون فان دايك**، **والتّداوليّة الإنجازيّة**؛ ونقصد بها إلى نظريّة أفعال الكلام لـ **جون أوستين** وتلميذه **جون سيرل** وما تلاها من دراسات وتطوّرات، **وتحليل الخطاب ونظريّاته**؛ ونُشير هنا إلى أعمال **روث أموسي، باتريك شارودو، جون ميشال أدام، دومينيك مانغنو، جاك موشلار وأن ريبول، كريستيان بلانتين، وكاترين كيربرات أوركيوني**، وغيرهم.

إنّ هذا التّنوّع والتّعدّد في المقاربات ومستوياتها، وآراء الباحثين ومواقفهم، زاد من أهمّية الحِجاج والبحث فيه؛ كيف لا والحِجاج أَدْخَلُ في الحياة اليوميّة بعامّةٍ، فلا تواصل بلا حِجاج، وحيث اللّغة والتّواصل فثمَّ حِجاج؛ أَلاَ ترى أنّ النّاس تتوسّله في تواصلها: يتوسّله رئيس الحِزب للدّفاع عن الحزب وكيانه الإيديولوجيّ، والإمام الّذي يخطب في النّاس يوم الجمعة، والشيخ المفتي في استخراج الأحكام الشّرعيّة وإقناع خصومه في المناظرات، والأستاذ مع طلبته في مدرّجات الجامعة، والقادة العسكريّون يقنعون الجنود بالتّضحية لخوض المعارك الطّاحنة والدّفاع عن الوطن، والصّحفيّ الّذي يكتب مقالا لقرّائه، ومدير

شركةٍ مع مستخدَميه، يحفِّزهم لزيادة الانتاج وتجويده، ويُشِيع روح المنافسة بينهم، و يتوسَّل الحِجاج-على كلّ حال- الشّعراء والسّاسة والدّعاة والتّجّار والفلاسفة والأطبّاء والإعلاميّون، وأنا وأنت أيضا.

وهكذا نُدرِك الأهمِّية البالغة لنظريّة الحِجاج، فبقدر ما يمتلك المترشّح للانتخابات زمام الحُجّة أو الأُحْجوجة بقدر ما ترتفع حظوظه نحو الفوز، والأحجوجة هي سائسة الشّعوب ومبدأ العقائد، بها تتشكَّل التّيارات الفكريّة والتّوجّهات المذهبيّة والطّوائف التَّديُّنيَّة المتصارِعة، ويتقلَّب المعتقِدون من ملّةٍ إلى أخرى، وهي الآمرة والنّاهية في الأسواق، فلا ضير أن تستحيل الأُحْجوجة سلعة.

وكَلامُنا لا يعني أنّ الحِجاج هو: خيرٌ كلُّه ولا شرَّ معه، وهذا ما يزيد من أهمِّية الحِجاج ودراسته تارة أخرى، وخصوصا حين ينطوي على الحُجَج المُزيَّفة والمغالَطات المُغرِضة، تصنعها المخابِر المُتخصِّصة للتّحكّم في عقول النّاس ومنطقهم وإدارة سلوكيَّاتهم، وتوجيههم نحو غاياتٍ مرسومةٍ سلفا، واستغلالهم لصالح جهات معيَّنة، ومن يتأمَّل واقعنا المُعاصر يجده مليئا بالزّيف والمغالَطة والمناوَرة والاستدراج والسُّفسطائيَّة، وحسبُك مثالا ما تُشاهده كلَّ يومٍ في وسائل الإعلام وهي تعرِض الإشهار تلو الإشهار، والخُطب السّياسيّة أثناء الحَمْلات الانتخابيّة، والمناظرات الإيديولوجيّة عبر الفضائيّات...إلخ.

تلك الأهمِّيّة البالِغة لنظريّة الحِجاج وتطبيقاتها في مجالاتٍ حياتيّةٍ عديدة، بالإضافة إلى حداثتها في السِّياق العربيّ المعاصر، حفَّزتنا لبحث هذه النّظريّة وتطبيقها على مدوَّنةٍ تراثيّةٍ مُمَثَّلةٍ في "**رسائل الجاحظ**"، وهو أحد رؤوس المعتزِلة، ولم نجد -في حدود إطِّلاعنا- دراسات سابقة، درست هذه المدوَّنة من منظور نظريّة الحِجاج اللّهمّ دراسة علي محمّد علي سلمان الموسومة:"كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج-رسائله نموذجا"، بيد أنّ منهجنا يختلف عن منهجه.

وقد تضافرت أسباب موضوعيّة وذاتيّة، دفعتنا إلى البحث في نظريّة الحِجاج، وحفّزتنا لدراسة "رسائل الجاحظ"، ونُوجزها فيما يلي:

- **أسباب موضوعيّة:**

1. ندرة الدِّراسات الّتي تناولت تراث المعتزلة بعامّة، ورسائل الجاحظ بخاصَّة.
2. الطّرح النّسقيّ للمعارف العابر للتّخصّصات، وهو ما يظهر في المنهج التّركيبيّ الّذي تتميَّز به المعتزلة، والميادين المعرفيّة الَّتي حوَتها الرَّسائل.
3. تأليف الجاحظ للرَّسائل يكشف عن المخيال الجماعيّ للمعتزلة ووعيّه، ويرقى إلى تأسيس مدرسة فكريّة لها أصولها وقواعدها ومضامينها؛ وحفَّزنا هذا إلى بحث المعتزلة كظاهرة جماعيّة راسخة، خلَّفت نماذج حواريّة وحِجاجيّة وجدليّة متماسكة.
4. الأسس الحواريّة للتّفكير المعتزليّ كـ: الانتصار للعقل والدّليل، والتنقيب العلميّ، الجدل والحِجاج والإقناع، المراجعة والمساءلة والنِّقاش النّقديّ، الانتقاء والتّأويل ونبذ التّعصُّب والعنف، بالإضافة إلى انفتاحهم على معارف عصرهم من أصول مختلفة: يونانيّة وفارسيّة وهنديّة إلى جانب الأصول الإسلاميّة والعربيَّة؛ وجملة هذه الخصائص تُسهِم في تكوين نظريّة حِجاجيّة، وتُسعِف الباحث لتَمَثُّلها وصياغتها.
5. ظهور المعتزِلة في مرحلة تاريخيّة تميّزت بالطّائفيّة التّدينُّيَّة والمذهَبيَّة الفِقهيَّة، والنِّزاعات بين الدِّين والفلسفة، وترجمة كتب الفلسفة اليونانيّة، فحاولوا التَّوفيق بين الإيمان(croire) والمعرفة(savoir)، وبين الدّين والفلسفة؛ ومثل هذه البيئة الثّقافيّة والمعرفيّة تفرِّخ الأفعال الحِجاجيّة وتكاثر خطاباتها وتنوُّع أشكالها ونموها.
6. يمكن للمهتمّ بمعطيّات الحداثة وما بعد الحداثة أن يجد أصولها في تراث المعتزلة، كـ: تعدّد القراءات، التّأويل، تشظِّي المعنى...إلخ.

- **أسباب ذاتيّة:**

من الأسباب الذّاتيّة الّتي تَسهَر على العلاقة الودّيّة بين الباحث والمنهج المعتَمَد والمدوّنات التّراثيّة، نذكر بعضها:

1. ميلنا إلى التّخصّص في: علوم النَّص(textologie) وتحليل الخطاب(l'analyse du discours) والتّداوليّات(pragmatique)، ومتابعة مستجدّاتها الرّاهنة وآفاقها البحثيّة، والإفادة منها لإثراء المكتبة الجامعيّة عندنا.

2. ملينا -أيضا- إلى: دراسة القضايا اللّسانيّة المُركَّبة الّتي تقتضي جهدا علميّا مضاعَفا، يُسهِم في تحصيل الوعي التّركيبيّ والنّقديّ والتقويميّ، التّداوليّ والجدليّ.

3. رغبتنا في معرفة أسرار جماعة المعتزِلة ومنطقهم ولغتهم وتميُّزهم عن الطّوائف الأخرى.

2- مشكلةُ البحث:

وتمثَّلت مشكلة البحث في التّساؤلات الآتية:

- ما طبيعة الحِجاج كممارسة ونظريّة؟.
- كيف استأنَف الغربُ المعاصر القول في نظريّة الحِجاج؟.
- إلى أيّ مدى يمكننا الإفادة من الدّرس الفرونكوفونيّ والأنجلوساكسونيّ في بناء شبكة قرائيّة، تَعِي الآليّات الحِجاجيّة للخِطابات والنّصوص؟.
- قدَّم الغرب المعاصِر نماذِجَ لمقاربة النّصوص والخطابات الحِجاجيّة، وضبط اشتغالها، فحصرت جملةً من الآليّات وهي: **الآليّات الإنجازيّة**(نموذج أفعال الكلام)، **الآليّات التّداوليّة-الجدليّة**(نموذج المدرسة الهولنديّة)، **الآليّات اللّسانيّة**(نموذج ديكرو وأنسكومبر)، **الآليّات الخِطابيّة**(نموذج روث أموسي)، فإلى أيّ مدى يستفيد البحث منها لدراسة المُدوَّنة وتقويمها؟.

▪ كيف صاغ الدّارسون الغربيّون المعاصِرون النّظريّة الحِجاجيّة المعاصِرة؟، وهل مكّنتهم هذه الصِّياغة من بناء نظريّة متوازنة للحِجاج؟، وماهي النّماذج والخِطاطات المُقدَّمة إلى حدّ الآن؟.

▪ إنّ التّحدّي الّذي ترمي الدِّراسة إلى رفعه هو: صياغة نظريّة معتزليّة للحِجاج من خلال المدوَّنة النّصّيّة المُختارَة، واستكشافها من لغة الكتابة وخِطاطاتها الحِجاجيّة الماثِلة في ممارسة الجاحظ لـ الفعل: النَّصّيّ والخِطابيّ، الحِواري والتَّحاوريّ، العَرْضيّ والاعتراضيّ، الحِجاجيّ والإقناعيّ...إلخ.

▪ إنّ تحليلنا للمدوَّنة ليس تحليلا آليّا اسقاطيّا للمفاهيم الغربيّة، فنحن نستأنِس بها، ونفيد منها كلَّما كانت الإفادة مُتاحة وغير مُصطَنَعة، ونأتي الممارَسة النّصّيّة التّراثيّة لتأسيس نظريّة حِجاجيّة معتزليّة، ونسلك سبيلا مختلِفا ومُعاكِسا للمألوف: من الممارسة إلى النّظريّة، من المُضمَر إلى الصَّريح المُعلَن، من اللاّواعي إلى الواعي، فماذا ستقول لنا هذه المدوَّنة المُكتَنِزة؟.

3- خطّة البحث:

وللإجابة عن أسئلة الدِّراسة، بصورة منهجيّة مناسبة، رأينا أن نرسم الخطّة الآتية:

- **العنوان:** آليّاتُ الحِجاج في الخِطاب الأدبيّ عند المُعتزِلة.
- **مقدِّمة:** تحدّثنا فيها عن أهمّيّة الحِجاج، ومشكلة البحث وتساؤلاته، وخطّة البحث ومنهجِه، وأسباب اختيار الموضوع الذّاتيّة والموضوعيّة، وأهمّ المراجع المعتمَدة، والصُّعوبات الّتي واجهت الباحث.

• **مدخل:** عرضنا فيه واقع الدِّراسات الحِجاجيَّة المعاصرة ، وبسطنا أهمّ المحطّات المعرفيّة للنّظريّة، وعرَّفنا الحِجاج عند المتخصِّصين من انتماءات مختلفة، وانتهى هذا المدخل برسم منهج التّحليل الحِجاجيّ وموضوعاته.

• **الفصل الأوّل:** طرحنا فيه مفاهيم الحِجاج في الكتب المُتخصِّصة دون غيرها، وقد تحاشينا أخذ التّعاريف والمفاهيم الحِجاجيّة من المعاجم العامّة ذات اللّغة العادية، فقد ألغينا المدخل المعجميّ غير المتخصِّص في ضبط المفاهيم والمصطلحات، بالإضافة إلى أنّنا طبّقنا نماذج الخِطاطات الحِجاجيّة على المدوَّنة المُختارة، ومنها: نموذج باتريك شارودو على رسالة "في النّابتة" للجاحظ.

• **الفصل الثّاني:** عالجنا فيه الظّواهر الدّرجيّة في اللّغة وعلاقتها بإنشاء السّلالِم الحِجاجيّة، واستفاد البحث من نظريّة التّداوليّات المُدمَجة في اللّسان لـ أوسفالد ديكرو وجون كلود أنسكومبر، وعرَّفنا بالخاصّية الدّرجيّة للّغة، وتظهر في دلالات المفردات، ومعاني الأسوار المنطقيّة واللّغويّة وعلاقتها بالمقصديّة والتّأويل، إلى جانب الرّوابط والعوامل الحِجاجيّة، والمواضع وقوانين السّلّم الحِجاجيّ، وطبّقنا تلك المعطيّات في المستوى التّطبيقيّ لتحليل رسالة"الرّد على النّصارى" وما تحويه من سلالِم حِجاجيّة وظواهر درجيَّة مستغلَّة لغرض الإقناع.

• **الفصل الثّالث:** يبحث الآليّات الحِجاجيّة الإنجازيّة واستكشافها من المدوَّنة المختَارة، وقد استلهمناها من نظريّة أفعال الكلام البسيطة لـ أوستين وسيرل، والمركَّبة لـ كلاوس برينكر وفان دايك وفان إيمرين وروب غروتندورست وكاترين كيربرات أوركيوني وغيرهم من النّصّيّين، وأردفنا هذا العرض النّظريّ بتحليل تطبيقيّ لنماذج مختارة من رسالة "حجج النّبوّة" للجاحظ.

• **الفصل الرّابع:** في هذا الفصل الأخير من البحث المعنون: منطلقات الحِجاج وتقنيّاته، تناولنا فيه نموذج شاييم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، وركّزنا على الستراتيجيّات التّقنية في النّموذج كـ إجراءات الفصل والوصل الحِجاجيّة، وحلّلنا وفقها رسالة "حُجج النّبوّة" للجاحظ.

•**خاتمة:** عرضنا فيها نتائج الدِّراسة المُحقَّقة، والآفاق البحثيّة الّتي تنفتح عليها المدوَّنة والمنهج المُتّبَع.

•**بيبليوغرافيا البحث:** صنَّفنا المصادر والمراجع الأجنبيّة والعربيَّة الَّتي أفدنا منها.

• **فهرس الموضوعات:** رتَّبنا فيه عناصر البحث وموضوعاته وحدّدنا صفحات كل منها.

4- منهجُ البحث:

○ استندنا في طرح معطيّات البحث وموارده منهَجا مركَّبا، فرضته طبيعة الموضوع المُعالَج، كون الحِجاج متعدِّد البنى والأصول المعرفيّة والفعّاليّات القصديَّة، متعدِّدا في تجليّاته ضمن مجالات حياتيّة مختلفة، وهذا الإلحاح الإشكاليّ قادنا إلى أن نعتمِد منهجا مركَّبا من مواردَ معرفيّةٍ عدّة، وهي: **جدليّة**، أخذنا في حسباننا الإطار الجدليّ بين الأنا والآخر، بين فعل العَرْض وفعل الاعتراض، **تداوليّة**، أدرجنا نظريّة أفعال الكلام وتجاوزنا بتحليلنا إطار الجملة التّقليديّ، واستفدنا من الآفاق المعاصِرة لنظريّة أفعال الكلام المركَّبة أو العليا في إطارها النّصّيّ والخِطابيّ، **لسانيّة**، ساعدتنا التّداوليّات المُدمَجة في اللِّسان على فهم الأدوات اللِّسانيّة للحِجاج، **تأصيليّة**، أفدنا من النّظريّة الحِجاجيّة بلغتها الأصليّة بما توفَّر لدينا من مراجعَ أجنبيّة، ساعدتنا على تأصيل المفاهيم العلميّة الرّائجة في التّقاليد الكتابيّة العربيّة.

○ تجنَّبنا الحشو والتِّكرار وتضخيم حجم البحث ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، فلا يجد القارئ معلومات تاريخيّة تطوّريّة غير ضروريّة، لا تخدم موضوع البحث ولا تُجيب

عن أسئلته، إذ إنّ مدار البحث هو: بحث الآليّات عند المتخصِّصة واستخراجها من مدوَّنة تراثيّة فحسب.

○ بخصوص الهوامش، لن يجد القارئ عبارة "**نقلا عن**" مراجع وسيطة، وقد لاحظنا خلال اطّلاعنا على المراجع العربيّة الّتي تبحثُ الحِجاج وتنظِّر له، أنّها تُردِّد نصوصا وأقوالا وآراء لباحثين غربيِّين، وكتاباتُها لا تزال تمهيديّة وذات طابع تجزيئيّ: تقدِّم بعض المفاهيم الحِجاجيّة وتعريفاتها وترجماتها للقارئ العربيّ، دون أن ترقى إلى بناء نظريّة عربيّة للحِجاج، ونستثني بعضا منها.

○ أمّا بخصوص بيبليوغرافيا الرّسالة، ابتعدنا عن تكديس المراجع الثّانويّة، واكتفينا بالإطّلاع عليها لفهم بعض القضايا والمُصطلحات دون إدراجها في قائمة المصادر والمراجع، وأدرجنا في المقابل الكتب والمراجع الّتي استفاد منها البحث استفادة فعليّة فحسب.

○ أوجزنا قدر الإمكان في طرح المفاهيم النّظريّة الّتي يستطيع القارئ أن يتوسَّع لفهمها بالإطّلاع على دراسات غيرنا من الباحثين، وقد قسَّمنا كلّ فصل إلى مستويين: نظريّ وتطبيقيّ.

5- مقاصدُ الدِّراسة:

وتقصِد الدّراسة إلى:

❖ الإسهام في إعداد شبكة قرائيّة تحليليّة وتقويميّة للنّصوص الحِجاجيّة، تفيد من المناهج المعاصرة في توجّهاتها: اللّسانيّة، النّصّيّة، التّداوليّة والجدليّة.

❖ بناء النّماذج الحِجاجيّة للنّصوص من خلال المنجزات النّصّيّة والتّداوليّة المعاصِرة، وتحريرها من الشّكلانيّة الكلاسيكيّة الاختزاليّة ذات الأحكام الجاهزة والمعياريّة المفرطة.

❖ استكشاف الخِطاطات الحِجاجيّة كما مارَسها الجاحظ في كتابة الرّسائل وصياغتها صياغة جدليّة وحِجاجيّة وتفاعليّة، بصورة مباشِرة أو غير مباشِرة، صريحة أو ضمنيّة، واعيّة أو لاواعيّة، وإخراجها من الممارسة إلى النّظريّة.

❖ تحليل "رسائل الجاحظ" ومساءلتها لصياغة نظريّة حِجاجيّة للمعتزِلة.

7- أهمُّ مراجع البحث:

نشير إلى بعض الكتب المُهمَّة الّتي استفاد منها البحث، ونضعها في الجدول التّالي:

ترجمة العنوان إلى العربيّة	عنوان الكتاب titre du livre	المؤلّف Auteur
الصّور النّمطيّة و الكليشيهات.	Stéréotypes et clichés , (1997),2e, 2015.	**Ruth Amossy**
الحِجاج في الخِطاب.	L'argumentation dans le discours, 2009.	**Ruth Amossy**
تقديم الذّات، الإيتوس والهويّة اللّفظيّة.	La présentation de soi, Ethos et identité verbale, 2010.	**Ruth Amossy**
الحِجاج في اللّغة.	L'argumentation dans la langue, (1983),3e, 1997.	**Oswald Ducrot et Jeane Claude Anscombre**
السّلالِم الحِجاجيّة.	Les échèlles argumentatives, 1980.	**Oswald Ducrot**
كلمات الخِطاب.	Les mots de discours, 1980.	**Oswald Ducrot** et **autres**
مُصنّف في الحِجاج، البلاغة الجديدة.	Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique,	**Chaim Perelman** et **Lucie**

Olbrechts tytica		
Chaim Perelman	L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, 2e, 2012.	الإمبراطوريّة البلاغيّة، البلاغة والحِجاج.
Jacques Moschler	Modélisation du dialogue, représentation de l'inférence argumentative,1989.	النّمذجة الحِواريّة، تمثيل الاستدلال الحِجاجيّ.
Jacques Moschler et **Anne Reboul**	Pragmatique du discours, de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours, 2005.	التّداوليّات الخِطابيّة، من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخِطاب.
Jacques Moschler et **Anne Reboul**	Dictionnaire encyclopédique de pragmatique,1994.	القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، 2010، ترجمه مجموعة من الباحثين بإشراف عزّالدّين المجدوب.
Lionel Bellenger	Les techniques d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, 2012.	تقنيات الحِجاج المضمونة، الإقناع بوضوح.
Gisèle Mathieu-castellani	La rhétorique des passions,1e, 2000.	بلاغة النّوازِع.
Frans Hans Van Eemeren et Rob Grotendoorst	A systematic theory of argumentation, the pragma-dialectical approach, 2004.	نظريّة نسقيّة في الحِجاج، المقاربة الذّريعيّة-الجدليّة، 2015، ترجمه عبد المجيد جحفة.

8- صعوباتُ البحث:

واجهتنا صعوبات قبل البحث وأثناءه، منها: لم نحصل على تربُّص علميّ قصير المدى إلاّ في التّسجيل الرّابع من الدّكتوراه، وهو آخر تسجيل يُلزم فيه القانون الباحث بتسليم الرّسالة لمناقشتها، وإلحاحنا على تأصيل المفاهيم العلميّة الأجنبيّة في بيئتها الأصليّة ضاعَفَ من جهدِنا للحصول على الكتاب الأجنبيّ، وما يُرافق هذا من صعوبات التّرجمة وإشكالاتها،

والبحث عن المقابل العربيّ المناسب، ناهيك عن صعوبة موضوع الحِجاج والمنهَج المركَّب الّذي اعتمدناه، وامتداد المدوَّنة المختارَة واتّساعها، ممّا أهاب بنا إلى تحليل نماذجَ عشوائيّة.

مدخل

-واقِع الدِّراسات الحِجاجيَّة المعاصِرة

- **تمهيد**[1]:

عرفت نظرية الحجاج على مرّ العصور مقاربات مختلفة في أسّسها ومرجعيّاتها ومفاهيمها ومقاصدها ومجالاتها التطبيقيّة، فمنها البلاغيّة والمنطقية، ومنها التَّداوليّة والجدليّة وحتّى النَّقدية، ونوجزها فيما يلي:

أوَّلاً- المقارَبات البلاغيَّة لتحليل الحجاج:

1- البلاغة الأرسطيّة كفعل حجاجيّ[2]: ارتبطت البلاغة (الريطوريكا) من حيث هي فعل إقناعي وإفحامي بالخطابة والجدل في الفلسفة الأرسطيّة، وتتكوّن الفعّاليّة الحجاجيّة -حسبها- في إطارها المؤسّساتيّ من ثلاث عوامل وحجج، ويستلزم كلّ واحد منها نمطا أو جنسا مخصوصا من الخطاب، وهي:

---

[1]-الحجاج، كريستيان بلانتين، ترجمة عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، المركز الوطني للتّرجمة، تونس، 2008م، ص17 ومابعدها، وأنظر:

-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, Armond Colin,2010 .p12.

-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سلمان، المؤسَّسة العربيّة للنّشر والتّوزيع، بيروت، 2010، ط1، ص29، 47. -بلاغة الحجّة في خِطاب الخلفاء الرّاشدين، دراسة وصفيّة لنماذج خِطابيّة، هناء حلاسة، مركز الكتاب الأكاديميّ، الأردن، ط1، 2016م، ص40.

-بلاغة الاقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، دار الأمان، الرباط، 2013م،ط1، ص25، 58.-الحِجاج وبناء الخِطاب، في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدّهري، شركة النّشر والتّوزيع المَدارس، الدّار البيضاء، المغرب، 2011م، ط1،ص04، 17.

[2] -voir: l'argumentation, des techniques pour convaincre, Lionel Bellenger, E S F, Paris, 1996, pp5, 11. -Les techniques d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, E S F, France, 2012, pp15, 24. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, Chaim Perlman, librairie philosophie, Paris, 2e, 2012, pp23, 39.

وانظر:

-بلاغة الاقناع في المناظرة،مرجع سابق، ص46، 58.

أ)-الجنس المشاوريّ(الخطبة المشوريّة): تقابلها حجة الإيتوس[1](Ethos) ومجالها المشاورات السياسيّة والبرلمانيّة...

ب)-الجنس القضائيّ(judiciare)(الخطبة المشاجريّة): تناسبها حجة اللوغوس[2](logos) ومجاله المرافعات في المحاكم.

ج)-الجنس التثبيتي(الخطبة التثبيتيّة): تناسبها حجة الباتوس(pathos)[3] وقوامها المدح والذم.

وإلى جانب هذه الحقبة البلاغيّة المؤسِّسة لنظرية الحجاج وفق تصنيف أجناسيّ للخطابات والحجج، فما أن نصل إلى القرون الوسطى والعصر الحديث حتّى:"تضيف المسيحيّة خطاب **الوعظ الديني**، وتضيف القرون الوسطى البعيدة **الجنس التّراسلي**،

---

[1]- الحِجاج وبناء الخِطاب، في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدّهري، مرجع سابق،ص92، 97. وانظر:
-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سلمان، مرجع سابق، ص39، 40.-الذّات محاجَّة في ألف ليلة وليلة، محمّد نجيب العمامي، ضمن كتاب: الحِجاج والاستدلال الحِجاجيّ، دراسات في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ اسماعيلي علوي، دار وَرد الأردنيّة للنّشر والتّوزيع، 2011م، ط1، ص191، 219.-بلاغة الخِطاب الإقناعيّ، نحو تصوّر نسقيّ لبلاغة الخِطاب، حسن المودن، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2014م، ط1، ص287، 310.

[2]- الحِجاج وبناء الخِطاب، في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدّهري، مرجع سابق،ص20، 22. وانظر:
- كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سلمان، مرجع سابق، ص40.

[3] -voir: -la rhétorique des passion, Gisèle Mathieu-Castellani, Presses universitaires de France, 1e, 2000, pp49, 52.

وانظر:
- الحِجاج وبناء الخِطاب، في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدّهري، مرجع سابق، ص138، 143.-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سلمان، مرجع سابق، ص40.

والعهد المعاصر **الإشهار والإعلام الوسائطيّ**، ويطوَّر أيضا **خطاب القرار السّياسيّ** نحو **الدّعاية والإيديولوجيا**"[1].

2- مراحل إنتاج الخطاب الحجاجيّ(الحدث الحجاجيّ واشتغال الحجاج):

إنّ إنتاج الخطاب الحجاجيّ-حسب البلاغة القديمة- يمرّ بخمس مراحل خطيّة لابدّ للمحاجج من احترامها وهي:[2]

أ- الظفر بالحجة(invention)[3]: وهي مرحلة إبداعيّة قائمة على بحث الفكر عن الحجة أوالحجج الوجيهة لدعم القضية المطروحة.

ب- المرحلة النصيّة أو الترتيب(disposition)[4]: بعد الظفر بالحجة أو الحجج تأتي مرحلة ترتيب الحجج وفق سلّميّة خطابيّة تبدأ بالحجج الضّعيفة، وتتدرّج إلى الحجة البالغة؛ حيث تأتي في نهاية الخطاب لإفحام أشدّ الناس تردّدا في اتّخاذ القرار والانخراط في الدعوى.

جـ- مرحلة العبارة(elocution)[5]: وهي مرحلة الصِّياغة الأسلوبيّة للنصّ الحجاجيّ، ويتمّ صبّ الحجج المتوفَّرة في قوالب (كلمات،جمل،نص).

---

[1]-الحجاج، كريستيان بلانتين، مرجع سابق، ص18.

[2]-المرجع نفسه، ص19،18 وانظر:

-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy,op cit, p15.

[3]-قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارت، ترجمة عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م، ط1، ص87، 127.

[4]-المرجع نفسه، ص127، 138.

[5]-نفسه، ص139، 157.

د- **مرحلة الذَّاكرة**(mémoire): يُحفَظ النّص الحجاجيّ المنجَز في الذاكرة، مادام الإلقاء على جمهور حاضر سيكون شفهيّا.

هـ- **مرحلة العمل**(action): وهي المرحلة الأخيرة حيث يكون عمل الخطيب أو المُحاجِج من جنس عمل الممثِّل، لأنّها مرحلة الصّوت والحركة(voix et geste).

هذا، و"يهتمّ تحليل المنتوج ببنية الخطاب كما يُلقى على الجمهور، فالخطاب القضائيّ مثلا يبدأ من غير أن يفاجئ **بمقدمة** (exorde)، ويتواصل سرد الأحداث التي تعرض دوما من جهة أحد الطرفين المعنيّين، ويبني السرد الأحداث التي يعتمد عليها بسط الحجاج متمّما بدحض الخصم؛ وينتهي الخطاب **بنتيجة**(خاتمة الخطبة) تُجمل النقاط الرئيسيّة. ولنلاحظ أنّه لا يوجد تعارض بين السرد والحجاج اللذين يتّجهان معا إلى نفس النتيجة حيث يتمّ إثبات موقف السارد-المحتجّ"[1].

3- البلاغة الجديدة(إعادة التأسيس في الخمسينيّات)[2]:

خلال عام 1958م صدر كتاب:"**مصنّف في الحجاج-البلاغة الجديدة**"لـ(شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا Chaim Perlman et Olbrechts tytica)، وعنوانه الفرعي يحيل

[1]-الحجاج، كريستيان بلانتين،ترجمة عبد القادر المهيري،مرجع سابق، ص19.

[2]-voir: -l'argumentation, des techniques pour convaincre, Lionel Bellenger, op cit, pp11, 15. -traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, chaim Perelman et Lucie Olbrechts tytica, 6e éditions de l'université de Bruxelles, 1992, pp1, 13. -Les techniques d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger,op cit, pp30, 31.

وانظر:

-الحِجاج في التّواصل، فليب بروطون، ترجمة محمّد مشبال وعبد الواحد التّهامي العلميّ، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، 2013م، ط1، ص22، 23. -الحِجاج في الشّعر العربيّ القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثّاني للهِجرة، بنيتُه وأساليبُه، سامية الدّريدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2008م، ط1، ص21، 22.

إلى تجديد البلاغة القديمة[1]، أي بلاغة أرسطو وبلاغة عصر النهضة، وانطلقا من مفهوم الحِجاج باعتباره ممارسة خاصّة بالمتكلّمين وعلم يدرس هذه الممارَسة، ويحدّدان موضوع الحِجاج بقولهما :"موضوع الحِجاج هو درس تقنيّات الخِطاب الّتي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم"[2]، هذا بخصوص نظريّة الحِجاج.

وأمّا الحِجاج كمُمارَسة وفَعَّاليّة لسانيّة وعقليّة، تأثيريّة وتفاعليّة، فنتبيَّنه من قولهما:"غاية كلّ حِجاج أن يجعل العقول تُذعِن لِما يُطرَح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحِجاج ما وُفِّق في جعل حِدَّة الإذعان تَقوَى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفِّق على الأقلّ في جعل السّامعين مُهيَّئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة"[3]، ونخرج من التّعريفين بالمعطيّات التّالية:

---

[1]-voir: -la rhétorique des passions, Gisèle Mathieu-Castellani, Presses universitaires de France, 1e, 2000, pp11,27.

[2]-voir: -traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique , chaim Perlman et Lucie Olbrechts tytica, op cit, p5

وانظر :

-في نظريّة الحِجاج ، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنّشر والتّوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص13.
الحِجاج في الشّعر العربيّ القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثّاني للهِجرة، بنيتُه وأساليبُه، سامية الدّريدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2008م، ط1، ص21، 22.

[3]-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, p59.

وانظر:

-في نظريّة الحِجاج، عبد اللّة صولة، مرجع سابق، ص13.

- تهتمّ نظريّة الحِجاج بدراسة التِّقنيّات الحِجاجيّة داخل الخِطاب، من حيث هو دعوى أو قضيّة، يطرحها المتكلِّم للنِّقاش وفق أصول وقواعد تكوينيّة متواضَع عليها: لسانيّة، عقليّة، تداوليّة.
- تدرُس الوظيفة الاقتناعيّة(phonction persausive): التّأثيريّة والتّفاعليّة في مستواها الخِطابيّ.
- القصديّة الحِجاجيّة(l'intentionnalité argumentative): يُكوِّن الفعل الحِجاجيّ قصديّته بما يراعيه المتكلِّم المُحاجِج من قصود، وهي:

1- الاقتناع(conviction): يتأرجح المُحاجِج بين فعلين حِجاجيَّين وهما: **الإقناعيّ**؛ وهو فِعلٌ ذاتيٌّ إذا خاطَب الأَخْيلة والعواطف، **والاقتناعيّ**؛ وهو فِعلٌ موضوعيٌّ إلى حدٍّ ما إذا خاطَب العقل، ويقصد **بيرلمان وتيتيكا** إلى الثّاني كاختيار حرٍّ ونزيه.

2- النّجاعة(l'éfficacité): تتمثَّل في أن يُفعِّل المُتكلِّم المُحاجُ كفاءته الحِجاجيّة لرفع درجة الاقتناع(الإذعان والتّسليم) لدى مستمِعيه كجمهور كونيّ أو خاصّ، ويتعلَّق مبدأ النّجاعة بشرط التّزامُن؛ أي أنّ النّجاعة الحِجاجيّة تعني: الاقتناع في اللَّحظة المناسِبة.

3- الإنجازيَّة: يقصِد المُحاجِجُ إلى أن يبعث في مُخاطَبه الرّغبة في العمل أو الإحجام عنه؛ وهما مؤشِّران على الوظيفة التَّفاعليّة الاقتناعيّة(conviction).

- يستمِدُّ الحِجاجُ وجوده من اختلاف الآراء وتعدُّد المواقف ومقام مخصوص وجمهور بعينه.

ومن الجدير بالإلماع أنّه في السّنة نفسها(1958م) ظهر كتاب :"**استعمالات الحجة** les usages de l'argument "لـ:س.أ.تولمين Stephen, E, Toulmin"[1]، وترمي الدِّراستان

[1] -voir: -Les techniques d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, pp31.

إلى صياغة نظرية حجاجيّة عقلانيّة ضمن إطار مؤسّساتي؛ إذ تركّز على الممارسة القضائيّة مثلا، وبعدهما بعامين(1960) أصدر (هـ.لوسبارغ Heinrich Lausberg) موسوعته البلاغيّة الشاملة وسمّاها: Handbuch der literarishem rhetorik.

ثانيّاً- المقارَبات المنطقيّة لتحليل الحجاج:

1- نقد الحِجاج المغالطيّ والمنطق غير الشكليّ[1]:

ازدهر في أمريكا منذ 1970م المنطق غير الشكلي(informal logic) المقابل للمنطق الرّياضي الصّوريّ، وأسّس أصحابه منهجا تحليليّا نقديّا للخطابات والحجج؛ ولهذا يُدعى في أمريكا بالتفكير النقديّ(critical thinking)، ويهدف إلى تنمية مهارات الأفراد لتحليل الحجج ونقدها، ويتساءل أصحابه عن طبيعة الحجة وبنيتها: ما طبيعة الحجة؟ وعن المعايّير التي تضمن نجاعتها:ماهي الحجة الجيّدة؟ وعن أنواع المغالطات(paralogisme): ماهي الحجة المغالطيّة؟ وماهي أنماطها؟، وهذا الاهتمام بالمغالطيّات تقليد يرجع إلى أرسطو في التبكيتات السُّفسطائية(refutations sophistiques).[2] وقد درس الفيلسوف والمنطقي الأستراليّ (ك.ل.همبلان Charles Leonard Hamblin) مفهوم الحجة المغالطيّة وأرّخ لتطوّراتها منذ أرسطو حتّى زماننا، وحسب همبلان فالمغالَطة هي: ليست حجّة وجيهة وإنّما تظهر كذلك، وتقابل الحجّة المُغالِطة مصطلح الحجّة السّفسطائيّة الّتي عرّفها أرسطو، وتنبع أصالة التّحليل الحِجاجيّ لدى همبلان من مفهومه لِوَجاهة الحجَّة، ولهذا فالحجاج لا هو حقيقة ولا هو رابط منطقيّ بين المقدِّمات والنّتيجة، وإنّما هو مسألة اعتقاديّة إيمانيّة؛

[1] -voir: -Les techniques d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, pp33, 34.

[2]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p23.

وبالتّالي فالمقدِّمات تكون مقبولة من طرف المستمع(auditoir) والحجَّة وجيهة، والمثلث الحِجاجيّ(المقدِّمات، النتيجة، وإجراء الاستدلال الحِجاجيّ) مقبولا[1].

ويُمثِّل همبلان للاستدلال الحِجاجيّ بالمثالين التّاليين[2]:

أ-عندما تكون لديَّ حمَّى، يُؤلِمني رأسي، وطالما أنّ رأسي لا يُؤلِمني، إذن فأنا لستُ محموماً.

ب-عندما تكون لديَّ حُمَّى، يُؤلِمني رأسي، وطالما رأسي يُؤلِمني، إذن فأنا محمومٌ.

هذا الاستدلال الحِجاجيّ غير وجيه (invalide)؛ لأنّ هناك أسبابٌ أخرى يمكن أن تسبِّب الألم في الرّأس غير الحمَّى؛ مثل: إدمان شرب الخمر والسّجائر، الحمّى...إلخ.

وقد سمّى مصنَّفه :"**الحِجاج المغالطيّ fallacies**"، وهو كتاب مرجعيّ في درس المغالطات للفلاسفة واللّسانيّين، وممارسة تحليليّة نقديّة لأصناف الحجج بمنهجيّة جدليّة ونسقيّة، تشتغل وفق قواعد وضعيّة سابقة للاستعمال[3].

2- منطق اللّغة الطبيعيّ[4] (جون بليز غريز):

---

[1]-voir: -Les techniques d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p32, 33.

[2]-voir: -Les techniques d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance,op cit , p33.

[3]-الحجاج، كريستيان بلانتين، ترجمة عبد القادر المهيري،مرجع سابق، ص23.

[4] -voir: -Les techniques d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, pp33, 34.

وانظر:

-تاريخ النّظريّات الحِجاجيّة، فيليب بروتون وجيل جوتييه، ترجمة محمّد صالح ناحي الغامدي، مركز النّشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011م،ص97، 99.

تطوّر منطق اللّغة الطبيعيّ بأعمال (ميايفيل D, Mieville و ج، بورال M, J, Borel). وجون بليز غريز (Jean Blaise Grise، **المنطق واللغة** logique et langage، 1990م) ومركزه المتخصّص في البحث السِّيميائيّ التابع لجامعة نوفتشتال(neufchatel)، مع نهاية السّتينات من القرن العشرين، فقد وضع نموذجا للحِجاج في اللّغة الطبيعيّة مقابل المنطق الشّكليّ، ويعقد مقارنة بين لغة المنطق الرياضيّ(اللّغة الصوريّة) حيث دور المتكلِّم (sujet enonciateur) يكون غائبا، أمّا في اللّغة الطبيعيّة فإنّنا نحتاج،على الأقل، لمتكلّمين(deux sujets) في وضعيّة التّفاعل (interlocution) والتّواصل (communication) في سياق إجتماعيّ.

ويرى **جون غريز** أنّ: الحِجاج جملة من السَّتراتيجيّات الخِطابيّة للمتكلّم (orateur) **"A"** الَّذي يتوجّه إلى مستمع (auditeur)**"B"** قصد تغيّير حكمه على وضعيّة **"S"**، غير أنّه لم يضع في حسبانه التَّوظيف الخِطابيّ للتَّفاعل الحِجاجيّ، ولكن اهتمّ بالسَّتراتيجيّات الشفهيّة والعمليات المنطقيّة-الخِطابيّة، وكان يسعى إلى عقلنة الحياة الاجتماعيّة.[1]

ثالثاً- المقارَبات التّداوليّة لتحليل الحِجاج[2]:

تُعرف التَّداوليّة بأنَّها علم يدرس اللّغة في الاستعمال، وقد أثْرت المفاهيم العلميّة التَّداوليّة نظريّة الحِجاج وتطبيقاتها على أصناف الخِطابات والنّصوص، وخصوصا نظريّة

---

[1]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy,op cit , pp25, 26.

وانظر:

-البلاغة الجديدة بين التّخيّيل والتّداول، محمد العمري، إفريقيا الشّرق، المغرب، 2005م، ص215.

[2]-voir: -Les techniques d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, pp34, 38.

وانظر:

-الحِجاج في الشّعر العربيّ القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثّاني للهِجرة، بنيتُه وأساليبُه، سامية الدّريدي، مرجع سابق، ص16، 20.

أفعال الكلام[1] (النظريّة الانجازيّة) لـ جون أوستين (J, Austin)؛ من خلال كتابه **"كيف تصنع الأشياء بالكلمات** Quand dire c'est faire،1962)، وجون سيرل (J, Searle) في مؤلفه:"**أعمال اللّغة** les actes de langage "(1969)، واستند سيرل إلى نظريّة المحادثة لـ"بول غرايس paul Grice" في مؤلفه :"**المنطق والمحادثة** 1975"؛ واتّخذ من أصناف الحِجاج في الحوارات اليوميّة الشّائعة ولغتها العادية موضوعا له بدل الإطار المؤسّساتي. ولقد تفرّعت التّداوليّات إلى اتّجاهات بحثيّة ومنها:

1- التّداوليّات المُدمَجة في اللّسان[2]:

ترجع أصول هذا الاتّجاه التّداوليّ إلى أعمال اللّسانيّ الفرنسي (أوسفالد ديكرو Oswald Ducrot) وصاحبه (جون كلود أنسكومبر J, C, Anscombre) في مؤلّفهما:"**الحجاج في اللّسان** l'argumentation dans la langue 1983م)؛ ومع هذا الاتّجاه أصبح مفهوم الحِجاج وظيفة أساسيّة في اللّغة، وبالتالي فهو موضوع: **لسانيّات اللّسان.**

فحين نصف خطابا ما بالحِجاجيّة(argumentativité)، فهذا يعني –حسبهما- أنّه يحتوي ملفوظين اثنين على الأقل:الأول(م1، E1) حجَّة والثاني(م2، E2) نتيجة، ويقدم لنا المثال التالي:

---

[1]-les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Catherine Kerabrat-Orecchioni, Armand Colin, Paris, 2014, pp8, 38.

[2]-voir: -l'argumentation dans la langue, Jean Claude Anscombre et Oswald Ducrot, 3e,Pierre Mardaga éditeur, 1997, France,pp15, 49.-L'argumentation dans la langue, Jean-Claude Ancombre et Oswald Ducrot, langages, Juin1976, argumentation et discours scientifique, sous la direction de Laurent Danon-Boileau,n042, Larousse,pp5, 27.

وانظر:

-الحِجاج في الشّعر العربيّ القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثّاني للهِجرة، بنيتُه وأساليبُه، سامية الدّريدي، مرجع سابق، ص22، 24.

مثال: الجوّ جميل، لنخرج؛ فالملفوظ الأول(الجوّ جميل= حجَّة) والملفوظ الثَّاني(لنخرج= نتيجة)؛ حيث تكون العلاقة الحجاجيّة بينهما: علاقة تبريرjustifier إسناد imposer، ترخيص autoriser.[1]

فرضت أعمال **ديكرو وأنسكومبر** تصوّرا مختلفا لمفهوم الحِجاج كدراسة للموجّهات الدّلاليّة وتسلسل الملفوظات، فقد احتوت أعمالهما محاولتين لإعادة الإدماج وهما:

أ- إدماج "المكوّن البلاغيّ" في أنموذجهما المستلهَم من التَّداوليّات (pragmatique).

ب- إعادة تخصيص وتعريف "مفهوم الحجاج" في مجال التّداوليّات الدّلاليّة (pragmatico-semantique)[2]، لجأ ديكرو (Ducrot) في أنموذجه الدّلاليّ إلى مفهوم"المكوّن البلاغيّ" قصد تعيّين معنى الملفوظ في السّياق (المقام) إلى جانب "المكوّن الدّلاليّ" أو دلالة العبارة في اللّغة، فـ"المكوّن البلاغيّ وظيفته منح دلالة E أَ بالنسبة إلى أ، والظروف x الّتي لُفِظ فيها أ وترقّب الدّلالة العمليّة لـ أ في السياقx"[3].

مثال:-أنا تعبان je suis fatigué .

في الملفوظ السّابق الدّلالة الأوّليّة أَ دلالة حرفيّة وثابتة لا تتغيّر، وتتعلّق بالعبارة (la proposition)، ولكن للملفوظ معاني متعدّدة ومتغيّرة حسب ما يقتضيه سياق التّلفّظ، فمعناه حين تنطق به مريضة، تجيب طبيبها عن سؤاله إيّاها عن حالتها الصّحيّة مختلف عمّا إذا نطق به صديق، يعتذر لصديقه عن عدم تلبية طلبه للذّهاب إلى السّينما مثلا، ولنلاحظ أنّ "المكوّن البلاغيّ" الميتا-لغوي يُسهِم في الوصف الدّلاليّ للّغات

[1]-voir: -l'argumentation dans la langue, Jean Claude Anscombre et Oswald Ducrot ,op cit , France, p163.

[2]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy ,op cit, p32.

[3]-voir: -ibid , pp32,33.

الطّبيعيّة، ويعرّفنا بأهمّية "ظروف التّلفّظ" التي تدخل في اللّعبة الدّلاليّة، وتفسير المعنى الواقعيّ للورود الخاصّ لملفوظ معيّن إلى جانب الدّلالة الحرفيّة المتاحة؛ ولهذا فقوانين "المكوّن البلاغيّ" مبرَّرة بالظروف التّفاعليَّة وانفراد عملها في الوصف الدّلاليّ عن المكوِّن الدَّلاليّ[1]، وترى روث أموسي (Ruth Amossy) أنّ:" البلاغة (rhétorique) تعيّن المعنى الّذي يتّخذه الملفوظ في السِّياق؛ فهي مرادفة للتَّداوليّات (pragmatique)"[2]، ويكشف هذا الأنموذج التّداوليّ المعاصر-في إطار بحثه حول معنى الملفوظات (énoncés)- عن مدى الإهمال الّذي أصاب البلاغة بالمفهوم الأرسطيّ (دراسة وسائل الإقناع).

ويرى **ديكرو وأنسكومبر** أنّ الحِجاج: ليس جملة من السَّتراتيجيَّات اللّفظيّة الَّتي تهدف إلى الإقناع بل ينحصر في أنّه: سلسلة من الملفوظات المؤدّية إلى خاتمة مؤكّدة؛ فالمتكلّم يُحاجِج عندما يقدّم الملفوظ (E1) أو جملة من الملفوظات كموجِّه لتبرير آخر (E2) أو سلسلة من الملفوظات الأخرى[3].

إنّ المبدأ الأصيل في نظريَّة ديكرو"**الحِجاج في اللّسان**" يعتبر أنّ الحِجاج: واقعة لغويّة وليس واقعة خطابيّة، وفي إطار التّداوليّات المُدمَجة (دمج التَّداوليّات في الدَّلاليَّات)، ف" معنى لفظ ما يشمل، كجزء مُدمَج وبنائيّ (constitutive)، هذا الشّكل من التّأثير الّذي ندعوه القوة الحِجاجيّة، المدلول لملفوظ ما هو: **التَّوجيه**"[4]، وكل ملفوظ يوجّه، إذن، نحو خاتمة مؤكّدة، وهذا التّوجيه هو جزء من المعنى، إنّ استعمال ملفوظ ما -حسب ديكرو

[1]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p33.

[2]-voir: -ibid, p33.

[3]-voir: -ibid, pp33,34.

[4]-voir: -ibid, p34.

وأنسكومبر- له هدف لا يقلّ أهمّية من الإخبار حول تحقّق شروطه الصِّدقيّة، وهذا الهدف يوجِّه المرسَل إليه نحو خاتمة مؤكَّدة.

هذا الإطار التّحليليّ قاد التّداوليّين إلى استدعاء مفهوم "المواضع topoi" من البلاغة الكلاسيكيّة؛ والمواضع هي: المبادئ العامّة التي ترتكز على الاستدلالات، ولكنّها ليست استدلالات، نحو قول القائل: الجو حارّ، هيّا نتنزّه؛ فالطوبوس(topos) حسبه: الحرارة ملائمة للتّنزّه[1].

لقد دمج ديكرو -إذن- البعد البلاغيّ في الدّراسة اللّسانيّة، وربط إمكانيّات السّلسلة الحِجاجيّة بدراسة اللّغة، ولم يتركها لبلاغة ميتا-لغويّة (rhétorique métalinguistique)؛ وتلك الإمكانيّات محدَّدة عبر فعل كلاميّ خاصّ هو:"الفعل الحجاجيّ"[2]، وتقول روث أموسي (Ruth Amossy):" استرجعت التّداوليّات المُدمَجة البلاغةَ، هذه النّظريّة التي تُدرِج الحِجاج في اللّغة وتضعه في قلب معنى الملفوظ، وُصِفَت بـ: **الحجاجيّة المُدمَجة**(argumentativité intégrale)"[3]؛ الّتي تستبعد الأساليب الأرسطيّة من مفهوم الحِجاج، من حيث أنّ الحِجاج سلسلة من الملفوظات تقود إلى نتيجة ما، والبحث عن "**الحجاجيّة** argumentativité"[4]يكون في صيغة نظام الخطاب نحو: (الرَّوابط[5] connecteurs، المواضع topoi) والّتي تربط سلسلة الملفوظات، ويضيف ديكرو أنّ: الحِجاج اللّسانيّ لا تربطه علاقة بالحِجاج البلاغيّ؛ وفي هذا الرّأي المثير يطرح

[1]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p34.

[2]-voir: -ibid, p34.

[3]-voir: -ibid, p35.

[4]-أسئلة البلاغة في النّظريّة والتّاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، محمّد العمري، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، 2013م، ص42، 44.

[5] -Modélisation du dialogue, représentation de l'inférence argumentative, Jacques Moeschler, Editions Hermès, Paris, 1989, pp83, 103.

أنّ استعمال رابط مثل "إذن donc" لا يُحدِث أيّ دليل خطابي، والمتكلّم لا يستخدمه في ستراتيجيّاته الحِجاجيّة إلاّ لتحسين ذاته (ethos) بإعطائها هيئة الحِجاج بشكل عقليّ، وينظر **ديكرو** إلى الخِطاب بارتياب؛ وهذا الإطّراح الكلّي للبلاغة بمفهومها التّقليدي الرّاسخ منذ أرسطو، بافتراضاتها ورهاناتها، عمّق خندقا لا يمكن عبوره بين: الحِجاج في اللّغة والحِجاج في الخِطاب، ولا تهتمّ بدراسة الحِجاج بمفهومه التّقليديّ، وفي المقابل تهتمُّ بتحليل: **الموجِّهات الحِجاجيّة** للملفوظات، **والمواضع** الّتي تضمن ضمنيّا تتابعها، **والرّوابط** التي تبرّر هذه التّتابعات نفسها في السّطح[1].

2- الحجاج الخطابيّ وتحليل المحادثة[2]:

وأصحاب هذا الأنموذج هم: دومنيك مانغنو، روث أموسي، باتريك شارودو، ميشيل مايير، بيار أوليرون، كاترين كيربرات أوركيوني، كريستيان بلانتين، جاك موشلار وآن ريبول؛ وعلى سبيل المثال طوّر جاك موشلر(Jacques Moschler) في مؤلفيه:"الحِجاج والتّحادث argumentation et conversation" و"نَمذَجة الحوار: تمثيل الاستدلال الحِجاجيّ" أنموذجاً لسانيّا لتحليل الحِجاج أثناء التّفاعلات اللّغويّة.

ويرجع الفضل في تأسيس هذا الأنموذج إلى جاك موشلار، ودراسة التّفاعلات الحِجاجيّة (interaction) الّتي طوّرها كريستيان بلانتين (Christian Plantin)؛ لقد

[1]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, pp35,36.

[2]-Voir:-Modélisation du dialogue, représentation de l'inférence argumentative, Jacques Moeschler, op cit, pp1, 24. L'argumentation dans le discours, argumenter n'est pas justifier, Marion Carel, langage et société, 1994, n°40, pp61, 81. De la sociocritique à l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, littérature, analyse du discours et sociocritique, présentation: Ruth Amossy, Larousse, décembre2005, n°140, pp56, 71.

مَوْضَعا معا الحِجاج في إطار تحاوريّ (dialogique) من منظور بلاغيّ (perspective rhétorique)، على عكس سلاسل الملفوظات الَّتي لا تهتمّ بإطار التَّفاعل.

يُبرِز تحليل المحادثات (l'analyse de conversation) في كتاب"الحِجاج والمحادثة argumentation et conversation" لـ جاك موشلر، تأثُّرَه بأعمال إريك رولي(Eric Roulet) وجماعة جنيف، فقد اقترح أنموذجا تحليليّا للوقائع الحِجاجيّة والمحادثيّة[1]؛ وحسب **موشلار** فأيّ تفاعل لفظيّ في مكان الإنجاز هو: محادثة، في إطار الحِجاج؛ أي في فضاء بعض الأعمال المُنجَزَة أو النتائج المستَهدَفة، فالمتكلّمون ملزَمُون بالمناقشة(débattre)، بالخسارة أو الربح، بالتَّفاوضِ للوصول إلى الحلِّ أو عدمه، وتثبيت الآراء أو المجادَلة الكلاميّة (polémique)[2]؛ وهذه التَّداوليَّات والحِجاجيَّات الَّتي تندرج ضمن التَّفاعلات اللّفظية (interactions verbales) هي موضوع: **تحليل الخِطاب المحادثيّ**[3]، هذه المقاربة (تحليل المحادثة) تختلف عن الدِّراسات التَّداوليّة الدَّلاليّة الَّتي تشتغل في أمثلة مبنية من أيّ قطعة(خِطاب مثاليّ)، وتتميّز بالارتباط بمدوّنة من المحادثات الحقيقيّة، مستعارة من المناقشات السِّياسيَّة والمحادثات العائليّة حول المائدة...إلخ، وتدرس فيها: **أفعال الحِجاج**[4]، وتُعرَّف هذه الأخيرة (les actes d'argumentation) بأنّها"الأفعال المُنجَزَة بتقديم ملفوظٍ موجَّهٍ إلى خدمة نتيجة مؤكَّدة(une certaine conclusion)"[5].

---

[1]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p36. -Modélisation du dialogue, représentation de l'inférence argumentative, Jacques Moeschler, op cit, pp25, 53.

[2]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p36.

[3]-voir: -ibid, pp36,37.

[4]-voir: -ibid, p37.

[5]-voir: -ibid, p37.

مثال:أ1:تذهب إلى السِّنيما هذا المساء؟.

ب2:لا، عندي عمل.

أ1:تعال على أيّة حال، سيُريحك.

ب2:لا فائدة في الإصرار، أنا مُتعَب أيضا.

والأسئلة التي يطرحها التَّحليل التَّداولي للخطاب الحقيقيّ تتمحور حول: أنماط أفعال الكلام المنجزة، الطَّريقة الَّتي تترابط بها هذه الأفعال، البنية الهرميَّة للمحادَثة، ويفحص في هذا الإطار: طبيعة أفعال الحِجاج وكيف تُنجَز، وكذلك كيف يتدخّل المضمَر الحِجاجي(l'implicite argumentatif) في فهم السَّلاسل الخِطابيّة[1].

ورافعت جويلان مارتل(Guylaine Martel) -في إطار: دراسات مصادر الحِجاج من المعاملات اليوميّة- لصالح **بلاغة اليوميّات** (une rhétorique du quotidien) في الخطاب الشَّفهيّ الَّذي يمتلك نماذج خاصّة (أيضا: هجر أو انتعاش بعض الحُجج)، وتبحث (جويلان مارتل) في المحادثات المجموعة في الكيبيك(Québec) من المُخبِرين، عناصر **بلاغة طبيعيّة** كمقابل **للبلاغة العالِمة** (rhétorique savante)، وتكتشف في التّفاعلات اليوميّة -أيضا- خِطاطات حِجاجيّة معقّدة (schémas argumentatifs complexes)، إلى جانب صيغ التَّنظيم الخاصة لمتكلّم ما[2].

أخذت دراسات البعد الحجاجيّ للمحادثات الحقيقيّة وتحليل التَّفاعلات اليوميّة تتزايد أهمّيتها، مع مطلع الثمانينات من القرن العشرين في أمريكا وفرنسا، ونأخذ في هذا السِّياق صيغة **جون غمبرز**(Gumprez)"**الكلام هو تفاعل** (parler c'est interagir)"،

[1]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p37.

[2]-voir: -ibid, p37.

وتُعلّق كاترين كيربرات أوركيوني (Catherine Kerabrat-Oreccioni) بقولها: ببساطة تدلّ ممارسة الكلام من قبل عدد من المشاركين الَّذين يشتركون في ممارسة، باستمرار، البعض على الآخرين، شبكة من التأثيرات المتبادلة؛ الكلام هو التَّغيِّير، والتَّغيِّير في التّفاعل[1].

هذا التّحليل للمحادثة في التّفاعلات اليوميّة[2] موروث من أعمال الأمريكيّين: كدراسة طقوس التّفاعل (كالاعتذار والشكر والكياسة) الّتي تحفظ تناغم العلاقة وتتدخّل لتحيّيد الاعتراض وخفض طاقته الخلافيّة، إنّه تحليل تجريبيّ يشتغل في المعطيات المجموعة من الميدان؛ أي المحادثات الحقيقيّة، وقد تطوّرت دراسة التّفاعل الحجاجيّ عند البعض أمثال: كريستيان بلانتين الّذي حاول وضع أنموذج لتحليل المحادثة التّفاعليّة[3]، ومن أجل تفاعل حجاجيّ يجب -حسب كريستيان بلانتين- أن تكون وضعيّة مواجَهة (مقابلة) حول نقطة ما[4]؛ **والوضعيّة الحِجاجيّة** هي"أيُّ وضعيّة لغويّة، يكتب بلانتين، تبدأ في أن تصبح حِجاجيّة عندما يظهر فيها معارَضة خِطابيّة، مونولوجان متجاوران ومتعارضان، دون تلميح الواحد إلى الآخر، يشكّلان لوحا مزدوجا حجاجيّا؛ إنّه بلا شكّ الشّكل الحِجاجيّ القاعديّ: كلّ واحد يردِّد موقفه، ويكون التّواصل حِجاجيّا تماما عندما يُستشكَل هذا الاختلاف في سؤال، بحيث تنبثق بوضوح الأدوار الثّلاثة: العارِض، المُعترِض وثالث"[5]، ويضيف بلانتين أنّ: الوضعيّة الّتي يُولَد فيها الحِجاج مبنية

[1]-voir: - l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p38.

[2]-voir: -les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Catherine Kerabrat-Orecchionie, Armond Colin, 2014, Paris, pp53, 80.

[3]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p38.

[4]-voir: -ibid, p38.

[5]-voir: -ibid, p39.

على السّؤال البلاغيّ (question rhétorique) الّذي تترتّب عليه أجوبة خلافيّة ومتعارِضة.[1]

يهتمّ هذا الموقف بمعرفة "**درجات الحِجاجيّة**"(degrés d'argumentativité) في إدارة النّزاعات، وبعض أشكال التّفاعل موجَّهة لبحث **الإجماع** في حلّ النِّزاعات (كـ: المفاوَضة، المصالَحة...إلخ)، والأشكال الأخرى موجَّهة لعرض وتضخيم **الخلافات** (كـ: المناقشة السِّياسيّة، المناقشة الجدليّة، المناقشة بين الطوائف الدينيّة..إلخ)، ويتعلّق الأمر في تلك الحالات كلِّها بالدّخول في التَّفاوض مع الشّريك، وبعد ذلك يمكن تغيّير النّتيجة[2]، والتّحليل المحادثي يدرس مدوّنة مباشرة من: المناقَشات، المقابَلات، المواجَهات الجدليَّة، الحوارات العاديّة والرّقميّة، حيث يكون التّفاعل مباشر بين المتكلّمين[3].

3- التّداوليّات الاجتماعيَّة والفلسفيّة لـ"الفعل التَّواصليّ":

ارتبط تأسيس هذا الاتجاه بالفيلسوف الألمانيّ هابرماس[4] (J, Habermas) صاحب:"**نظرية الحجاج التّواصليّ** théorie de l'agir communicationnel, 1981م) حيث مزج بين **الحجاج وأخلاقيّات التواصل**.

4- المنطق التَّداوليّ(جورج فينيو):

[1]-voir: - l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, pp41.42.

[2]-voir; -ibid, p39.

[3]-voir: -ibid, pp39,40.

[4]-الحِجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النّقد المعاصر، محمّد سالم محمّد الأمين الطَّلبَة، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، ط1، 2008م، ص177.

سعى هذا الاتجاه إلى الرّبط بين المنطق والتداوليّات فيما عرف بـ:"المنطقيّات الطبيعيّة أو منطق اللغة الطبيعيّ"،ويمثّله (جورج فينيو George Vignaux، **الخطاب صانع العالم**،1998م).

تأثّر **فينيو** بأعمال (جون بليز غريز) وانتقد أرسطو وبيرلمان، حيث وسَّع مفهوم الحِجاج وهاجَم التّمييز المُصطنَع بين: البرهان والحِجاج، وكلّ محاولة للتّمييز بينهما فهي واهمةٌ، وتترتّب عنها أخطاء منهجيّة وعلميّة خطيرة؛ وزعمُ الحِجاجيّين أنّ منطلَق البرهان من المقدّمات الأكيدة، ومنطلَق الحِجاج من المقدِّمات المحتمَلة زعمٌ خاطئ، وكأنّ الحِجاج قاصر وناقص ومَقصيٌّ كلّيّا من الطّبيعة البرهانيّة[1].

ويرى **فينيو** أنّ الحِجاج بمثابة الدِّينامو المُحرِّك لكلّ نشاط فكريّ، سواء أكان بلاغيّا أم جدليّاً أم منطقيّاً، ويردم بذلك الهوَّة المَزعومة طوال مئات السّنين بين الحِجاج والبرهان، على الرّغم من أنّ موضوع الحِجاج يتمثَّل في مشكلة ما، وموضوع البرهان يكمن في قضية ما، يسعى لإثباتها أو نفيها، وما يُوحِّد بينهما أنّ كليهما نشاطٌ استدلاليّ، وكليهما يقبلان الاختزال في أشكالٍ رياضيّة[2].

إنّ ما يُميِّز الحِجاج عن البرهان المنطقيّ هو: تَجسُّده في الخطاب الدّائر بين المتكلِّم والمتلقّي؛ وعلى هذا الأساس يُفرِّق **فينيو** تفريقاً منهجيّاً بين محورين اِثنين وهما[3]:

أ-محور السَّتراتيجيَّات الخِطابيّة المجرَّدة: درس **فينيو** السَّتراتيجيّات الخِطابيّة ليكشف عمّا يُسمِّيه"منطق الحِجاج الخطابيّ"، ويشتغل هذا النّوع من المنطق وفق تمثُّلات المتكلِّم في اتّجاه

---

[1]-تاريخ النّظريّات الحِجاجيّة، فيليب بروتون وجيل جوتييه، ترجمة محمّد صالح ناحي الغامدي، مركز النّشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011م، ص99.

[2]-تاريخ النّظريّات الحِجاجيّة، فيليب بروتون وجيل جوتييه، مرجع سابق، ص100.

[3]-المرجع نفسه، ص100، 101.

مخاطَب معيَّن، وتحكمها القصديّة والمواقف التّواصليّة، ويحرص فينيو على تحليل العمليّات المنطقيّة وطرُق تماسك الحجج ونسقيّتها كالاستنباط ووظائف الحُجج.

ب-محور شروط استخدامها: وتتعلَّق هذه الشّروط بالعمليّات البلاغيّة، من حيث هي طرائق تشكُّل الحجج تشكُّلا أسلوبيّاً وإخراجها؛ أي ما يُسمِّيه فينيو "التّنظيم ordre"، ويُشبِّهه بالإخراج المسرحيّ.

رابعاً- التَّحليل الحِجاجيّ للخطاب (منهجه وموضوعاته)[1]:

إلى جانب الأنموذج المستلهَم من أعمال ديكرو وأنسكومبر، من جهة، والمقاربات التفاعليّة من جهة أخرى، نستطيع أن نحدّد ميدانا في فضاء علوم اللغة يرتكز على تحليل الخطاب من حيث قصديّته وبعده الحجاجيّ، وهكذا فموضوع الحجاج في الخطاب يغذّي نظريّات بلاغيّة، تداوليّة ومنطقيّة، ويمكن إيجازها فيما يلي:

1- **المقاربة اللّغويّة**[2](approche langagière): الحجاج لا يمكن اختزاله في سلسلة من العمليّات المنطقيّة وسيرورة فكريّة؛ إنّه ينبني من تنفيذ الوسائل التي تتيحها اللّغة في مستوى الاختيارات المعجميّة، ونماذج الملفوظ، وسلاسل الملفوظات (الروابط، المواضع حسب ديكرو...)، علامات المضمر...إلخ.

2- **المقاربة التَّواصليّة**[3](approche communicationnelle): يستهدف الحِجاج مستمِعا في سياق تفاعليّ، وبناء حجاجٍ ما لا يمكن فصله عن الوضعيّة التّواصليّة التي يُنتج فيها تأثيره.

---

[1]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth amossy ,op cit, pp40, 41.

[2]-voir:-Modélisation du dialogue, représentation de l'inférence argumentative, Jacques Moeschler, op cit, pp169, 248.

[3]-voir: -les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Catherine Kerabrat-Orecchionie, Armond Colin, 2014, Paris, pp53, 80.

وانظر :

3- **المقاربة التّحاوريّة** (approche dialogique)[1]: يعمل الحجاج على التّصرّف في المستمع، وهو جزء من التفاعل فيما بين المشاركين حتّى عندما يتعلّق بتفاعل افتراضي، حين يغيب الحوار الفعّال.

4- **المقاربة الأنواعيّة** (approche générique): الحجاج دائما هو جزء من نوع الخطاب وشكله، ونوع الخطاب يقرّه المجتمع ويُأسِسه، ويحدّد الأهداف، وأطر الملفوظات وتوزيع أدوار سابقة.

5- **مقاربة الصّور البلاغيّة** (approche figural)[2]: يتوسّل الحجاج المؤثّرات الأسلوبية والصّور البلاغيّة (figures) الّتي لها تأثير على المخاطَب، ويتغذّى من طاقتها الإقناعيّة.

-الصّورة الإشهاريّة، آليّات الإقناع والدّلالة، سعيد بنغراد، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، 2009م، ط1، ص11، 44. وكذا ص107، 143. -الخطاب الحجاجيّ عند ابن تيميّة، عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، مؤسَّسة الانتشار العربيّ، بيروت، 2013م، ط1، ص64، 68. المفاهيم وأشكال التّواصل، تنسيق محمّد مفتاح وأحمد بوحسن، منشورات كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم92، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م، ص11 وما بعدها.

[1]-voir: l'argumentation dans le dialogue, Jean-Michel Adam, langue française, l'argumentation en dialogue, décembre1996, n^{0}112, Larousse, pp31, 49. -Activités argumentatives et élaboration de connaissances nouvelles: le dialogue comme espace d'exploration, Elisabeth Nonnon, langue française, l'argumentation en dialogue, sous la direction de Claudine Garcia-Debanc, décembre1996, n^{0}112, pp67, 87.

وانظر:

-أسئلة البلاغة في النّظريّة والتّاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، محمّد العمري، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، 2013م، ص59، 74. الحِجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النّقد المعاصر، محمّد سالم محمّد الأمين الطّلَبة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، 2008م، ط1، ص117، 127. الحوار وخصائص التّفاعل التواصليّ، دراسة تطبيقيّة في اللّسانيّات التّداوليّة، محمّد نظيف، إفريقيا الشّرق، المغرب، 2010م، ص61 ومابعدها.

[2]-voir: -la rhétorique des passion, Gisèle Mathieu-Castellani, Presses universitaires de France, 1^e, 2000, pp96, 115.et pp148,168.

وانظر:

-قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارت، ترجمة عمر أوكان، مرجع سابق، ص159، 199.

6- **المقاربة النصّيّة**[1](approche textuelle): ومفهوم النّص هنا يعني: جملة منسجمة من الملفوظات التي تشكّل الكلّ؛ ومن هذا المنظور يجب أن يدرس الحجاج في مستوى بنيّته النّصّيّة انطلاقا من: إجراءات الربط (liaison) التي تحكم نموَّه، وللقيام بذلك يجب أن نرى كيف تشتغل العمليّات المنطقيّة (القياس المنطقيّsyllogismes، المقارنات analogies، ستراتيجيّات الفصلdissociation والوصلassociation...إلخ) في الإطار المركّب للخطاب في الوضعيّة التواصليّة.

وعليه يستقي التّحليل الحجاجيّ من المقاربات السّابقة الأدوات الإجرائيّة الّتي تتيحها، ويدرس مدوّنة واسعة: تمتدّ من الحديث اليوميّ(conversation quotidienne) إلى النصّ الأدبي مرورا بالخطاب السِّياسيّ ووسائل الإعلام(medias) والانترنيت...إلخ، ويطبِّق إجراءاته على أيّ مقطع من الحوار وفقرة (fragment) من النّصّ، يتجلّى فيهما اتّخاذ موقف من موضوع ما، أو طريقة في فهم العالم، أو إعلان عن الآراء المتعارضة والمواقف المختلفة بشأن قضية ما[2].

خامساً- حدود المدوَّنة المختارَة:

يُمثِّل الخطاب الأدبيّ مجالا تجريبيّا لمنهجنا، ونقصد به: كلّ ما أنتجه المعتزلة من نثر وشعر لغرض الدّفاع عن القرآن ومحمّد صلّى الله عليه وسلَّم، والرّد على مطاعن الأمم الأخرى؛ إلاّ أنّنا اخترنا صنفاً أدبيّاً عُرِف بـ"أدب الرّسائل"، ووقع اختيارنا على ثلاث رسائل من رسائل الجاحظ، واختيارنا للجاحظ ورسائله يُبرِّره مايلي:

[1]-voir: l'argumentation dans le dialogue, Jean-Michel Adam, pp31, 49. -Les avatars rhétoriques d'une forme textuelle: le cas de la discription, Jean-Michel Adam et Sylvie Durrer, langue française, rhétorique et littérature, sous la direction de Michel Meyer, larousse, Septembre1988, n^{0}79, pp5, 23.

[2]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth amossy, op cit, p41.

-**الجاحظ:** يُعدّ خطابُه تتويجاً للفكر الاعتزاليّ وحِجاجه، إلى جانب غزارة إنتاجه الأدبيّ.

-**المدوَّنة:** تمثّلت في ثلاث رسائل للجاحظ وهي:

أ-رسالة في النّابتة: عالج فيها الجاحظ الفِرَق والطوائف والأفكار الّتي نبتت بعد مَقتل عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وتناولها تناولاً حِجاجيّا، سمَح لنا بتحليلها تحليلا حِجاجيّا.

ب-رسالة في الرّد على النّصارى: لاحظ الجاحظ في عصره وما قبله تعلُّقَ العوامّ بالنّصارى، وما أثاره هذا التّعلُّق من مزالق عقديّة وفكريّة بالإضافة إلى الشّبُهات الّتي يُثيرها النّصارى حول القرآن ومحمّد صلى الله عليه وسلَّم، ومُفاخَرتهم للمسلمين ، فكتب هذه الرّسالة تحتوي ردوداً مُهمَّة على النّصارى.

جـ-حجج النّبوّة: تناول فيها الجاحظ موضوع"الأخبار" الّتي جاءت بها الأنبياء وحُجيّتها، وركّز احتجاجَه عليها لإثبات دعوى"نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلَّم".

إنّ هذه الرّسائل مساحةٌ خصبة للدّراسة الحِجاجيّة من جميع جوانبها، ولهذا قمنا بدراستها.

الفصلُ الأوَّل

-الحِجاج ومَنطِقُه

- **تمهيد:**

جرت العادة أن يُختزَل الحجاج -في الحسّ المشترك السّطحي والمخيال الجماعي- إلى: دليل أو جملة من الأدلة التي يقتضيها قول ما، يحمل دعوى قصد دعمها أو تفنيدها، بحيث تغيّر معتقدات المتحاورين ومواقفهم وقناعاتهم وحتى سلوكاتهم إزاء قضية ما، فقول القائل لمحاوره: ماهي حججك؟ يعني بهذا: ماهي براهينك؟، فالحس المشترك السطحيّ في لغته اليومية العادية يساوي بين مصطلحات: الحجاج، البرهان، الدليل.

وأمّا في النظرية الحِجاجيّة المعاصرة فالمفهوم العلمي لمصطلح **الحجاج**، يراد به: العلم الّذي يدرس الخطابات والنّصوص ذات الأبعاد الاقتناعيّة والاقناعيّة، وعلميته تتجلّى في العلوم المعرفيّة (اللّسانيات، المنطق، التّداوليّات) الّتي يستقي منها مادتَه المفهوميّة والمصطلحيّة الّتي تشكّل منهجيّته التّحليليّة والتّركيبيّة، ونورد فيما يلي بعض التّعريفات الواردة في المصنَّفات المتخصِّصة في الحِجاج:

أوَّلاً- الحِجاج عند فيليب برُتون(philippe Breton):

أسّس بروتون نموذَجَه التّحليلي للحِجاج من المنظور التّواصليّ، وحاول الرّبط بين مفهوم الحِجاج ومفهوم التّطويع(manipulation) الّذي يتجاوَز حرّية المستمع في التّلقّي وما يرافقه من فعاليّات عقليّة[1].

[1]-Voir: une dérive néo-sophistique, les pratiques argumentatives dans les débats politiques télévisés, Gwenole Fortin, communication et langages, dialogues politiques: images et miroirs, éditions de Armon Colin, Juin2006, n^{0}148, pp60.

وانظر:

-تاريخ النّظريّات الحِجاجيّة، فيليب بروتون وجيل جوتييه، ترجمة محمّد صالح ناحي الغامدي، مركز النّشر العلميّ، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربيّة السّعوديّة،ط1، 2011م، ص107، 108.

يتحدّد مفهوم الحِجاج عند بروتون من خلال العناصر الآتية[1]:

-الحِجاج يُفيد التّواصل كفعل يُؤدّيه مرسِل ومرسَل إليه ورسالة معيَّنة.

-الحِجاج ليس فعلاً اقناعيّاً قسريّاً، ولهذ الاعتبار فدارسُه يفترض مسبقاً قطيعةَ الحِجاج مع التّطويع والإغراء.

-الحِجاج يعني أيضاً البرهان، لأنّ صاحبَه وهو يقترح رأيّاً على مخاطَبيه، يلزُمه تزويدهم بالأدلَّة الكافية حتّى يقتنعوا برأيه.

هذا، وعلى المحاجِج أن ينحصر داخل إطار أخلاقي ما، وعليه فهو لا يعني إقناع المَحجوج بشتّى الوسائل المُتاحة للتّأثير النّفسيّ عليه وتطويعه، والاستخدام الجيّد للحِجاج يُحدِثُ قطيعةً مع تقنيّات التّأثير القَسريّ كالإشهار التّجاريّ مثلا[2].

ولقد شاعت في البحوث الإعلاميّة والتّواصليّة خطاطة معياريّة لصاحبها شانون (shannon)، تقوم على مثلّث يتشكّل من ثلاثة أقطابٍ، وهي[3]:

المُرسِل ⟵ الرّسالة ⟵ المُرسَل إليه بمفهومه السّلبيّ الخطّي

فهل الحديث عن الحِجاج بالمثلّث نفسه مناسبٌ أم لا؟ ثم ما الجديد الّذي أحدثه بروطون (Breton)؟.

إنّ الغرض من إقامة الخِطاطة التّواصليّة في المجال الإعلاميّ هو: إذاعة الخبر لِمَن يتلقّاه دون أن ينتظر المُذيع رِدَّة فعل من جمهوره، ولهذا فلن تتناسب تلك الخِطاطة مع

[1]-الحِجاج في التّواصل، فيليب بروطون، ترجمة محمّد مشبال و عبد الواحد التّهاميّ العلميّ، الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، القاهرة، ط1، 2013م، ص33.

[2]-المرجع نفسه، ص34.

[3]-نفسه، ص35 وما بعدها.

المثلَّث الحِجاجيّ دون تغيّير؛ فالمُخاطِب المُتواصِل يرمي إلى نقل الأخبار إلى غيره، وأمّا المُخاطِب المُحاجِج يتجاوز نقل الأخبار إلى نقل الآراء وإقناع الآخرين بتبنّيها.

يقترح فيليب بروطون (Breton) الخِطاطة الحِجاجيّة التّالية:

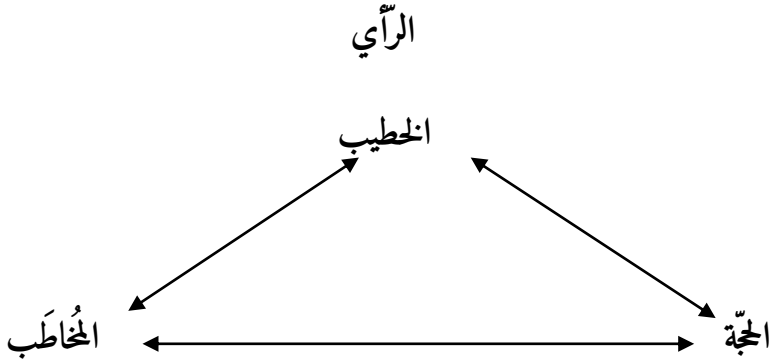

ونشرحها فيما يلي:

أ-رأي الخطيب: يندرج رأيه في مجال المحتمَل؛ وقد يكون رأيّاً يتعلّق بأطروحة أو قضية أو دعوى أو وِجهة نظر...إلخ، ويَحصُل أن يشكّل الخطيب رأيّاً حول موضوع ما، ولا يسعى إلى إلزام الآخرين باعتقاده، أمّا إذا سعى إلى إيصال رأيه إلى غيره عليه أن يُخرِجه إخراجاً حِجاجيّاً، لأنّ الرّأي وحده لا يكفي فهو في ذاته ليس حجّة بالقوّة.

ب-الخطيب: وهو المُحاجِج الّذي يحتجّ إمّا لنفسه، وإمّا لغيره مثل المحامي الّذي يرافع لصالح موكّله.

جـ-الحجّة: وهي الّتي يدافع بها الخطيب عن رأيه أو دعواه؛ وقد يقدّمها الخطيب في صورة: رسالة، كتاب، نص، عبارة، كلام مباشر ...إلخ.

ثانيّاً- الحِجاج عند ستيفن تولمين (Stephen Edelston Toulmin):

قدَّم تولمين(Toulmin) الحِجاج بخِطاطات حِجاجيّة، وهي[1]:

1-الخِطاطة الأولى: تتكوّن من ثلاثة أركان وهي: المُعطى(م) والنّتيجة(ن) والضّامن(ض)، ويرسمه بالشّكل التّالي:

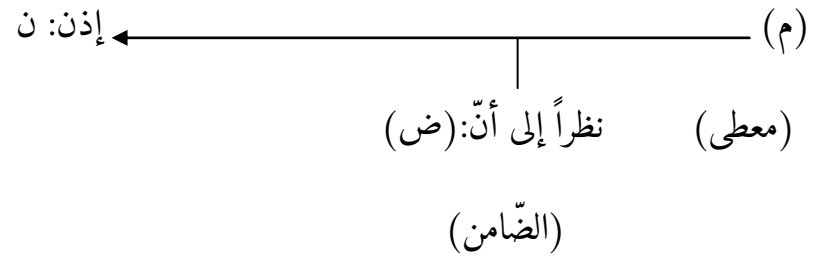

ومثاله:

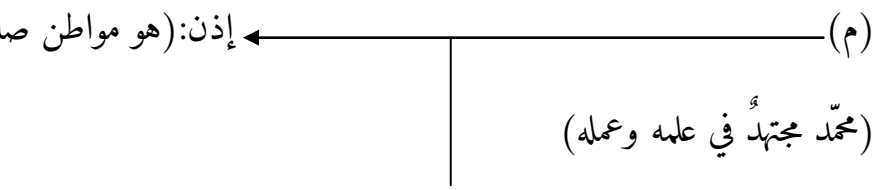

2-الخِطاطة الثّانية: تُضيف هذه الخِطاطة الثّانية عنصرين اثنين إلى الخِطاطة الأولى وهما: عنصر الموجِّه(جـ) وعنصر الاستثناء(س)؛ وهذا الأخير يمثّل شروط رفض الدّعوى المطروحة، وأصبح النّموذج الثّاني للخِطاطة هكذا:

---

[1]-الحِجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2001م، ص22 وما بعدها. وانظر:

-تلقّي الحِجاج في الدّراسات العربيّة المعاصرة، عبد الله صولة أنموذجاً، سعيد العوّادي، ضمن كتاب: الحِجاج والاستدلال الحِجاجيّ، دراسات في البلاغة الجديدة، مجموعة من المؤلّفين، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، دار وَرد الأردنيّة للنّشر والتّوزيع، ط1، 2011، ص271، 272.

-les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p160, 162.

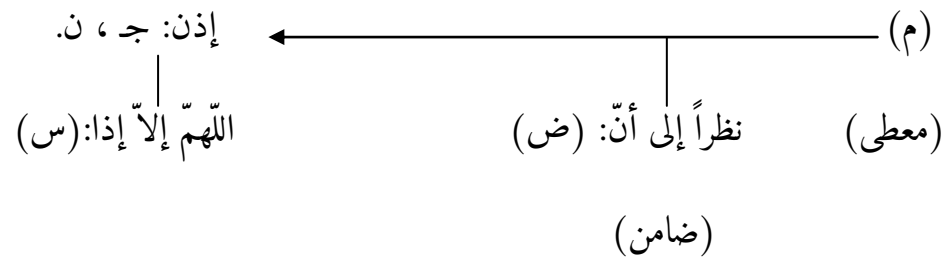

ومثاله:

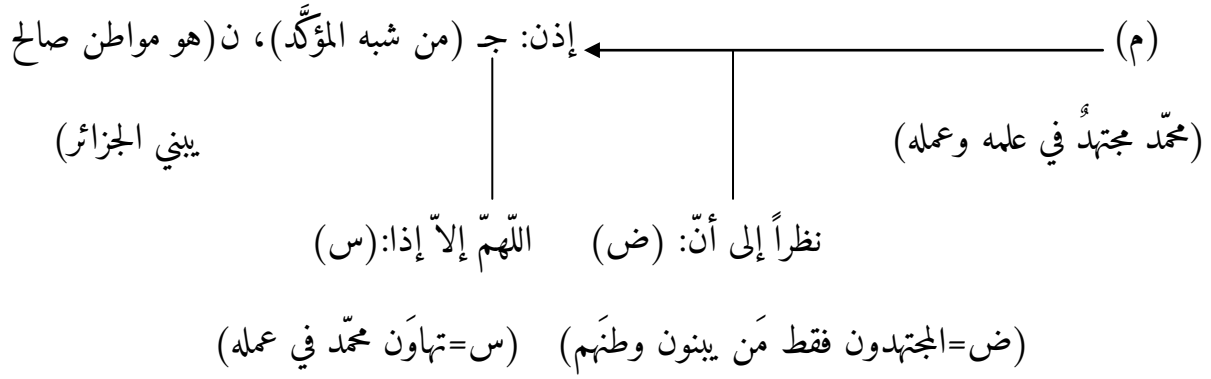

3-الخِطاطة الثّالثة: دقَّق تولمين نموذَجَه الحِجاجيّ في خِطاطة ثالثة، حيث أضاف عنصر سمّاه الأساس(أ)، وهو دِعامة يُبنى عليها الضّامن، فأصبح شكلُه هكذا:

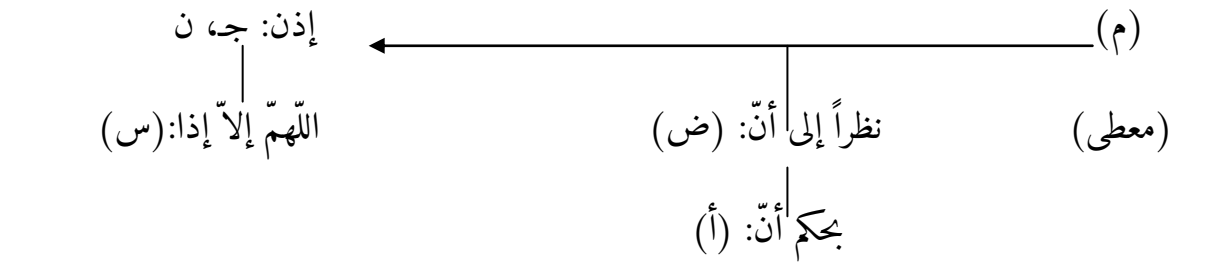

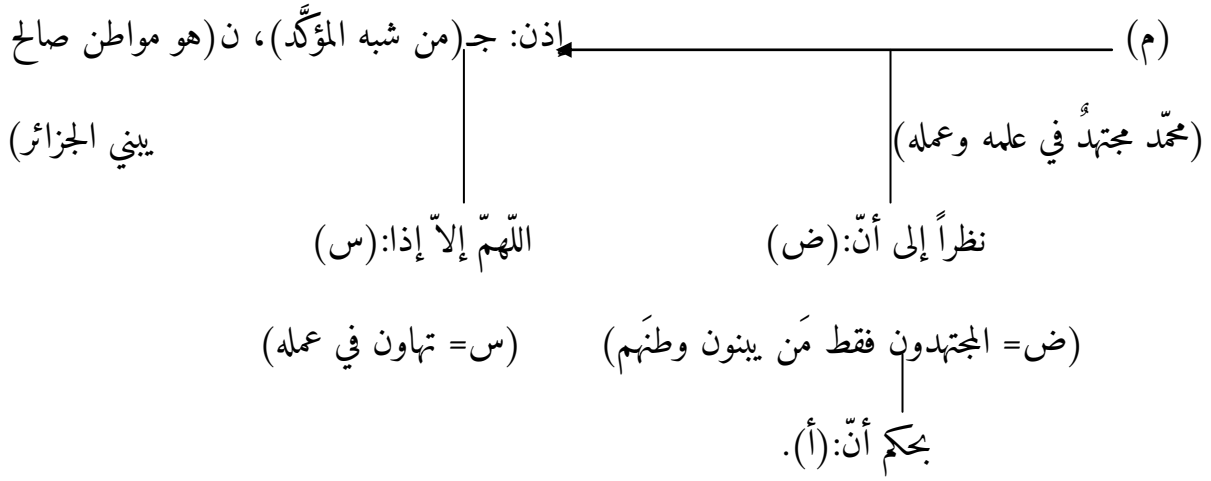

(أ= بناة الأوطان هم المجتهدون)

فبالنّظر إلى هذه النّمذجة الّتي صاغها **تولمين** للمسار الّذي تقطعه الحجّة في طريقها إلى النّتيجة، تتكشّف لنا مكوِّنات الحجّة لديه، وهي[1]:

-معطى (donnée).

-إذن: محدِّد الكيفيّة (qualification modal).

-نتيجة (conclusion).

-بما أنّ: ضامن (garantie).

-بمقتضى: أساس (fondement).

-اللّهمّ إلاّ إذا: تقييد (restriction).

وتنطلق السّيرورة الحِجاجيّة في تصوّر تولمين من المعطيات (D) الّتي يُثيرها المُحاجِج لدعم نتيجة معيَّنة (C)، ويُحدِّد مُحدِّد الكيفيّة (Q) هذه النّتيجة، إلاّ أنّ المرور من المعطيات إلى النّتيجة لا يكون عشوائيّاً، ولا مُنفَلِتاً من كلّ قيد وشرط، وإنّما تحكمه الضّامنات (G)، والّتي يُحتمَل أن تقابلها بعض القيود (R)، وتلك الضّامنات (G) تعتمد على ما يسمِّيه تولمين الأساس (F)؛ وهو الّذي يدعم الضّامن (G) ويُبرِّره، وتشتغل تلك العوامل في إطار: سيرورة حِجاجيّة متعالِقة[2].

[1]-تاريخ النّظريّات الحِجاجيّة، فيليب بروتون وجيل جوتييه، ترجمة محمّد صالح ناحي الغامدي، مرجع سابق، ص69، 70.

[2]-المرجع نفسه، ص69، 70.

إنّ الملاحَظ على النّماذج الحِجاجيّة الّتي قدَّمها تولمين أنّها لا تُدرِج المتلقي أو الجمهور ضمن اهتماماتها، وهذا ما يعيبه عليه كريستيان بلانتين؛ فنموذج تولمين أقرب إلى القياس الأرسطي في المنطق منه إلى النّموذج الخطابيّ في اللّغة الطّبيعيّة[1].

ثالثاً- الحِجاج والمُساءَلة عند ميشال ميار(Michel Meyer)[2]:

يتأسّس مفهوم الحِجاج عند (**ميار**) على عنصرين مُهمَّين، وهما: الصّريح والضِّمنيّ؛ حيث يكون موضوع الحِجاج هو دراسة العلاقات القائمة بين صريح الكلام وضمنيِّه، ويرتبط الصّريح بالمتكلِّم، والضِّمنيّ بالمتلقّي، وهذا الاستحضار للمتكلِّم والمتلقّي والعلاقات التّداوليّة بينهما، يجعل مفهوم الحِجاج عند (**ميار**) مفهوماً حواريّا ولسانيّاً وتداوليّا.

إنّ الجديد الّذي جاء به ميار(Meyer) لمفهومه للحِجاج وانفرد به، يتمثَّل في ربطه لهذا المفهوم بنظريّة المُساءَلة، ومؤدّاها أنّ: الحجّة إنّما هي جواب صريح لسؤال ضمنيّ، يستنتجه المتلقّي من تلك الحجّة أو وجهة نظر أو دعوى المتكلّم، وتجري هذه المُحاجَجة والمُساءَلة في إطار مقام تداوليّ، يستوحيان منه: الإجابات والمُساءلات، ومن إثارتها تتكوَّن الخطابات الحِجاجيّة.

---

[1]- الحِجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبيّة، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص25، 26.

[2]- المرجع نفسه، ص37، 39. وانظر:

-الدّفاع عن الأفكار، تكوين ملَكة الحِجاج والتّناظر الفكريّ، محمّد بن سعد الدّكّان، مركز نماء للبحوث والدّراسات، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص27، 28. -تاريخ النّظريّات الحِجاجيّة، فيليب بروتون وجيل جوتييه،مرجع سابق، ص104، 106. -عندما نتواصل نُغيِّر، مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحِجاج، عبد السّلام عشير، إفريقيا الشّرق، المغرب، 2006م، ص193 وما بعدها. -تلقّي الحِجاج في الدّراسات العربيّة المعاصرة، عبد الله صولة أنموذجاً، سعيد العوّادي، مرجع سابق، ص273.

رابعاً- الحِجاج عند كريستيان بلانتين (Christian Plantin): [1]

ينظر كريستيان بلانتين إلى مفهوم الحجاج في علاقته بالثنائيات المعهودة في الدّرس اللساني، نحو اللغة والفكر، اللسان والخطاب، الحوار والتحاور، المعيارية وغير المعيارية إلى جانب الإجماع والاختلاف، كما يلي:

أ- الحجاج وثنائية اللغة والفكر:

الحجاج نشاط لغوي يصحبه نشاط فكري، ينتج أثرا فكريّا في الخطاب؛ وذلك النشاط تتمّ دراسته بواسطة علوم اللغة والمنطق الصوري والمنطق الطبيعيّ، إلى جانب العلوم المعرفيّة (العرفانيّة).

ب- الحجاج وثنائية اللّسان والخطاب:

-اللّسان حجاجي ضرورة؛ يعني الاتّجاه نحو نتيجة ما خاصيّة شكليّة ودلاليّة في ثنايا البنى اللّسانية، مجرّدة من سياقها التفاعلي؛ وبهذا ينتمي الحجاج إلى لسانيّات اللّسان بالمفهوم السوسيري.

-الحجاج ظاهرة خطابيّة وفعّالية تداوليّة، تتشكّل أثناء ممارسة اللّغة في مقام(مستمَع بمصطلح محمد العمري)؛ ويتنزّل هذا المفهوم منزلتين:

[1]-الحجاج، كريستيان بلانتين، ترجمة عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008،ص 33 ومابعدها.

-le trilogue argumentatif, présentation de modèle, analyse de cas, Christian Plantin, langue française, argumentation en dialogue, sous la direction de Claudine Garcia Debanc, larousse, décembre1996, n^{0}112,pp9, 30.

• "كل كلام حجاجي حتما، فهو نتيجة ملموسة للتلفّظ في مقام، وكلّ ملفوظ يرمي إلى التأثير في المرسل إليه، في الآخر، وتبديل نسق فكره، وكلّ ملفوظ يُجبر أو يحمل الآخر على الاعتقاد وعلى النظر وعلى الفعل بطريقة غير طريقته، ودراسة الحجاج هي دراسة نفسية لسانيّة أو إجتماعيّة لسانيّة"[1]

• "بعض الخطابات فقط حجاجيّة، وينبغي البحث عن الحجاجيّة في طريقة تنظيم الخطابات، وهذا الموقف هو موقف النّظريات الكلاسيكيّة للحجاج"[2]، حيث تختزل الحجاج وتضيّق مفهومه فتحصره في بنى شكليّة وأدوات استدلاليّة وعلاقات حجاجيّة، يتضمّنها خطاب ما، تنتهي إلى تأكيد فكرة أو تفنّدها، تثبتها أو تنفيها، تدعمها أو تدحضها، بالإضافة إلى أنّ هذا التصوّر جرّد الظاهرة الحِجاجيّة من الملابسات التّداولية والاجتماعيّة والنّفسيّة، وحصرها في الشّكليّة الصّرفة.

جـ- الحجاج وثنائية الحوار والتّحاور:

-الحجاج خطاب حواري وتحاوريّ، أحادي وثنائيّ، وتتّخذ دراسة الحجاج الحواريّ الأحاديّ موضوعها: استخراج البنى التي يقوم عليها نظام الخطاب المتضمّن للحجج الموجّهة إلى الجمهور في إطار مؤسّساتي[3] معيّن.

---

[1]-الحجاج، كريستيان بلانتين، ترجمة عبد القادر المهيري،مرجع سابق، ص34. وانظر:
-تاريخ النّظريّات الحِجاجيّة، فيليب بروتون وجيل جوتييه، ترجمة محمّد صالح ناحي الغامدي، مرجع سابق، ص102.

[2]-الحجاج، كريستيان بلانتين، ترجمة عبد القادر المهيري، مرجع سابق، ص34، وانظر:
- تاريخ النّظريّات الحِجاجيّة، فيليب بروتون وجيل جوتييه،مرجع سابق، ص102.

[3]-الخطابة المؤسّساتية اليونانية القديمة تميّز بين: الخطبة المشوريّة (المؤسّسات السّياسيّة: البرلمان، مجلس الأمة)، الخطبة المشاجريّة(المرافعات في المحاكم)، الخطبة التثبيتيّة (المؤسّسات الدينية)، وقد أضافت العصور الوسطى: الوعظ الديني المسيحي، والعصور الحديثة: خطاب الإشهار،الإعلام الوسائطيّ، كما تحوّل خطاب القرار السياسيّ إلى خطاب الدعاية الإيديولوجيّة. أنظر الحجاج، كريستيان بلانتين، ترجمة عبد القادر المهيري، مرجع سابق، ص18.

-أمّا موضوع دراسة الحجاج التّحاوري الثنائيّ هو: الحدث الحجاجيّ في مقام التّحاور والتّداول والتّحادث والتّخاطب؛ حيث يتمّ تركيز الاهتمام على أدوات التفاعلات اللّغوية[1].

د- دراسة الحجاج غير معياريّة/معياريّة:

-المقاربة المعياريّة للحجاج تفيد الدارس في نقد الظاهرة الحجاجيّة للتّمييّز بين الجيّد منها والرديء؛ حيث تفرض معايّير محدّدة على الخطابات، نحو:

- **معيار النجاعة:** فالحجاج المُحكَم يقود المتلقي إلى الفعل الجيد أو المقبول(التصويت لصالح فلان، المفاضلة بين خيارين، شراء سلعة..)، وأمر النّجاعة – حسب كريستيان بلانتين:" يتعلّق بالحمل على الفعل لا بالحمل على الاعتقاد، فمقولات العمل على الإقناع أو الصدق أو الاعتقاد أو الاقتناع هي هنا خاضعة لإشكاليّات الفعل، وهذا الحِجاج المعيّر بالنّجاعة هو حجاج الإشهاريّين والسّياسيّين، فالحِجاج من هذا المنظور يعني التّأثير"[2].
- **معيار الصِّدق:** وهذا المعيار الحِجاجيّ نجده في البحث العلميّ؛ حيث يشتغل الحِجاج في الصَّادق من القول وشروطه[3].

هـ- الحجاج:إجماع/إختلاف:

-يرمي الحجاج إلى إقامة الإجماع وفضّ النِّزاعات واختلاف الآراء بوسائل: لغويَّة ومنطقيَّة وتداوليّة وجدليّة، ويمكن الإحالة في هذا السِّياق إلى الدِّراسات الّتي تتّخذ معيار

[1]-الحجاج، كريستيان بلانتين، ترجمة عبد القادر المهيري، مرجع سابق، ص34.
[2]-المرجع نفسه، ص35، وانظر: -الدّفاع عن الأفكار، تكوين ملكة الحِجاج والتّناظر الفكريّ، محمّد بن سعد الدّكّان، مرجع سابق، ص34، 37.
[3]-أنظر: المرجع نفسه، ص122،119.

الصِّدق إشكالا لها حين تدرس الخِطاب الحِجاجيّ، وفي المقابل قد يؤدي إلى تثوير النِّزاعات وتكريس الخلافات وإبداع آراء غير مألوفة لدى الآخر في سياق جدليّ؛ حيث يُثري المفاهيم والأفكار، ويطوّر المعارف...إلخ[1].

خامساً- الحِجاج عند جاك موشلار وآن ريبول(Jacques Moeschler, Anne Reboul**):**

يميّز(جاك موشلار وآن ريبول) معنيين لكلمة الحجاج وهما[2]:

أ- الحجاج بالمعنى العادي[3]:

يعني جملة الستراتيجيّات التي يتوسّلها مستعمِل اللغة في خطابه لإقناع متلقيه، وقد عالج بعض الدارسين في مؤلفاتهم الحجاج العادي من منظور المنطق الحديث الذي يعوّل على الأنساق غير الصوريّة، أمثال (شاييم بيرلمان)و (جون بليز غريز) صاحب كتاب: منطق اللغة الطبيعي، وتصنَّف هذه الدّراسات في: **تحليل الخطاب**.

ب- الحجاج بالمعنى الفنّي[4]:

يعني صنفا مخصوصا من العلاقات بين المضامين الدلاليّة، تتحقّق في الخطاب، وتكون مسجّلة في اللّسان، والحجاج بهذا المعنى ظاهرة لسانيّة مشتركة بين أفراد العشيرة اللّسانيّة الواحدة، وتتبنّى التداوليّات المدمجة(ديكرو وأنسكومبر) فرضية مفادها: أولويّة الحجاج على

---

[1]-الحجاج، كريستيان بلانتين، ترجمة عبد القادر المهيري،مرجع سابق، ص35، 36. وانظر: -الدّفاع عن الأفكار، تكوين ملَكة الحِجاج والتّناظر الفكريّ، محمّد بن سعد الدّكّان، مرجع سابق، ص31، 34.

[2]-التّداولية المدمجة والتداولية العرفانيّة، جاك موشلر، ترجمة عزالدين المجدوب، ضمن القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر و أن ريبول، المركز الوطني للترجمة، تونس 2010، ص93،94.

[3]-voir:-Modélisation du dialogue, représentation de l'inférence argumentative, Jacques Moeschler, op cit, pp28, 29.

[4]-voir: -ibid, pp30, 31.

الإبلاغ(المعلومات) في فهم الأقوال(الخطابات)؛ وبالتالي فالمعلومات والأخبار والتصوّرات التي تقدّمها لنا تلك الأقوال عن العالم، خلال وضعية تواصلية محدّدة هي: حجاجيّة لا إبلاغيّة فحسب، أي أنّ القيمة الحجاجية للأقوال أوّليّة أساسيّة، وأمّا القيمة الإبلاغيّة فثانويّة غير أساسيّة، وتندرج هذه الدراسات في: **لسانيّات اللسان**.

سادساً- الحِجاج عند باتريك شارودو (Patrick Chareadeau**):**

يشترط باتريك شارودو في مفهوم الحِجاج أن تتوفّر فيه العناصر التّكوينيّة المبيَّنة في الشّكل التّالي[1]:

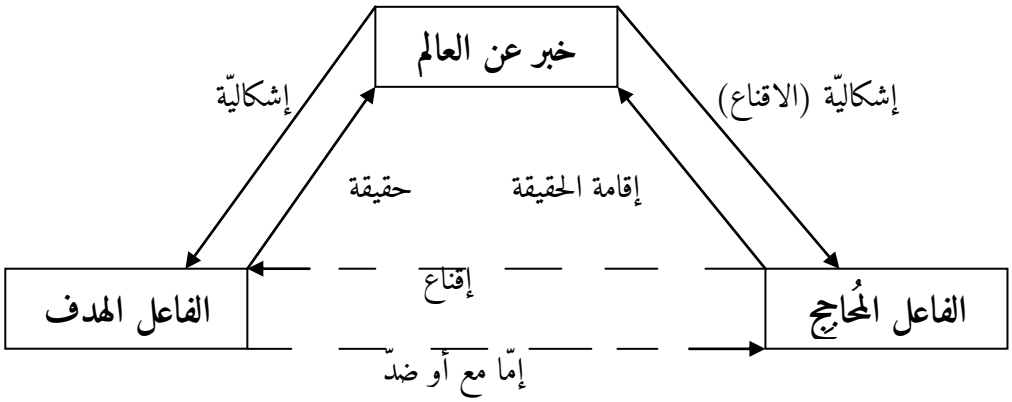

نلاحظ من خلال هذا المخطّط أنّ الحجاج تُسهم في تكوينه ثلاثة عناصر: **الخبر عن العالَم والفاعل المُحاجِج والفاعل الهدف**، وأمّا **الخبر المُشكِل** فيجب أن يكون إشكاليّا بالنّسبة إلى الفاعلَينِ، وعلى الفاعل المُحاجِج أن يبني خطابه الحجاجيّ وفق أدوات البرهَنة المتاحة كي يؤسّس الحقيقة أو ما يُشبهها، ويُضفي المشروعيّة على الخبر، قاصدا إلى كسب التّصديق والقبول من مخاطَبه، ويُشتَرط في الفاعل الهدف أن يكون مُهتَمّا بالخبر وبإنشاء الحقيقة من

[1]-الحجاج بين النّظريّة والأسلوب، باتريك شارودو(Patrick Chareadeau)، ترجمة أحمد الوردوني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009م، ط1، ص13، 14.

وانظر:

- الدّفاع عن الأفكار، تكوين ملَكة الحِجاج والتّناظر الفكريّ، محمّد بن سعد الدّكّان،مرجع سابق، ص101.

ورائه، وهو بدوره فاعلا حجاجيّا لأنّه ليس متلقيّا سلبيّا، ما دام يَفهَم ثمّ يُؤوِّل فيتبنّى موقفا متوافقا أو متضادّا، فإذا اعترض على خطاب الفاعل المُحاجِج فهو يسلك الطريق نفسَه، ويصبح فاعلا محاجِجا، وهكذا تكون العلاقة الحجاجيّة ثلاثيّة بين:

فاعل مُحاجِج ←——→ خبر عن العالَم ←——→ فاعل هدف.

ويرى **شارودو** أنّ الحِجاج: نشاط قوليٌّ يبحث عن الحقيقة أو يقترب منها متوسِّلا طريقا مزدَوَجا وهو[1]:

أ- بحث عقلانيّ: ينطلق الفاعل المُحاجِج من تفسير ظواهر الكون (تفسير كونيّ= مبرّرات الوجود) عبر مصفاتين: التّجربة الشّخصيّة والاجتماعيّة المرتبطة بزمكان محدّد، ومصفاة العمليّات الفكريّة الّتي تشكّل كونا قوليّا، يرتبط برسوم بيانيّة جماعيّة، كما في المخطّط التّالي:

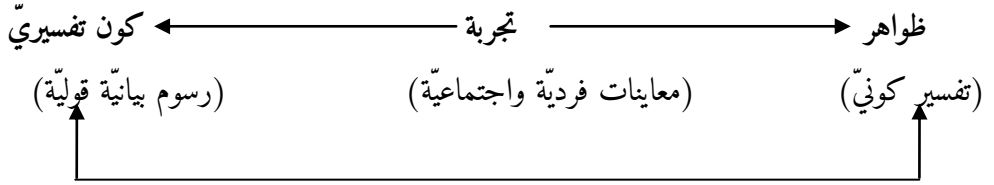

بحث عقلاني

(عن الحقّ وأعلى درجة من الحقّ)

ويرتبط تفسير الحقيقة (الكون التّفسيريّ) أو ما يُشبهها أو ما يقترب منها بالتّمثيلات الاجتماعيّة والثّقافيّة المشتركة بين أعضاء المجتمع (التّجربة أو المعرفة).

ب- بحث تأثيريّ: يستدرِج الفاعل المُحاجِج الفاعلَ الهدفَ إلى تقاسُم الأقوال نفسها (الكون القوليّ=الكون التّفسيريّ) والاقتناع بها، ويتوسَّل مسارا عقليّا ومنطقا متعدّدا

[1]-الحِجاج بين النّظريّة والأسلوب، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص14، 15.

إلى جانب وسائل الإغراء والتّخييّل وأشكال الخطاب (خطاب: الوصف، السّرد، الشّعر، المثل، الإشهار...).

وعليه فالحِجاج: نسقٌ كليٌّ " يُساهم في بنائه شكلُ الانتظام الحِجاجيّ، إنّ الحِجاج هو حاصلٌ نصّيٌّ عن توليف بين مكوِّنات مختلفة تتعلّق بمقام ذي هدف إقناعيّ، فهذا النّصّ كلّه أو بعضه سيكون بالإمكان ظهوره في شكل حواريّ (حجاج حواريّ) مكتوب أو شفويّ (حِجاج أحادي الحوار) وفي هذا الإطار ستُسخَّر تعابير من قبيل:"أنشىء مُحاجّة" و"اعتمد حُججا قويّة" و"حاجج جيّدا""[1]. وأمّا عن وظيفة الحِجاج -حسب شارودو- فيُمكّننا "من بناء "التّفاسير" على أقوال يقع إنشاؤها حول العالَم (وهي أقوال تعالج تجربة أو معرفة) في أفق مزدوَج للعقل الاستدلاليّ والعقل الاقناعيّ"[2].

- **انتظام المنطق الحِجاجيّ(نموذج باتريك شارودو):**

1- مكوِّنات المنطق الحِجاجيّ[3]:

- **العناصر الأساسيّة للعلاقة الحِجاجيّة:**تتكوَّن العلاقة الحِجاجيّة -في نموذج **شارودو**- من ثلاثة أركان ضروريّة وهي:

✓ **قول الإنطلاق(ق1):** ينطلق المتكلّم المُحاجِج في بسط حِجاجه من كلامٍ عن العالَم، ويخلق ذوات نصّيّة وخطابيّة، ويُسنِد إليها أفعالا وصفاتٍ وأحداثا ووقائعَ، ويُقدّمها لمخاطَبه كمُعطى أو معطيّات أوّليّة: تمثّل دور المقدّمات الّتي ينطلق منها الحِجاج، ويأتي دورُها الحِجاجيّ من أنّها تَحُثُّ المتلقّي على قبول قول آخر، يُوجّهه قول الإنطلاق(ق1) إليه، يقوم بدور المبرِّر لِما ورَد في المنطلَق من معطيّات ومقدّمات.

---

[1]-الحجاج بين النّظريّة والأسلوب، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص16، 17.

[2]-المرجع نفسه، ص17.

[3]-نفسه، ص21، 22.

✓ **قول الوصول(ق2):** يأتي قول الوصول(ق2) كنتيجة مترتّبة عن قول الإنطلاق(ق1) وقول العبور الّذي يربط بينهما؛ وهذا الرّبط هو دومًا رابط سببيّ، فقول الوصول(ق2) يُمثّل سبب قول الإنطلاق(ق1) كمقدّمة ومُعطى أو نتيجة له، ونُجرّدها هكذا: (ق1) لأنّ(ق2)، (ق1) إذن(ق2)؛ ولهذا فقول الوصول(ق2) يُسمّيه **شارودو** بـ **نتيجة** أو **خلاصة** للعلاقة الحِجاجيّة، ويلعب دور إضفاء المشروعيّة على الخبر الّذي يرمي المُحاجِج إلى إبلاغه لمُخاطَبه(اقتناعه).

✓ **قول العبور:** إنّ المرور من قول الإنطلاق(ق1) إلى قول الوصول(ق2) لا يكون عشوائيًا كيفما اتّفق الحال، بل هناك ضابط يتمثّل في قول العبور؛ وهذا القول هو ما يُبرّر الرّبط السّببيّ بين (ق1) و(ق2)،"إنّ هذا القول يُمثّل كونا من الاعتقاد حول الطّريقة الّتي تتحدّد بها الأفعال فيما بينها على مستوى التّجربة أو معرفة العالَم، فهذا الكون من الاعتقاد ينبغي إذن أن يكون قاسِما مشترَكا بين الأطراف المُحاورة المنضوية تحت راية الحِجاج على نحو يظهر فيه دليل على ثبات الصِّلة الّتي توحّد بين أ1 و أ2 والحُجّة الّتي ينبني عليها، من وِجهة نظر الفاعل، أن تَحُثَّ الطّرفَ المُحاوِرَ أو المُرسَل إليه على قبول هذا الخبر باعتباره حقّا. إنّ هذا القول(أو سلسلة من الأقوال) وهو الّذي غالبا ما يكون مسكوتا عنه ومُضمَرًا يُمكن أن يُسمّى دليلا واقتضاءً أو حُجّة حسب إطار الإشكاليّة الّذي يندرج ضمنه"[1].

أمثلة:

- **الجوُّ لطيفٌ جدّا**(ق1)، **هيّا نخرج للنُّزهة**(ق2). يتمثّل قول العبور من(ق1) إلى(ق2) في: المقتضى الّذي مفاده أنّ: حين يكون الجوّ لطيفا يكون التّنزُّه مناسبا.

[1]-الحِجاج بين النّظريّة والتّطبيق، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص22، 23.

- يقول المتكلِّم العارِضُ: **تَصِل الحافلة في السّاعة** 07:45(ق1)، **محمد لن يأتي قطّ**(ق2). ويسأله المخاطَب المُعترِض: ما دليلك على عدم مجيء محمد؟، ويجيب المتكلّم العارِض مستدلاًّ: الحافلة تنطلق في السّاعة 07:00 صباحا، حينئذٍ هاتَفتُه فقال بأنّه لا يزال في بيته، وهذا دليل على عدم مجيئه.

ونُلخّص نموذَج العلاقة الحِجاجيّة في الشّكل التّالي[1]:

قول الإنطلاق ←	قول العبور ←	قول الوصول
(مُعطَى)	(اقتضاء)	(خلاصة)
(مقدّمة منطقيّة)	(حُجّة)، (دليل)	
(ق1)		(ق2)

2- مكوِّنات الإنجاز الحِجاجيّ[2]:

أشرنا سابقا إلى المكوِّنات الموضوعيّة للمنطق الحِجاجيّ، والخطاب الحِجاجيّ لا يتوقّف عليها فقط، باعتبارها غير ذاتيّة، وتُعدُّ الشّقّ الاستدلاليّ للحِجاج المقابل للشّقّ الذّاتيّ التّأثيريّ(عقل إقناعيّ)، ويرتبط المُنجَز الحِجاجيّ بالمتكلِّم المُحاجِج ومقام التّحاجُج والطّرف المُحاجَج، وبالعقد التّواصليّ بين المتحاجَّين وبنمط أو بأنماط من الإخراج.

فهل يكفي أن يُحاجج المتكلِّم بإلقاء الأخبار عن العالَم لمخاطَبه؟ هل يُعدّ كلّ قول(ملفوظ) حِجاجيّا ضرورة؟ أم أنّ القول الحِجاجي له ضوابطه ونواظمه، والمُحاجِج مدعوٌّ للتّقيّد بها؟.

يشترِط **شارودو** في نموذجه الحِجاجيّ شروطًا تكوينيّة وأخرى بنيويّة وأسلوبيّة للحِجاج؛ وهذا يعني أنّ مجرّد بثّ الأخبار عن العالَم لا يجعلها أقوالا حِجاجيّة؛ لأنّ وظيفتها إبلاغيّة،

[1]-الحِجاج بين النّظريّة والتّطبيق، باتريك شارودو ، مرجع سابق، ص25.
[2]-المرجع نفسه، ص53.

ولا ترقى إلى الوظيفة الحِجاجيّة إلاّ إذا وفقط إذا ارتبط الخبر المبثوث بإطار إشكاليّة ما، ويترتّب على حلّها **حدثٌ إقناعيٌ**، ولهذا فليس كلّ قولٍ هو حِجاجيٌّ ضرورةً، إلاّ أنّه يمكن أن يكون حِجاجيًّا من اللّحظة الّتي يكون فيها إشكاليّا فحسب، ويندرِجُ ضمن جِهاز حِجاجيّ، فما هي مُحدِّدات هذا الجِهاز؟.

أ- الجِهاز الحِجاجيّ[1]:

يؤكّد **شارودو** أنّ المسار الحِجاجيّ لا يعني قولا بسيطا مكوَّنا من جملة(اشرب الماء) أو ترابط منطقيّ أو سببيّ بين جملتين(اشرب الماء لكي تصير نحيفا)؛ فتلك الجمل والأقوال المتسلسلة تأتلف فيما بينها لتكون مسارا حِجاجيّا، يسمّيه **شارودو** بـ **"الخبر"**، ويُقيِّد هذا المسار بشرطين اثنين:

- على المُحاجِج أن يتّخذ موقفا من **صِحّة الخبر** (المسار الحِجاجي)، سواء أأنشأه هو أم غيره، بحيث يُقدِّم هذا **الخبر** في إطار **الحكم**، غير أنّ الحكم الّذي يُصدره المتكلِّم المُحاجِج أو الموقف الّذي يتّخذه بشأن الخبر لا يكفي إذا اقتصر على العبارات من مثل: نعم، أنا موافق، أنا غير موافق، معك حقّ، أنت على خطأ...إلخ؛ فالاكتفاء بهذه العبارات لا تُنشئ حِجاجا.

- في المرحلة التّالية لإعلان الموقف أو إصدار حُكم، يجب على المُحاجِج أن يُبرّر موقفه وحكمه بالإجابة عن سؤال **"لماذا"** كأن يقدِّم دليلا على صحّة خبره الّذي جرّه إلى المُخاطَب، ويُنشِئ **حدث الإقناع**، مثل: اشرب الماء كي تصير نحيفا لأنّه بفضل قوّته في إفراز البول فإنّ ذلك البول يَحُدُّ من السُّمّين "toxines".

[1]-الحِجاج بين النّظريّة والتّطبيق، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص54 ومابعدها.

وهذه القيود الّتي وضعها **شارودو** في نموذجه الحِجاجيّ قادته إلى أن يُحدِّد مكوِّنات الجهاز الحِجاجيّ وهي:

✓ **الخبر:** و"يتكوَّن من قول أو عدّة أقوال تفيد شيئا ما عن ظواهر العالَم(ما يحدث وما هو حادث) من خلال علاقة حِجاجيّة...فقولك:"فلان ميّت" لا يكون خبرا في ذاته لأنّه قد يحقُّ لنا أن نرُدّ مباشرَة بالقول:"وماذا بَعدُ؟" "[1]؛ ويرمي **شارودو** بهذا القيد للخبر إلى أنّ الخبر الّذي يأخذ به في المسار الحِجاجيّ هو الّذي يرتبط بقول آخر ضمن علاقة حِجاجيّة ظاهرة أو مُضمَرة: فقول المُحاجِج فلان ميّت(ق1)، هو خبر عن العالَم، يُمثِّل في ذاته قولا مستقلاّ عن أيّة خاصّية حِجاجيّة، ولا يكون حِجاجيّا إلاّ إذا ارتبط بقول آخر(ق2) مُنشِئا علاقة حِجاجيّة، نمثّلها كما يلي:

- **فلان ميّت**(ق1) لقد قُتل
  لقد انتحر (ق2)
  خسِرنا كلّ شيء

- مشروعنا انتهى
  يجب الهروب
  اصطدم بشاحنة
  دليل على وفائه لوطنه (ق2)
  صاحب مبادئ
  .....

وهكذا فكلّ الأقوال(ق2) تُنشِئ علاقة حِجاجيّة مع(ق1) فيُصبح الخبر أطروحةً، تتضمّن إشكاليّة معيّنة، ويُمثِّل **شارودو** للخبر في العلاقة الحِجاجيّة بالتّرسيمة التّالية:

[1]-الحِجاج بين النّظريّة والأسلوب، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص55.

(ق1) ← (ق2)
(إنّ) (إذن، لأنّ) (ف.....حينئذٍ)

✓ **الحُكم:**

يَحُدُّه **شارودو** بقوله :"يجعل الحُكم منزلة لـ إطار الإشكاليّة الّذي ينهض على **إمكانيّة وضع الخبر موضع شكّ**، ويرتبط هذا باتّخاذ موقف يتبنّاه الفاعل تجاه صحَّة **الخبر** وهو ما سيجرُّه إلى إنشاء الحِجاج في هذا الاتّجاه أو ذاك"[1]إنّ ما يجعل المتكلّم محاجِجا هو أن يتّخذ موقفا بشأن صحّة الخبر، ويدفع هذا الموقف المتكلِّمَ إلى إنشاء الحِجاج، وتبرُزُ مواقف الفاعل في:

- **اتّخاذ موقف:** يُعلن المُحاجِج عن موقفه إزاء صحّة خبر ما، فيكون إمّا **مع الخبر:** يُدافِع عنه لأنّ المخاطَب جعل هذا الخبر موضع شكّ، وهذا التّشكيك يدفعه لأن يُنشئ حِجاجا، ويسمّيه **شارودو "حدثٌ إقناعيٌّ"**، يسير نحو إثبات مبرّرات لصحَّة الخبر، ويتأرجح هذا الحدث الإقناعيّ بين الجزئيّة والكلّيّة، فيكون جزئيّا حين يُحاول أن يُدافع عن عنصر من عناصر الخبر مدار التّشكيك أو الاعتراض أو التّفنيد، ويكون كلّيّا عندما يدافع عن الخبر برمَّته فينشأ موقف "**حالة الاتّفاق**" مع الخبر والاتّحاد معه.

وإمّا **ضدّ الخبر**، ويظهر هذا في: أن يشكَّ المُحاجُ في صحّة الخبر، ولا يكتفي بمجرّد الشّكّ حتّى ينشأ الحِجاج، وإنّما عليه أن يُنشئ حِجاجا، أي حدثًا إقناعيّا يُبرِّر به اعتراضَه الكلّيّ أو الجزئيّ، فيتوجّه مسارُه الحِجاجيّ نحو: التّدليل على غلط الخبر ودحضه أو دحض جزء منه.

إلى جانب الموقف الإيجابيّ(المُساند) والموقف السّلبيّ(المُعاند) قد يتّخذ المُحاجِج موقفا حياديًّا، فلا يظهر أنّه متّفقٌ أو مختلِفٌ مع الخبر، على الأقل، في بداية المسار الحِجاجيّ،

[1]-الحِجاج بين النّظريّة والأسلوب، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص56.

ويضع الخبر موضع مُساءَلة ويستشكِل الخبر كلّيًّا أو بعضَ عناصره المكوِّنة له؛ وهذا الحياد أو حالة "**عدم اتِّخاذ موقف**" بشأن الخبر، لا يعني أنّ النصّ ليس حِجاجيًّا؛ فغالبا ما يعقُب المُساءَلة إنشاء "**حدث إقناعيّ**" من خلال: أن يعترف المُحاجِج بجهله المؤقّت أو يُقدِّم أدلّة على صحّة الخبر وغلطه ووجوه الحقّ والباطل فيه، ويخلِق بذلك توازُنًا في المسار الحِجاجيّ، ويُحدِّد الأدلّة الّتي مع الخبر والأدلّة الّتي ضدّه، كلّيًّا أو جزئيًّا.

ونُشير إلى أنّ الموقف الّذي يتَّخذه المُحاجِج سواء أشكَّ أم اعترَض أم فنّد، فموقفه قد يَطال: قول الانطلاق(ق1) أو قول العبور أو قول الوصول(ق2) أو العلاقة الحِجاجيّة برمَّتها، ونُبيِّنها في التّرسيمة التّالية:

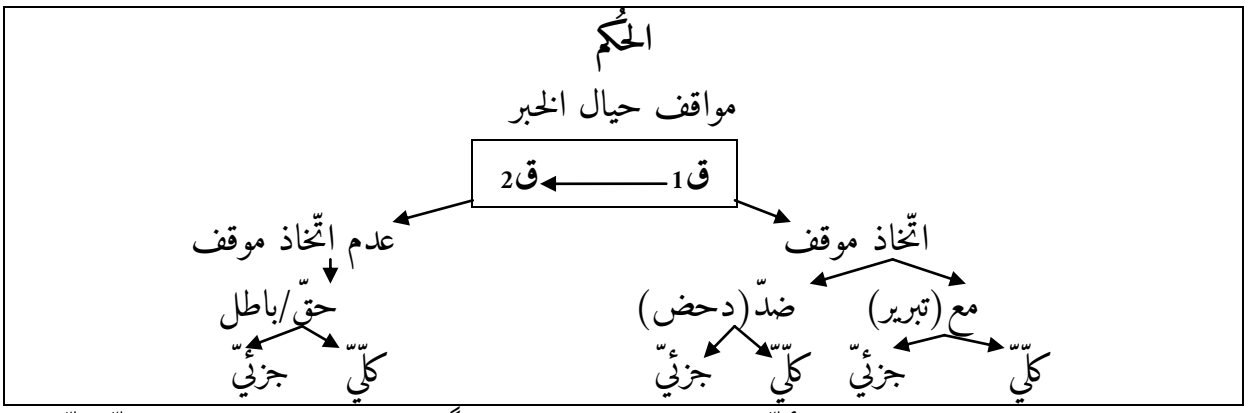

✓ **الإقناع:** يرى **شارودو** بأنّ الإقناع :"يجعل منزلةً لإطار البرهنة الإقناعيّ الّذي يُفترَض أن يُنشِئ هذا الاختيار أو ذاك المتعلّق بإطار الإشكاليّة: سواء أكان دحضًا أم تبريرا أم موازَنةً، فمن داخل هذا الإطار يُنشِئ الفاعل ما يمكن تسميَّتُه بـ "**المناظَرة**" بالالتجاء إلى أساليب مختلِفة **دلاليّة وقوليّة** وذات صلة **بالبِنَاء** وذلك لإقامة دليل على الموقف المتبنَّى خلال **الحُكم**"[1]، ويلخِّص **شارودو** الجهازَ الحِجاجيّ في المخطّط التّالي:

[1]-الحِجاج بين النّظريّة والأسلوب، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص61.

-**الخبر:**"أطروحة".

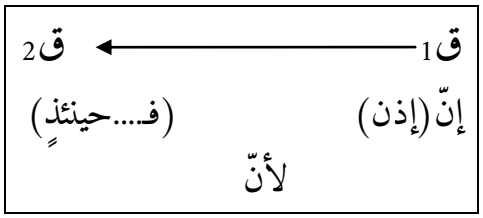

-**الحُكم:** إطار الإشكاليّة.

-**الإقناع:**"إطار البرهَنة".

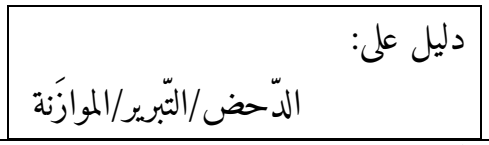

ب- نماذج التّشكّل[1]:

إنّ الاقتصار على وجود الجهاز الحِجاجيّ لفهم الحِجاج وتحليله غير كافٍ، لأنّ "الحِجاج يرتبط **بمقام التّواصل** الّذي يتنزّل فيه الفاعل المُحاجِج، وتبِعا لذلك المقام **والمشروع الكلاميّ** للفاعل سيقع تسخير مكوِّنات الجهاز، إنّ العناصر المقاميّة الّتي تساهم في تشكيل حِجاج ما في صيغة نصّ هي ذات نسقين حسب ما نعتبره **مقام التّبادل** أو **عقد الكلام**".[2]

✓ **مقام التّبادل:** وينقسم مقام التّبادل باعتبار الأطراف المشاركة في التّفاعل الحِجاجيّ إلى قسمين اثنين:

○ **مقام التّبادل الأحاديّ الحوار(الحواريّ):** حين يغيب المتلقّي عن مقام التّبادل يبقى حضوره ضمنيّا لأنّ المُحاجِج في صياغته للنّص يرمي إلى أن: يُحاجِج ويُقنع متلقٍّ مباشرا أو غير مباشرٍ، ويقتضي منه هذا أن يُراعي سماتِ **الخبر والحُكم والحدث الإقناعيّ** في بناء حِجاجه، وقد أشرنا إليها آنفا.

[1]- الحِجاج بين النّظريّة والأسلوب، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص65 ومابعدها.

[2]-المرجع نفسه، ص65.

- **مقام التّبادل التّحاوريّ (الثّنائيّ والمُتعدّد):** إذا كان بناء النّصّ الحِجاجيّ الأحاديّ الحوار يستقلُّ بتشكيله الفاعلُ المُحاجِجُ دون مشارَكة فعليّة للمُخاطَب، فإنّ النّصّ الحِجاجيّ التّحاوريّ يقتضي من الفاعلين: أن يُنشئوا الخبر والحُكم والحدث الإقناعيّ وفق مقتضيات الرّدود المُتتاليّة أثناء التّحاجُج.

جـ- عقْدُ الكلام: يقصِد به **شارودو** إلى أنّه ما يُوفِّر مفاتيح التّأويل للنّصّ، وقد يكون هذا العقْد **ظاهرا**؛ فيُظهر مكوّنات الجهاز الحِجاجيّ، ويصرّح بها، ويقول لنا: ماهو **الخبر**؟ وفيم يتمثّل **الحُكم**؟ وإلام يَقصِد **الحدث الإقناعيّ**؟، وقد يكون **مُضمَرا**؛ فيُضمِر مكوِّنات الجهاز، ونلجأ -حينها- إلى تصنيف الأقوال البسيطة والمركّبة داخل النّصّ وتأويلها على أنّها تتوفّر على سماتِ **الخبر والحُكم والحدث الإقناعيّ**، مثال: لستَ عالِما دون قراءة الكتب؛ هذا الملفوظ ينبغي أن يُفهَم ويُؤوَّل هكذا: إن قراءتك للكتب(**خبر**) تُصبح عالِما(**حُكم**) لأنّ قراءة الكتب هي وحدها تجعلك عالِما(**حدث إقناعيّ**).

- ✓ **مواقف الفاعل (المُحاجِج)**[1]: يتّخذ الفاعل المُحاجِج مواقفَ عدّة منها:

- **موقفه من الخبر:** وقد أشرنا إلى الأنماط الثّلاثة لهذا الموقف، وهي: موقف مساند وآخر مُعانِد وثالث حياديّ متوازِن، ونزيد إليه مواقفَه من **باثّ**(مُلقي)**الخبر والحِجاج** الّذي قدّمه.

- **موقفه من باثّ الخبر:** يتّخذ الفاعل موقفاً من مُلقي الخبر أو مصدره، وتترتّب على هذا الموقف وقائع تعبيريّة نحو:

-تعابير رافضة للوضع: يَعرِض طرفٌ مُحاجِجٌ قولا ذا قيمة حِجاجيّة، فيعترِض عليه الطّرف المخاطَب، ويرفض الخبر أو يُعلّقه(يُؤجّله)ولا يمنح الثّقة لقائله أو لمصدر الخبر،

[1]-الحِجاج بين النّظريّة والأسلوب، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص68 وما بعدها.

ويُقرِّر عدم المشارَكة في إنشاء حدثٍ إقناعيّ باعتبار: مصدر الخبر، الفاعل المُحاجِج، نتائج الحِجاج غير المُجدية، مثال:

• **العارضُ:** إنّ البحوث العلميّة عندنا(**خبر**) ليست جيِّدة بما يكفي(**حُكم**) لأنّها لا تواكبُ العصر(حدث إقناعيّ).

• **المُعترِض:** ليس ما تقوله صحيحا، ثمّ من أين لك هذا؟ وكيف أصدرت هذا الحُكم؟ بل من تكون أنت حتّى تقول هذا؟.

-**تعابير قابلة لوضع الباثّ للخبر:** يقبَل الفاعلُ الوضع الّذي عليه الطّرف الآخرُ المُشارِكُ، ويترتَّب على هذا القبول التزام الفاعل نحو: إنشاء الحِجاج المُضادّ، بسبب اعترافه لمخاطَبه بالثِّقة والسّلطة والمعرفة والكفاءة لحلّ الإشكاليّة المطروحة للنّقاش.

-**تعابير ذات التّبرير الذّاتي لوضع باثّ الخبر:** قد يضطرّ الفاعل إلى تبرير وضعه الخاصّ أو وضع الأطراف الأخرى المُشارِكة في الحِجاج، بسبب أنّ هذا الوضع محلّ الشّكّ أو الرّفض، وتظهر التّعابير التبريريّة للوضع القائم الّتي تلجأ إلى سلطة المعرفة أو التّجربة أو المعايَنة والمشاهَدة(l'argument d'autorité)، فمثلا: وكالات الإشهار تلجأ إلى استدعاء النتائج المخبريّة المتعلّقة بالمنتَج(سلطة المعرفة).

-**مواقف بالنّسبة إلى الحِجاج الّذي قدّمه:** يرتبط هذا الموقف بنموذج الالتزام الّذي يعبِّر عنه الفاعل المُحاجِج إزاء إطار الإشكاليّة، وتترتّب على هذا النّموذج حالتان:

أ-حالة الالتزام: يلتزم المُحاجِج شخصيّا بأن: ينخرِط في إطار الإشكاليّة، ويتبنّاها ويُدافِع عنها فتغدو **مناظَرة**، ويعمُّ الاتّهام والشّكّ والاعتراض والرّفض للحُجج بشكل ظاهر أو ضمنيّ(أقوال قيميّة، استفزازات للعواطف، أقوال ساخرة...إلخ) وهي حالة **الحِجاج الجدليّ**.

ب-حالة عدم الالتزام: يختار الفاعل عدم الانخراط شخصيّا في الحِجاج؛ أي لا يضع الطّرف أو الأطراف المُشارِكة موضع شكّ أو رفض بصورة علنيّة مباشرة، وإنّما بصورة مَضمَرة تحتاج إلى **استدلال**، ونقرأ تعابيرَ نحو: النّعوت الموضوعيّة، أوصاف لعمليّات التّفكير(لاحظ، افترض أنّ، استنتج...إلخ)، جمل مُبهَمة تلغي حضور الفاعل(يجدر الذّكر أنّ، من المعلوم أنّ، السّؤال الّذي يطرح نفسَه هو، منطقيّا أنّ...إلخ)، الشّواهد والمراجع(أقواس، ملاحظات، إحالات...إلخ)؛ وهذا المسار هو حالة **الحِجاج الاستدلاليّ**.

سابعاً- الإطار التّطبيقيّ: تحليل منطِق الحِجاج لرسالة **"في النّابتة"** للجاحظ.

1- رسالة في النّابتة:

تترتّب هذه الرّسالة في المرتبة الحادية عشر من رسائل الجاحظ، وأصل عنوانها هو:"رسالة لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إلى أبي الوليد محمد بن أحمد ابن أبي دؤاد في النّابتة"، حقّقها وشرحها عبد السّلام هارون، ويقصد الجاحظ بمصطلَح "النّابتة" إلى الطّوائف المبتدِعة الّتي طرأت بعد انقضاء الصّدر الأوّل من الإسلام؛ أي بعد فتنة عثمان بن عفّان واغتياله، وتبعتها الموالي والعوامّ في أفكارها الشّاذة وآرائها الضّعيفة[1].

2-حِجاجيّة الرّسالة:

ننطلق في تحليلنا للرّسالة من تطبيق نموذج **شارودو**، ونحرص على إبراز مكوِّنات النّص الحِجاجيّ الّتي تتشكّل من الخِطاطات كشبكة من العلاقات المندرِجة ضمن الهندسة الحّجاجيّة، وتحليلنا هذا لن يهتمّ بالقضايا اللّغويّة والمنطقيّة والبلاغيّة المعزولة هنا وهناك في النّص، حتّى وإن اتّسمت بطابع حِجاجيّ؛ فمدار حديثنا حول الحِجاجيّة الكلّية الّتي تتجلّى كنسق عامّ يحكم العناصر التّكوينيّة واللّسانيّة والمنطقيّة والإنجازيّة للفعل النّصي في الرّسالة وتَحجيّته، فإلى أيّ مدى ترقى رسائل الجاحظ إلى أن تؤسّس حِجاجيّتها وتستقلّ بخصوصيّتها؟ وهل استطاع الجاحظ أن يخرج بالنّص الحِجاجيّ من الجزئيّة إلى الكلّية، ومن الطّارئ الفردي إلى الظّاهرة الكونيّة، ومن الفرديّة إلى المؤسّسيّة؟.

3- العناصر التّكوينيّة:

[1]-رسائل الجاحظ، رسالة في النّابتة، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،1964م، ج2، ص05.

نقصد بالعناصر التّكوينيّة العوامل الأوّلية الّتي تدخل في تشكيل الفعل الحِجاجيّ وبدونها ينعدم، وهي: الفاعل المُحاجِج والخبر المُشكِل والفاعل الهدَف، فهل تتوفّر رسائل الجاحظ على هذه العناصر التّكوينيّة الأوّليّة ومواصفاتها الحِجاجيّة؟، ثمّ إنّ توافرها فحسب في نصّ ما لا يجعل منه نصّا حِجاجيّا إلاّ إذا قام المؤلِّف بتحجيّتها.

أ- **الفاعل المُحاجِج:** وهو **الجاحظ** مؤلِّف الرّسالة.

ب- **الفاعل الهدَف:** ينقسم الفاعل الهدف إلى فاعل هدف مباشر، وهو: أبو الوليد أحمد بن أبي دؤاد، وفاعل هدف غير مباشر، وهو: الخصوم من النّوابت: قتلة عثمان، معاوية، يزيد بن معاوية، عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحجّاج بن يوسف ومولاه يزيد بن أبي مسلم، والنّابتة من الموالي، ناهيك عن المتلقّي الكونيّ عموما.

جـ- الخبر المُشكل:

الخبر	
الإبلاغيّ	الحِجاجيّ
خـ1-تحوّل الأمّة بعد جاهليّتها وإسلامها إلى طبقات مختلفة.	**خـ1**-قتل عثمان وما أثاره من الفتنة والنّزاع (ص6، 7).
خـ2-خبر تاريخيّ عن طبقة النّبيّ وأبي بكر وعمر وعثمان وما كانوا عليه.	**خـ2**-المشاكلة بين قتل يحي عليه السّلام وقتل عثمان (ص9).
خـ3-الإخبار عن الحاضرين الوقائع والأحداث الدّامية، وهم: جلّة المهاجرين والسّلف المقدَّمين والأنصار والتّابعين.	**خـ3**-مصادرة أموال عثمان وحدائقه، يغني عن قتله إن ركب ما قذفوه به (ص9).
خـ4-استمرار الفتن والحروب ك: حرب الجمَل،	**خـ4**-اختلاف النّاس بين قاتل وشادّ على عضده وخاذل وعاجز ومطيع (ص9).

وقائع صفّين، يوم النّهروان، يوم الزّابوقة. **خـ5**-اعتزال الحسين عليه السّلام الحروب. **جـ6**-إحالة الجاحظ مخاطَبَه أبو الوليد إلى كتبه الّتي كتبها في تفضيل عدنان ومفاخرة قحطان.	**خـ5**-مقتل علي بن أبي طالب (ص10). **خـ6**-استواء معاوية على الملك واستبداده على بقية الشّورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين (عام الجماعة) **خـ7**-ما قام به يزيد بن معاوية من السّوء وما قام به الحسين (مفارقة) (ص12). **خـ8**-رأي النّابتة المبتدعة وما تزعمه من آراء متناقضة. **خـ9**-أعمال عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحَجّاج بن يوسف ومولاه يزيد بن أبي مسلم. **خـ10**-اختلاف النّاس في القضاء والقدر (ص18). **خـ11**-مفاخرة نابتة الموالي للعجم والعرب (ص21).

4- حِجاجيّة الأخبار:

لا يتوقف الجاحظ في رسالته عند إيراد الأخبار والوقائع والمعطيات التّاريخيّة والسّياسيّة والدّينيّة دون استشكالها، بل يركّز على ما تثيره من خلافات وتأوُّلات وما آلت إليه من فتن وحروب وقتل وابتداع وشذوذ في الآراء وتنازع الطّوائف الدّينيّة؛ فالرّسالة –

من هنا- نصّ حجاجيّ لأنّها تتجاوز الإبلاغيّة إلى الحِجاجيّة، وليست مجرّد إبلاغ **الفاعل الهدف** معلوماتٍ وأخبار فحسب، بل تُنشئ وراءها قولا حِجاجيّا.

5- السّبيل المزدوج: سلك الجاحظ في رسالته مسلكين اثنين، أحدهما:

أ- مسلك عقلاني: يظهر في تحليله الأخبار وتفسير المعطيات بما توفّر لديه من أدوات لغويّة ومنطقيّة وعقليّة لإنشاء الحقيقة ومقاربتها(بواسطة التّمثّلات الاجتماعيّة، تجارب اجتماعيّة وفرديّة).

ب- مسلك تأثيريّ: إلى جانب ما يتوفر لدى **الجاحظ** من طاقة استدلاليّة، وما توفّره الشّواهد التّاريخيّة والأدلّة الجاهزة من نصوص دينيّة وأقوال وتصريحات وأعمال الصّحابة والملوك المستبدّون بالحكم من بعدهم، وما رافق ذلك من الفتن والحروب والفسق والجور، يلجأ الجاحظ إلى التأثير بواسطة وسائل الإغراء والتّخييل والتّصوير التّشخيصيّ.

6- شكل النّص: اِختار **الجاحظ** لحجاجه شكلا نصّيا تفاعليّا، يتمثّل في الرّسالة، واختار لها الأسلوب الحواريّ التّفاعليّ، بحيث تمنح للمتلقي مكانة مركزيّة في إخراج النّص الحجاجيّ، نحو: شيوع أسلوب "السؤال والجواب" و"ضمائر المخاطَب"، وعبارات تدلّ على حضور المتلقي في ذهن الجاحظ، و"الصوت الخارجيّ"؛ وهي في مجموعها تُعَدُّ مؤشّرات تفاعليّة.

7- انتظام المنطق الحِجاجيّ:

تتمثّل مكونات المنطق الحِجاجيّ في رسالة الجاحظ بالأدوات اللّغويّة والعلاقات النّصيّة الّتي تنتظم وفقها العلاقات الحِجاجيّة في النّص، وهذا الإخراج يمثّل الجانب الاستدلاليّ، ويتكوّن من:

- **عناصر العلائق الحِجاجيّة:** ونفصّلها فيما يلي:

✓ **العلاقة الحِجاجيّة الأولى(01):** عصر النبيّ وأبي بكر وعمر، وهي علاقة حِجاجيّة استهلاليّة، تفسِّرها العلائق التّالية.

قول الانطلاق	قول العبور	قول الوصول
-اعلم، أرشد الله أمرك، أنّ هذه الأمّة قد صارت بعد إسلامها والخروج من جاهليّتها إلى طبقات متفاوتة، ومنازل مختلفة(ص05). -فالطّبقة الأولى: عصر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وستّ سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه(ص05).	-حكم1-كانوا على التّوحيد الصّحيح والإخلاص المخلَص، -حكم 2- مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسّنة(ص05).	-وليس هناك عمل قبيح ولا بدعة فاحشة، ولا نزع يدٍ من طاعة، ولا حسد ولا غلّ ولا تأوّل(ص05).

يوجِّه **الجاحظ** خطابه لمخاطَبه إلى وجهة محدَّدة بعبارة:"اِعلم أنّ..."، ويحصره في المعطيات التّاريخيّة والاجتماعيّة الّتي تخصّ الأمّة الاسلاميّة الفتيّة في طورها الأول، وما آلت إليه من الاختلاف والطبقيّة، ويعقد اتّفاقا معه بخصوص مثاليّة الطّبقة الأولى كمثال يقيس به حجم الكوارث الّتي حلّت بالأمّة بعد ثلاثة عقود من انتقال النّبيّ إلى الرّفيق الأعلى؛ ويتضمَّن **(ق01)** معلومات أوّليّة ، يقدّمها **الجاحظ**(المُحاجِج) كوقائع، لا ريب فيها، وعلى الرّغم من السِّمة **"الإبلاغيّة"** الّتي تتَّسِم بها، إلاّ أنّ دخولها في **"علاقة"** مع القولين التّاليين؛ أي قول العبور وقول الوصول، يسِمُها بـ**"الحِجاجيّة"**؛ ونستطيع، حينئذ، أن نتكلّم عن **"علاقة حِجاجيّة"**.

بعد أن يعرِض **الجاحظ** الأخبار كمقدِّمات يتقاسمها مع مُخاطَبه(المُحاجَج الهدف) في (ق01)، تأتي مرحلة إنشاء "**الأقوال الحِجاجيّة**" بدءا من قول العبور الّذي يقوم بدور الرّبط السّببيّ بين(ق01) والنّتيجة(ق02)، ويمنَح الجاحظ أهمّية بالغة لـ"**قول العبور**" حين يُنشِئ علائقه الحِجاجيّة على امتداد الرِّسالة، وهذا ما سيلحظه القارئ معنا؛ كيف لا؟ وقول العبور هو الجسر الّذي يربط بين ضفتين، يمرّ عبره المُحاجِج والمَحجوج من المقدِّمة إلى النّتيجة، ويتكوَّن من حُجّة أو من حُجج، من حُجّة بسيطة أو من حُجة مركَّبة؛ ونلحَظ أنّ **الجاحظ** ينسِج قول العبور بحجّة مركّبة ولا يكتفي بحجّة بسيطة واحدة، كي يُحيط بمخاطَبه المتردِّد ويأتيه من كلّ جانب؛ ويتعرَّف القارئ إلى تلك الحجّة الجاحظيّة بما يخلقه **الجاحظ** من ذوات نصّيّة تاريخيّة، ويُسنِد إليها صفات عقديّة وإيمانيّة وأخلاقيّة واجتماعيّة وتدبيريّة ومرجعيّة(الكتاب والسّنة)، تجعل المَحجوج يقبلها كقوانين مفهوميّة وقيميّة، تُقرُّ بنموذجيّة الطّبقة الأولى وتُثبِتُ مثاليّتها.

ثمّ يأتي قول الوصول كمرحلة نهائيّة من مراحل العلاقة الحِجاجيّة الثّلاثة؛ وهي بمثابة النّتيجة أو الخلاصة الّتي يرمي المُحاجِج إلى تقاسمها مع مَحجوجه وإقناعه بمعقوليّتها، وخلالها يعقِد **الجاحظ** هذا القول وفق ما توفِّره اللّغة من إمكانات منطقيّة: كالنّفي "ليس، لا"، والسّور "كلّ"، والوصل الإضافيّ "الواو"، وإمكانات حِجاجيّة: كدلالة المفردات المعجميّة "قبيح، فاحشة" والفقهيّة "بدعة" والسياسيّة "نزع يد من طاعة" والنّفسيّة "حسد" والاجتماعيّة "غلّ" والتّأويليّة "تأوُّل"؛ وبها يُقنِع الجاحظ مَحجوجَه بمثاليّة الطّبقة الأولى مرة أخرى بما ينفيه عنها من صفات وأفعال بعد أن أثبت لها أخرى، ويُضفي الشّرعيّة على الذّوات المذكورة في (ق01).

ونُجرِّد تلك العلاقة الحِجاجيّة بالتّرسيمة التّاليّة(منطق الحِجاج الجاحظيّ):

ق1 ← ق ع ← ق2

معطى: واقعة تاريخيّة اجتماعيّة — لأنّ: حجّة مركّبة — ف(خلاصة)

وذوات نصّيّة تاريخيّة

ق1 ← **ق ع** ← **ق2**

معطى: فحوى الخبر — إذن: نظرا إلى أنّ — فحينئذ:وبالتالي

-الطبقة الأولى نموذجيّة — -حجّة مركّبة إثباتيّة مُناصِرة — -نتيجة مركّبة نافية مناوِئة

ويتبنّى **الجاحِظ** هذه العلاقة الحِجاجيّة الّتي رسمها عن الطبقة الأولى إلاّ أنّ ما أثبته لها من صفات وأفعال أو نفاه، قامت النَّابتة بقلبه إلى النّقيض، ولنا أن نستخلص علاقة حِجاجيّة مُضمَرة، تتفرّع عن العلاقة الحِجاجيّة الأصليّة، وتشتبك معها في إطار علاقة متضادّة ومتعارِضة، ومن هنا نسمع صدى صوتين متنازعين: عارِض ومُعترِض من بداية الرِّسالة، ونمثّل للعلاقة المُضمَرة والّتي تشكّلها صفات النّابتة وأفعالها بالتّرسيمة التّالية:

أ- **ق1** ← **ق ع** ← **ق2**

معطى مُضمَر: فحوى الخبر المُضمر — إذن: — **فحينئذ:** نتيجة

النّابتة طبقات غير نموذجيّة — -حجّة مركّبة نافية مُناصِرة — -نتيجة مركّبة إثباتيّة مناوِئة

أ- ق1 ← **ق ع** ← **ق2**

معطى مُضمَر: فحوى الخبر المُضمَر — **لأنّ ونظرا إلى أنّ:** — **فحينئذ:** نتيجة

النّابتة طبقات غير نموذجيّة — -النّابتّة لم يكونوا على: — وبالتّالي ظهرت:

-التّوحيد الصّحيح. — -أعمال قبيحة

-الإخلاص المُخلَص. — -بدع فاحشة.

-الألفة. — -تمرّد.

{-اجتماع الكلمة على الكتاب والسّنّة.} { -حسد. -غلّ -تأوّل. }

إنّ هاتين العلاقتين الحِجاجيّتين: الأصليّة(الظّاهرة) والفرعيّة(المُضمَرة)، أسّسهما الجاحظ كمثالٍ يحكم بينه وبين مخاطَبه فيما يخصّ العلائق الحِجاجيّة الواردة بعدهما في الرِّسالة؛ فهما معيارٌ مرجعيٌّ يقارب به المتحاجّان ما سيأتي من الأحداث والصِّفات والتّأوّلات الّتي ابتدعتها النّابتة، ليعرف القارئ مدى جورها وزيغها وبعدها عن الحق.

ونلخّص العلاقتين في الشّكل التّالي:

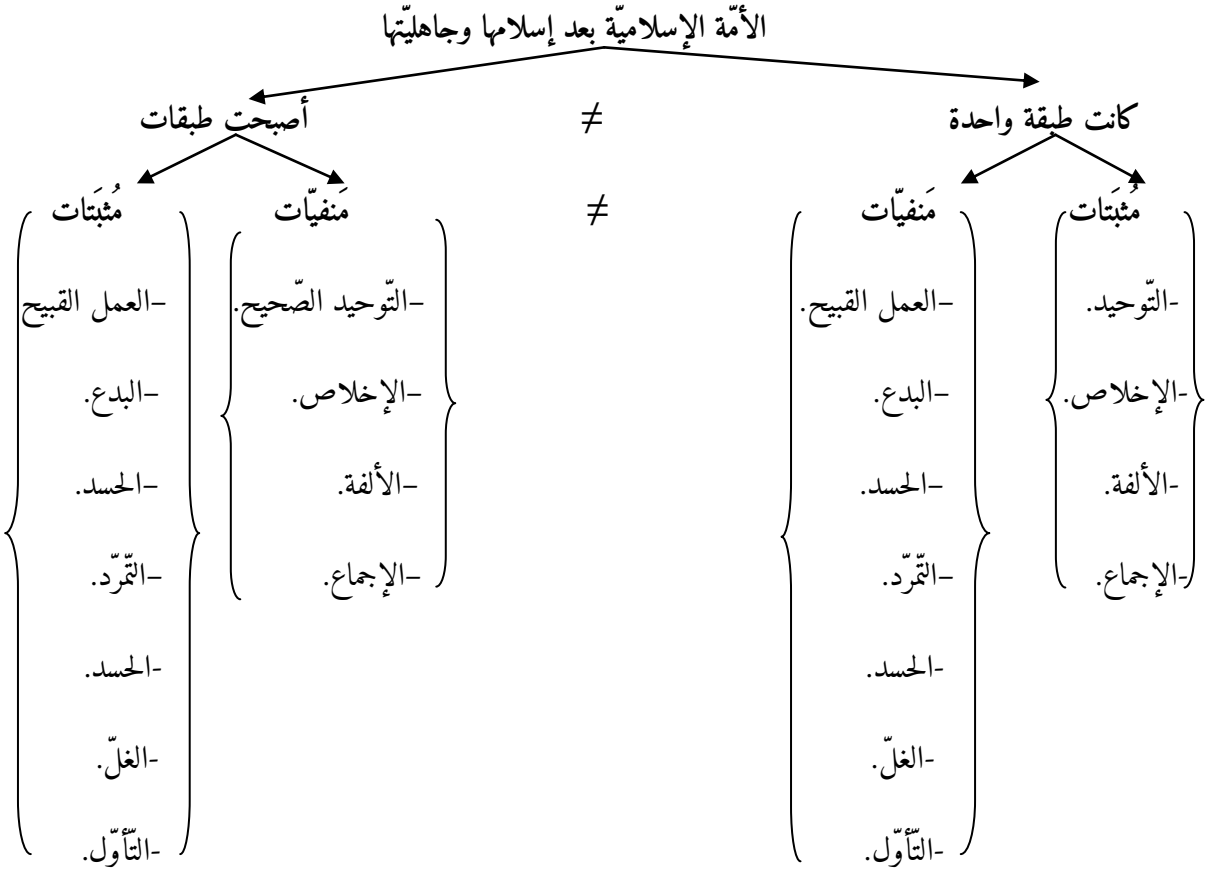

1- مكوِّنات الإنجاز الحِجاجيّ في الرِّسالة: تمثّل هذه المكوِّنات الجانب الذّاتيّ الّذي يُبرِز شخصيّة الجاحظ بإعلان مواقفه من الأخبار والمعطيّات وصياغته للعلائق الحِجاجيّة في إطار

إشكاليّة ما، يسعى لحلّها؛ حيث ينقل المُعطيّات المعلومات من طابعها الإخباريّ إلى كونها أطروحة أو مرافَعة أو مناظَرة أو محاوَرة أو مفاوَضة، تدفع إلى إنشاء الحدَث الإقناعيّ.

يتّخذ **الجاحظ** من(ق01) موقفا مناصِرا للطّبقة الأولى وشخصيّاتها، ويصدِر أحكاما تقويميّة لأعمالها الدّينيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة النّموذجيّة في قول العبور، ويُبرِّر موقفه بالاعتراض على أسئلة افتراضيّة قد يطرحها الفاعل الهدَف؛ فيُقِرّ صفاتٍ وأفعالاً وينفي أخرى(ق02)، والمشكلة الّتي يعالجها **الجاحظ** تكمن في: التّحوّلات الجذريّة الّتي مسّت الأمّة الإسلاميّة الفتيّة في جميع جوانب الحياة، والانقلاب المفهوميّ الّذي أصاب الأصول، ويظهر أنّ الجاحظ اتّخذ موقفا حياديّا حيث فسَح المجال لصوتين متنازعين وهما: **صوت العارِض**، ويظهر في صيغ الإثبات وأدواته، **وصوت المُعترِض**، ويتجلّى في النّفي وأدواته، ويتأرجح الجاحظ منذ إنشائه العلاقة الحِجاجيّة(01) بين فعلين متناظرين: **فعل تبريريّ وفعل دحضيّ.**

2- نماذج التّشكّل:

- **مقام التّبادل:** سلَك **الجاحظ** في رسالته حوارا أحاديّا(مونولوج)؛ حيث لا يشارك أبو الوليد بن أحمد بن أبي دؤاد في بناء الحِجاج عبر الرّدود والاعتراضات الّتي قد يثيرها من حيث هو متلقٍ مباشرٌ، وعلى الرّغم ممّا يسمح به شكل النّص المختار من الأحاديّة الحواريّة إلاّ أنّ **الجاحظ** افترض متلقٍ ناقدًا وبصيرًا، تُؤَشّر اللّغة على حضوره بالقوّة في ذهن **الجاحظ**، فنراه يفترض اعتراضاته وأسئلته، ويشعر قارئ الرّسائل بصوتين متحاورين، يرمي أحدُهما إلى اقناع الآخر ذهابا وإيّابا، ولا ضير في هذا السّبيل، فقد اختار **الجاحظ** مخاطَبه وهو: أبو الوليد بن أحمد بالإضافة إلى جمهور القرّاء في كل عصر ومصر.

3- عقد الكلام: موضوع الرِّسالة هو الفِرق النّوابت والطّوائف الّتي ظهرت بعد طبقة عصر النّبي والخلفاء، ويحرِص الجاحظ قبل أن يعقِد كلامَه على النّوابت يعقِد علاقة حِجاجيّة مرجعيّة أوّلية، يُوفِّر لنا من خلالها مفاتيح الفهم والتّأويل والقياس لِما آلت إليه النّوابت والمبتدِعة، ونُجرِّد عقد الكلام الخاصّ بالعلاقة الحِجاجيّة الأولى كما يلي:

خبر ← حكم ← حدَث إقناعيّ

{إخبار عن الأمّة الإسلامية والطبقة الأولى} {-أحكام قيميّة يُصدِرها الجاحظ} {-لأنّ: بُنى النّفي}

4- **مواقف الجاحظ:**

أ-موقفه من الخبر: يظهر موقفه، بخصوص الطبقة الأولى، موقف المُسانِد، وهذا الموقف يُعبِّر عن حالة إتّحاد مع الخبر، ونعرفه من الحكم والحدَث الإقناعيّ.

ب-موقفه من صانع الخبر: أنشأ الجاحظ كونا قوليّا، يمثِّل خبَرا بشأن تجربة تاريخيّة لشخصيّات واقعيّة، أسهمَت في صناعة التّاريخ وتوجيهه في حقبة زمنيّة مخصوصة، حيث يُضمِر الجاحظ موقفَه الرّافض للشّخصيّات الّتي شكّلت الطّوائف الأخرى وموقفَه المُتّحد مع شخصيّات الطّبقة الأولى، ولا يتوقّف الجاحظ عند حدود إعلان الموقف من وضع صانع الخبر، بل يتجاوز هذا إلى التزام إنشاء الحدث الإقناعيّ وراء موقفه الرّافض أو القابل.

-تعابير قابلة لوضع باثّ الخبر:

-تعابير ذات التّبرير الذّاتي لوضع باثّ الخبر: يوظِّف الجاحظ تعابير في قول العبور وقول الوصول، مثل: كانوا على التّوحيد الصّحيح (سلطة عقَديّة)، مع الألفة (سلطة اجتماعيّة)، واجتماع الكلمة على الكتاب والسّنّة (سلطة مرجعيّة ومنهجيّة ومعرفيّة).

جـ-مواقف بالنّسبة للحِجاج الّذي قدّمه: نقرأ التزام الجاحظ من بداية النّص حين يُعبّر عن التزامه بالانخراط في الحِجاج ضمن الإشكاليّة المطروحة بشأن: التّحولات الّتي طرأت في الأمة الإسلاميّة وظهور الطبقيّة والطّوائف المتنازِعة والاغتيالات السّياسيّة والفتن والحروب، حيث يتبنّى تصنيف الأمّة الإسلاميّة الفتيّة إلى طّبقات ويُحدّد خصائصَ كلّا منها، ويدافع عنها بما يُثبته لها من صفات وأفعال وينفي عنها أخرى(عمل قبيح، بدعة فاحشة، نزع يد من طاعة، حسد، غلّ، تأوّل)، ويظهر أنّ الجاحظ متجرّد الذّات ملتزِم الحيادِ حين يتعلّق الأمر بهذه الطّبقة النّموذجيّة الّتي يشهد لها التّاريخ والسّيرة، ونلحَظ بعض حالات الحياد الذّاتيّ المُعلَن، وهي: العبارات التّقريريّة:(اِعلم أنّ..)، (ليس هناك..)، وغياب ضمير المتكلّم وحضور ضمير الغائب(إسلامها، جاهليّتها، كانوا على..)، وهذا لا يعني الحياد التّامّ والانسحاب الكلّي من العمليّة الحِجاجيّة وإنّما يتسلّل الجاحظ خلف النّعوت والتّصنيفات والأحكام والمُثبَتات والمَنفيّات الّتي أوردها، ويُضمِر ذاتَه فاعلا مُحاجِجا.

وتتموقع العلاقة الحِجاجيّة الأولى في خطاب الرّسالة ككلّ بأنّها تقدّم لنا المثال المرجعيّ، نقيس به حجم التّحوّلات الطّارئة في الأمّة الإسلاميّة ومدى اقتراب الطّبقات الأخرى من طبقة عصر النّبي أو ابتعادها، وتوفّر لنا درجات من المعقوليّة الحِجاجيّة من خلال أدوات البرهَنة اللّسانيّة لإيقاع التّصديق من المتلقّي.

- ✓ **العلاقة الحِجاجيّة الثّانية:** مقتل عثمان رضي الله عنه.

قول الانطلاق	قول العبور	قول الوصول
-حتّى كان الّذي كان من قتل عثمان رضي الله عنه وما انتُهِك منه، ومن خبطهم إيّاه	-مع تعريفه لهم قبل ذلك من كم وجهٍ يجوز قتل من شهد الشّهادة، وصلّى القبلة، وأكل	ثمّ مع ذلك كلّه دمروا عليه وعلى أزواجه وحُرَمه، وهو جالس في محرابه، ومصحفه

بالسّلاح، وبعج بطنه بالحِراب، وفري أوداجه بالمشاقص، وشدخ هامته بالعَمَد، مع كفّه عن البسط، ونهيه عن الامتناع (ص7).	الذّبيحة؛ ومع ضرب نسائه بحضرته، وإقحام الرّجال على حرمته، مع اتّقاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها، حتّى أطنّوا إصبعين من أصابعها، وقد كشفت عن قناعها، ورفعت عن ذيلها؛ ليكون ذلك ردعا لهم، وكاسرا من عزمهم؛ مع وطئهم في أضلاعه بعد موته، وإلقائهم على المزبلة جسده مجرّدا بعد سحبه، وهي الجزرة الّتي جعلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كفوا لبناته وأياماه وعقائله؛ بعد السّب والتّعطيش، والحصر الشّديد، والمنع من القوت؛ **مع احتجاجه** عليهم، وإفحامه لهم، **ومع اجتماعهم** على أنّ دم الفاسق حرام كدم المؤمن، إلاّ من ارتدّ بعد إسلام أو زنى بعد إحصان، أو قتل مؤمنا على عَمَد، أو رجل عدا على النّاس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطبُه؛ **ومع اجتماعهم** على ألاّ يُقتل من هذه الأمّة مولٍّ، ولا يُجهز منها على جريح.	يلوح في حِجره (ص08). -لن يُرى أنّ موحِّدا يُقدم على من كان في مثل صفته وحاله (ص08). -لا جرَم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته، ولا تسكن فورته، ولا يموت ثائره، ولا يكلّ طالبه، وكيف يضيع دمٌ الله وليُّه والمنتقِم له؟! (ص09). -وما سمعنا بدمٍ بعد دم يحي بن زكريا عليه السّلام غلا غليانه، وقتَل سافحَه، وأدرك بطائلتَه، وبلغ كلَّ محنته، كدمه رحمة الله عليه (ص09).

ونمثّل هذه العلاقة الحِجاجيّة الثانيّة بالتّرسيمة التّالية:

قول الانطلاق ← **قول العبور** ← **قول الوصول**

معطى: واقعة مقتل عثمان

حجّة مركّبة: -مع كفّه...
-مع تعريفه لهم...
-مع اتّقاء نائلة...
-مع وطئهم في أضلاعه..
-مع احتجاجه عليهم..
-مع اجتماعهم...
-مع اجتماعهم...

نتيجة (خلاصة):
ثمّ بعد ذلك كلّه:
-دمروا عليه وعلى أزواجه وحرَمه وهو جالس في محرابه ومصحَفه يلوح في حِجره.
-لن يُرى أنّ موحِّدا يُقدم على من كان في مثل صفته وحاله.
-لا جرَم لقد...
-وما سمعنا بدم...

بخصوص قول الانطلاق في هذه العلاقة الحِجاجيّة(02)، يرسم لنا **الجاحظ** واقعة مقتل عثمان في مشهد دراميّ سريع الأحداث، ويذكر حتّى الأدوات الّتي استخدمها الجناة في قتله بشكل مُفجع صادم؛ هذه الواقعة البشعة الّتي راح ضحيّتها صحابيّ جليل واحد من صحابة رسول الله، وهذا الخبر الدراميّ يرتبط بقول العبور وقول الوصول ليُشكّل علاقة حِجاجيّة تامة الأركان؛ ونظرا لأهمّية قول العبور يحرص الجاحظ على إيراد الحجج الكافية وتنويعها، كأنّها تتحاور وتتنازع وتتّجه نحو تأكيد النّتيجة المُحصَّلة في قول الوصول(ق2)، ونفصّل أمرَها كما يلي:

أ- **قول العبور:** يخلق **الجاحظ** كونا قوليّا تتقاسمه ثلاثُ شخصيّات، ويُسنِد إليها أفعالا وصفاتٍ وأدوارًا تؤدّيها في علاقتها المتوتّرة فيما بينها، حيث ذكر **الجاحظ** أنّ:

- **عثمان** رضي الله عنه: عرَّف الجناة من كم وجه يجوز قتل: من شهد الشّهادة، وصلّى القبلة، وأكل الذّبيحة. مع احتجاجه عليهم، وإفحامه لهم.
- **زوجة عثمان** (بنت الفُرافِصة): اتّقاؤها عنه بيدها، كشفت عن قناعها، رفعت عن ذيلها ليكون ذلك ردعا لهم وكاسرا من عزمهم.

• **الجناة** (قتلة عثمان):-ضربوا نساءه بحضرته-أقحموا الرّجال على حُرمَته-أطنّوا إصبعين من أصابع زوجته-وطأوه في أضلاعه بعد موته-ألقوا على المزبلة جسده بعد سحبه وهي الجزرة الّتي جعلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كفوا لبناته وأياماه وعقائله؛ بعد السّبّ والشّمّ والحصر الشّديد والمنع من القوت.

• **إجماع عثمان والجناة:** كلّهم مُجمعون على أنّ: 1-دم الفاسق حرام كدم المؤمن إلاّ:2-من ارتدّ بعد إسلام أو 3-زنى بعد إحصان أو 4-قتل مؤمنا على عمَد أو 5-رجل عدا على النّاس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطبه. ومجمعون أيضا على أن: 6-لا يُقتَل من هذه الأمّة مولٍّ و7-لا يُجهَز منها على جريح.

نذكّر القارئ بأنّ المرور من قول الانطلاق إلى النّتيجة أو القصديّة الّتي يريد **الجاحظ** إثباتها ليس أمرا إعتباطيّا، وإنّما يلعب قول العبور دور الرّبط بينهما، ويتضمّن جملة الحُجج الّتي أوردها **الجاحظ** لما قام به عثمان وزوجه والجناة، ويقدّمها بين يدي محاجَجه كونا من الأسباب والمبرّرات، فتوجّهه نحو الطّريقة الّتي يجب أن يُفسّر بها الجريمة ويؤوّلها ويحكم على جناتها بناء على معرفته بالعالَم وتجاربه الشّخصيّة والاجتماعيّة، ونلخّص العلاقة الحِجاجيّة(2) في عبارة، يقصد **الجاحظ** إلى الدّفاع عنها وترسيخها في ذهن مُحاجَجه، وهي:

- إنّ قتلة عثمان هم كفرة وطغاة.

ب- قول الوصول: في هذا القول الثّالث من أقوال العلاقة الحِجاجيّة، يُفصح **الجاحظ** عن مراده بما يُضمِره في مقتضيات العبارات الّتي أوردها في(ق2)، نحو المقتضى: الجناة كفرة وطغاة؛ ويُخرج هذا المقتضى إخراجا حِجاجيّا بارعا، حين يعمُد إلى توظيف المؤشّرات الخِطابيّة(ثمّ؛ التّرتيب والتّعقيب، بعد؛ ظرف زماني للتّحقيب، ذلك؛ عنصر إحالي، كلّه؛ سور منطقي)؛ ويستعيد إلى ذهن المُحاجَج ما سبق أن ذكره من معطيات وأحداث ومبرّرات بالإحالة الإشاريّة(ذلك) والإحالات الضّميريّة العائدة إلى عثمان والجناة وحرَمه وممتلكاته؛ فقد دمروا عليه وعلى ممتلكاته، وهي ممتلكات ثمينة ومقدّسة في حياته: أزواجه وحرَمه، محرابه ومصحفه، ويعتمد الجملة الحاليّة المسبوقة بـ واو الحال؛ و الجمل

الحاليّة تناسب أسلوب الوصف والتّشخيص والتصوير والسّرد؛ وهذا العمل أشبه بـ **الفلاش باك** في الأفلام.

ويتوسّل **الجاحظ** وسيلة تواصليّة حِجاجيّة عميقة، تفتح المجال للمُحاجَج أمام التّأمّل والاعتبار، وهي النّصبة: وتُعرَف بالحال الدّالة من دون لفظ؛ فأمامنا عثمان بن عفّان جالس في محرابه، وما يحمله هذا المؤشّر المكانيّ من خصوصيّة ثقافيّة واجتماعيّة وقداسة، وهذا ما يزيد من جسامة الكارثة الّتي حلّت بالأمّة الإسلاميّة؛ إذ ليس هناك اعتبار للكرامات والحرمات والمحاريب والمصاحف والمقدَّسات، وللمكاسب الحضاريّة والدّينية...وطالما أنّ التّواصل هنا بصريّ، يستنطق **الجاحظ** النُّصبة ويؤوِّلها بعبارة حاسمة تتصدّرها أداة النّفي (لن) الجازمة، بواسطتها يجزِم **الجاحظ** نفيَه لتكرار هذا المَشهد الدّراميّ فيما يستقبله النّاس من الزّمان، ونصِل إلى موقف **الجاحظ** وهو ما تُوجِزه عبارة:"لن يُرى أنّ موحِّدا يُقدم على من كان في مثل صفته وحاله"، ونُخرِج موقف **الجاحظ** تارة أخرى بقولنا: ما فعله قتلة عثمان لا يفعله إلاّ كافر جاحد بوجود إله.

ونُجرِّد العلاقة الحِجاجيّة (2) بالتّرسيمة التّالية:

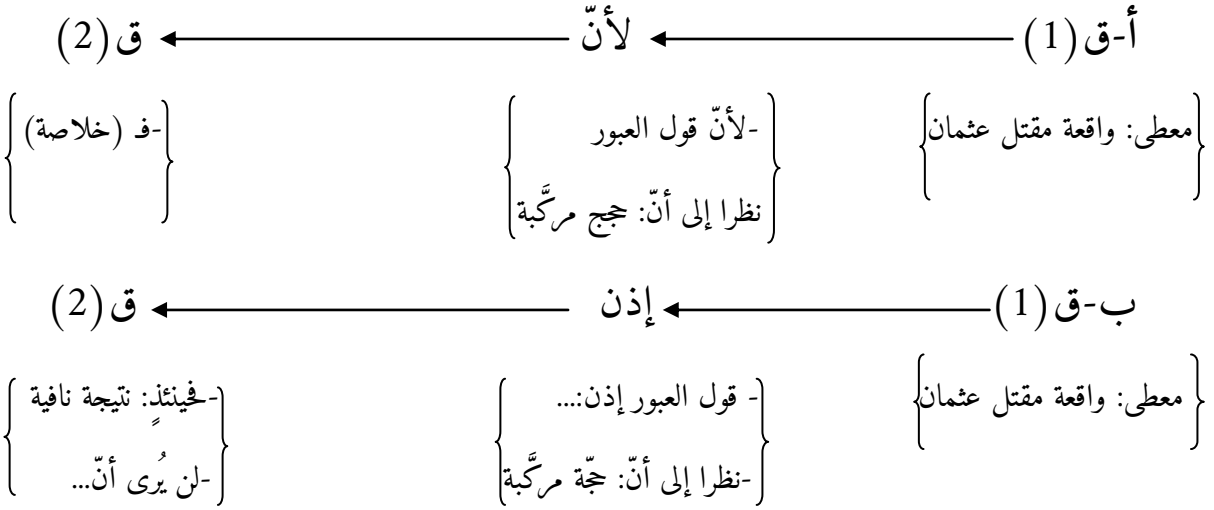

ونقرأ العلاقة الحِجاجيّة في التّرسيمة "أ" هكذا:

-إنّ قتلة عثمان رضي الله عنه(ق1) ليسوا موحِّدين(ق2) لأنّهم فعلوا ما فعلوه(ق ع)؛ وحتّى يقتنع المُحاجَج بموقف الجاحظ(ق2) يُفصِّل له الحُجج في(ق ع) ويُنوِّعها، ويجمع بين أسلوبين اثنين في إخراجها اللّسانيّ: عقلي وتأثيريّ.

وأمّا في التّرسيمة "ب" فنقرأها هكذا:

-الجناة قتلوا عثمان رضي الله عنه(ق1) إذن هم ليسوا موحِّدين(ق2) نظرا إلى أنّهم فعلوا ما فعلوه(ق ع)؛ فأدوات الرّبط الحِجاجيّة بين(ق1) و(ق2) وهي: إذن، لأنّ، نظرا إلى أنّ، وبالتّالي، فحينئذ، وكلّها أدوات لم يعلِن **الجاحظ** عن ذكرها حرفيّا لكنّ القراءة الحِجاجيّة تسمح بتمثّلها، وهي تتشكّل في وعي المُحاجَج كعلاقات شبه منطقيّة تحكم سير الحِجاج من(ق1) إلى(ق2) وتأويل الواقعة وبناء الموقف، وتدفعه إلى تبنّي مقتضى قول الوصول أو النّتيجة، ومضمونه:"القتلة ليسوا موحِّدين".

1- **الجهاز الحِجاجيّ:** يُنجِز **الجاحظ** هذه العلاقة الحِجاجيّة(02) في سياق جريمة اغتيال بطريقة غير عادية، طالت أحد رموز الخلافة الإسلاميّة، وهو عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وقد استغلّ **الجاحظ** مقدرتَه اللّغويّة في رسم معالِم الجريمة بأسلوب تصويريّ، يُشخّص عملية القتل، وينقُل إلى القارئ جزئيّات الموقف وبشاعة المشهد وما رافقهما من غلٍّ دفينٍ في صدور الجناة؛ فيذكر الأدوات الّتي اُستُعملت في الجريمة: السّلاح، الحِراب، المَشاقِص، العَمَد؛ وهي أدوات اِبتكرها الإنسان ليدافع بها عن نفسه ممّا يتهدَّده من المخاطر، ويحارب بها أعداءه بل ويستخدمها في الصّيد وغيره، إلاّ أنّ هذه الوسائل الحضاريّة استحالت وسائل همجيّة تقتل الأحبّة والرّفاق وتغتال صحابة رسول الله وتُنكِّل بهم، ويضع **الجاحظ** المخاطَب أمام ركح المسرح، فتمرّ أمام عينيه المَشاهد دراميّةً متسارعةً فقد: خبطوه بالسِّلاح...بعجوا بطنَه...فروا أوداجَه...شدَخوا هامَته...

ويرتبط خبر الاغتيال هذا بإشكاليّة **المَشروعيّة**؛ يصوغها **الجاحظ** بصورة ضمنيّة في العبارات الّتي تَضمَّنها قول العبور بالنّحو التّالي: ما مدى حِلّيّة الاغتيال وحُرمَته؟ ما هو الحُكم أو الموقف الّذي يجب أن يُتَّخذ على الجناة؟، ولا يكتفي الجاحظ بإيراد خبر الجريمة وطريقتها والوسائل المستخدَمة فيها بل يمضي في ربط هذا الخبر بقول العبور وقول

الوصول (القصديّة)، ولولا هذا الرّبط لَمَا كان هناك حدثٌ حِجاجيٌّ؛ فالخبر مهما كان جليلا فهو خبر يحوي معلوماتٍ ووقائع معيّنة، ولكنّ تدخّل المُحاجِج يَجعلها ذات وظيفة حِجاجيّة حين يربطها بمشكلة واقعة ونتيجة تأويليّة، وهذا ما فعله **الجاحظ**، فسحب البساط من تحت قدمي الجناة؛ فاغتيالهم لـ عثمان بن عفّان لا مشروعٌ بغض الطّرف عن الوحشيّة نظراً إلى إجماع الأمّة على أنّ: دم الفاسق حرام كدم المؤمن، وألاّ يُقتَل من هذه الأمّة مولٍّ أو جريحٌ، وألاّ يحِلّ دم امرئ مسلم إلاّ دم المُرتَدّ، والزّاني المُحصَن، والقاتل المُتعَمِّد، والمعتدي على النّاس بسيفه، فما بالك بدم خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ وأين يتنزَّل دم عثمان من بين تلك الشّروط والاستثناءات السّابقة المُجمَع عليها حتّى يحِلَّ دمه ويجوز قتله؟.

يضع **الجاحظ** تلك المعطيات بين يدي المَحجوج المُعانِد، ويفترض أسئلتَه الفقهيّة والمنهجيّة والأصوليّة فيُبادره بكومة من الأجوبة كحُجج حاسِمة، تشكّل المخيال الجماعيّ الفقهيّ المشترَك كحدٍّ أدنى بخصوص الدِّماء وقتل النّفس الّتي حرّم الله إلاّ بالحقّ، ولا يتسرّع **الجاحظ** إلى إعلان حُكمه إلاّ بعد أن يُمهِل المُحاجَج كي ينظر في قول العبور، حتّى إذا ما اقتنع بحُججه أخذه إلى نتيجتِه المقرّرة في قول الوصول ويُعلِن عن قصديّته وموقفه من المشكلة المحتواة في العلاقة الحِجاجيّة وهو: قتلة عثمان ليسوا كتابيّين أو موحّدين، ولا ينتمون إلى دين من الأديان، ويحتوي قول الوصول أدوات النّفي الجازمة المُعبِّرة عن موقف **الجاحظ** الرّافض للوضع الّذي آلت إليه الأمّة الإسلاميّة، وهي: لن يُرى، لا، ما سمعنا، والسّوال التّعجّبيّ: كيف يضيع دمٌ، الله وليّه والمُنتقم له؟، ويُشبِّه دم عثمان بدم يحي بن زكريا.

ونُوجز مكوِّنات الجهاز الحِجاجيّ في التّرسيمة التّالية:

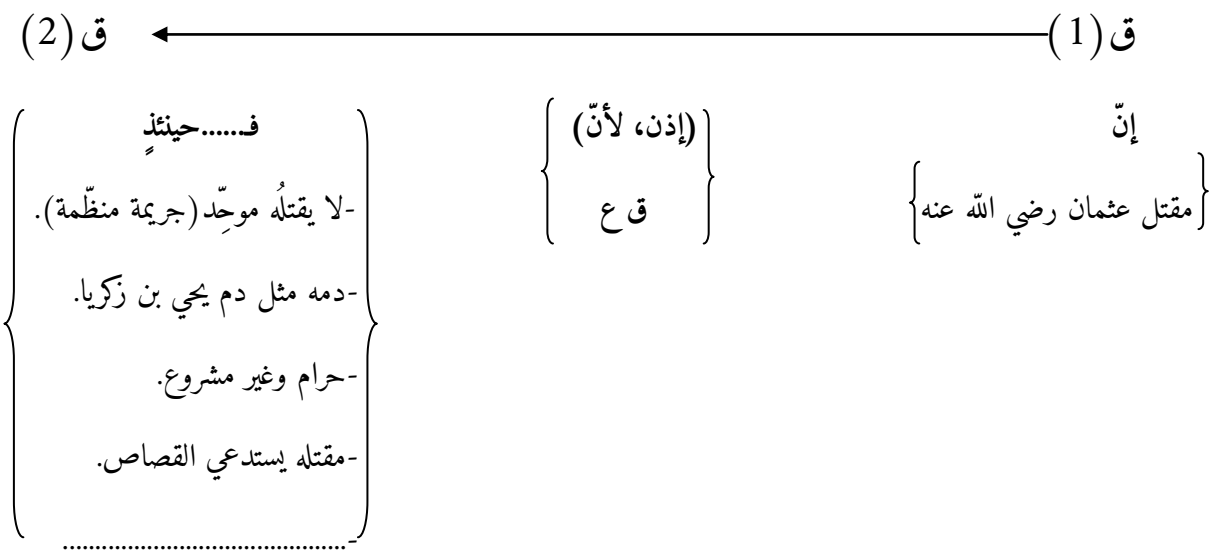

2- تشكيل العلاقة الحِجاجيّة الثّانية (02):

▪ **مقام التّبادل:** سلَك الجاحظ خلال هذه العلاقة الحِجاجيّة الثّانية حوارا متعدّد الأصوات (polyphonie) في مقام اِفتراضيّ، يمكن إِخراجه على رَكح المَسرَح، ويقف أبو الوليد بن أحمد والجمهور المتلقّي موقفَ المُشاهِد والحَكَم والمؤوِّل للمعطيات، وتُؤشّر اللّغة على حضور المتلقّي في ذهن الجاحظ، ويبدو أنّه لا يفرض رأيَه وتأويلَه على ابن دؤاد وجمهور القرّاء بل يَفسَح لهم مجال النّظر في رَكح المسرَح وما يحويه من:

المكان: مَقتَل عثمان.

الزّمان: الحقبة التّالية لستّ سنوات من حُكمه.

الفاعلون (الشّخصيّات): عثمان بن عفان، نائلة بنت الفرافصة زوجه، قتلة عثمان.

العقدة: تتمثّل العقدة في المشكلات التّالية:

- قتل الجناة عثمان، وأطنّوا اصبعين من أصابع زوجه.
- هل قتله حلال أم حرام؟.
- قتلة عثمان خرقوا إجماع الأمّة.

الحوار: جرى الحوار بين عثمان وقتلته، ويُخرِج الجاحظ موضوعه في شكل سؤال وهو: مِن كم وجه يجوز قتل من شهد الشّهادة، وصلّى القبلة وأكل الذّبيحة؟، وكانت نتيجة الحوار أن حاجَّ عثمان خصومَه وألجمهم بالحُجّة فتمّ الإجماع على ما ورد في قول العبور السّابق.

المَشاهِد: تتكوّن القطعة المسرحيّة من المَشاهِد التّالية:

- **مَشهد** (1): الجناة يَضربون نساء عثمان وهو حاضر.
- **مَشهَد** (2): الجناة يُقحِمون الرِّجال على حرمة عثمان.
- **مَشهَد** (3): نائلة بنت الفُرافِصة زوج عثمان، تتّقي بيدها عن زوجها، وتكشف عن قناعها، وترفع عن ذيلها.
- **مَشهَد** (4): يَطُنُّ الجناة اصبعين من أصابعها.
- **مَشهَد** (5): يَطأ الجناة أضلاع عثمان بعد قتله.
- **مَشهَد** (6): يَسحَب الجناة جسد عثمان مُجرَّداً، ويُلقُونه في المزبلة.

وبعد أن يُشاهِد المتلقّي المَحجوج هذه القطعة المسرحيّة الدّراميّة، ويعتبِر زمانَها ومكانَها، وشخصيّاتها والتزاماتها، وأدوار كلّ واحدة منها، وموضوع حوارها، وخروقات بعضها لِما أجمعت عليه، ويُتابِع مُجرَيات الأحداث، يُبادِره **الجاحظ** بتأويله لموقفه من الوقائع والأخبار المَسرودة، ويُقِرُّ بـ: لن يُرى أنّ موحِّداً يُقدِم على من كان في صفته وحاله، ونحن بدورنا نُجزِم أنّ مَن شاهَد تلك القطعة الدّراميّة في دار السّنيما، لا ينتهي إلاّ ما انتهى إليه **الجاحظ** من حُكمٍ وموقفٍ وتأويل.

3- **عَقد العلاقة الحِجاجيّة الثّانية(2):** موضوع العلاقة الحِجاجيّة(2) هو: قضية قتل عثمان، هل هو مشروع أم لا؟ ويحبكها الجاحظ هذه القضية كما يلي:

خبر ← حكم ← حدث اقناعيّ

{واقعة مقتل عثمان وطريقته} {أحكام فقهيّة تخصّ اجماع الأمّة: -دم الفاسق حرام كدم المؤمن. -استثناءات تخصّ قتل نفس مؤمنة. -انتهاك المحرّمات والحرمات(اقتحام المحارم، التّنكيل بالجثث،قتل مولٍ، الإجهاز على الجرحى، لا اعتبار للمصحف والمحراب).} {(لأنّ، إذن): بنى النّفي -لن يُرى موحِّدا. -ما سمعنا بدم.... بنية التّشبيه: -دمه كدم يحي بن زكريا -.....}

4- مواقف الجاحظ:

أ- **موقفه من الخبر:** يظهر الجاحظ في حالة اتّحاد مع خبر مقتل عثمان، ويُقدِّمه للمتلقي كحقيقة تاريخيّة لا شكّ فيها بقوله:"حتّى كان الّذي كان من مقتل عثمان"، ويُصوِّر مقتله بأسلوب الوصف التّفصيلي لطريقة القتل الوحشيّ، وهذا الموقف يدفع الجاحظ إلى إنشاء حدثٍ حِجاجيّ، يُجيب فيه إجاباتٍ عن أسئلة مفترَضة، تشكِّل في مجموعها الأحكامَ والحُججَ المُوطِّئة للعبور إلى النّتيجة في الحدث الإقناعيّ.

ب- **موقفه من باثّ الخبر:** اتّخذ الجاحظ موقف المُسانِد لـ عثمان بن عفّان والمُضادّ لقتلته، ويظهر هذا الموقف في المؤشّرات اللّغويّة التّالية:

-تعابير مُسانِدة لعثمان بن عفّان: قوله"رضي الله عنه"، "مع تعريفه لهم"، "مع احتجاجه عليهم، وإفحامه لهم"، "ومع إجتماعهم على أنّ"، "ثمّ مع ذلك كلّه دمروا عليه"، "لن يُرى أنّ موحِّدا يُقدِم على من كان في صفته وحاله"، "رحمة الله عليه"، "دمه كدم يحي بن زكريا"، "لاجرم لقد احتلبوا به دما"، وإلى جانب تلك العبارات، يكثُر أسلوب النّفي الّذي يعبِّر عن الرّفض الشّديد لهذا الفعل.

-تعابير ذات التّبرير الذّاتي لوضع باث الخبر: يُبرِّر الجاحظ وضع عثمان وقتلَته بتعابير منها: ما قاله عثمان لخصومه ووضع لهم شروطا تُجيز قتل النّفس المؤمنة نحو"من كم وجه يجوز قتل..."، وما أجمع عليه القوم إجماعا إيجابيّا بأنّ "دم الفاسق حرام كدم المؤمن"،

والتّركيب الاستثنائيّ "إلاّ مَن..."، والإجماع السِّلبيّ "ومع إجماعهم على ألاّ..." والاستفهام التّعجبيّ "كيف يضيع دم الله وليّه والمُنتقِم له".

ويُلاحَظ أنّه في الحدث الإقناعيّ تردّد أسلوب النّفي الّذي يعبّر به الجاحظ عن مدى رفضه للجريمة وإدانة المتورّطين فيها.

جـ-مواقف الجاحِظ بالنّسبة للحِجاج الّذي قدّمه: خلال هذه العلاقة الحِجاجيّة لن يجد القارئ مؤشّرات للذّات المتكلّمة، ولا يظهر دورها الحِجاجيّ من خلال الضّمير "أنا" الصّريح، إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّ **الجاحظ** لا يَصدر عنه موقفٌ أو حكم أو حِجاج، وإنّما يُورد حججَ المتنازعين وما اتّفقوا عليه وأجمعوا عليه من أحكام فقهيّة تُلزِمهم الحجّة، بيد أنّ الجاحظ يُعلِن عن الخروقات للإجماع والاعتداء الذّي حصل من طرف قتلة عثمان، وبالتّالي فهذا القتل مُدان شرعا بالنّسبة إليه، بالإضافة إلى تعليقه على الواقعة(الحدث الإقناعيّ، قول الوصول).

ويُلاحِظ معنا القارئ أنّ هذه العلاقة الحِجاجيّة الثّانية أولى صيغة من صيغ الكوارث الحضاريّة والإنسانيّة الّتي حلّت بالأمّة الإسلاميّة على كافّة الأصعدة، وما اتّسمت به من بشاعة وتجاوزات وتنازع على السّلطة.

✓ **العلاقة الحِجاجيّة الثالثة(03):** استمرار الفتن وترادف الحروب.

قول الانطلاق	قول العبور	قول الوصول
-ما زالت الفتن متواصلة والحروب مترادفة(ص10).	-كحرب الجَمَل، وكوقائع صِفّين، وكيوم النّهروان، وقبل ذلك يوم الزّابوقة، فيه أُسِر ابنُ حُنَيف وقُتِل حُكَيم بن جَبَلة(ص10).	-إلى أن قَتَل أشقاها عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فأسعده الله بالشّهادة، وأوجب لقاتله النّارَ واللّعنة(ص10). -إلى أن اعتزل الحَسَن عليه السّلام الحروبَ وخلّى الأمور عند انتشار أصحابه وما رأى من الخلل في عسكره، وما عَرف من اختلافهم على أبيه وكَثرة تلوُّنهم عليه(ص10).

نرسم هذه العلاقة الحِجاجيّة الثّالثة بالتّرسيمة التّالية:

قول الانطلاق ← قول العبور ← قول الوصول

معطى: استمرار الفتن والحروب

لأنّ: حجّة مركّبة

- كحرب الجمل.
- كوقائع صفّين.
- كيوم النّهروان.

قبل ذلك:

- يوم الزّابوقة (فيه أُسِر عثمان بن حنيف)
- وقُتِل حكيم بن جبلة (أحد عمّال عثمان بن عفّان على السَّند ثمّ على البصرة، وكان بعد ذلك أحد قتلة عثمان رضي الله عنه).

فحينئذٍ: نتيجة (خلاصة).

- إلى أن قَتل أشقاها علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فأسعده الله بالشّهادة وأوجب لقاتله النّار واللّعنة.
- إلى أن: اعتزل الحسن عليه السّلام الحروب، وخلّى الأمور عند انتشار أصحابه وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلوّنهم عليه.

موضوع هذه العلاقة الحِجاجيّة (03) هو استمرار الحروب والفتن بعد مقتل عثمان؛ ففي قول الانطلاق يُقرّ الجاحظ خبرا واقعيّا لا ريب فيه، يفتتحه بإحدى أخوات كان وهي "مازال" الدّال على الاستمراريّة ليشُدّ به انتباه المَحجوج إلى متابعة ما يتلوه من وقائع وحروب وفتن ومعارك وخسائر في الأرواح والمكاسب، وقد أجمل الجاحظ في قول الانطلاق حُكما عامّا، يحتاج إلى تفصيل ومشاركة المتلقي الرّأي والموقف والنّتيجة، وسرعان ما يُفصّل في قول العبور ما أجمله في قول الانطلاق؛ يُشخّص فيه الوقائع والأسرى والمقتولين، ويجعلها شريطا سينيمائيّا دراميّا أمام عين المتلقي، فتمرّ المَشاهد متتاليّةً متّصلةً في ذاكرته بإيقاعٍ مدوٍّ وسريعٍ مخلّفا أصداء غاضبة لدى المتلقي نحو: حرب

الجمل، وقائع صفّين، يوم النّهروان، يوم الزّابوقة، عثمان بن حنيف أسير، حكيم بن جبلة قتيل...

إنّ قول العبور هذا يؤكّد للمتلقي الشّاكّ المعترِض المسارَ الدّراميّ الذّي انحدرت إليه الأمّة الإسلاميّة منذ مقتل عثمان رضي الله عنه، حيث إنّ القتل لم يكن متوقّفا عند حدود الاغتيالات السِّياسيّة فحسب، بل أصبح ظاهرة اجتماعية وثقافيّة لا تستثني أحدا، وفي تماسك عموديّ بين قول العبور في العلاقة الحِجاجيّة(02) وقول العبور في العلاقة الحِجاجيّة(03)، ينمو النّص الحِجاجيّ نموّا تاريخيّا وفقهيّا ونفسيّا واجتماعيّا متواصلا في ذهن المُحجوج ونفسه، يدفعه إلى تقاسم آراء الجاحظ والاقتناع بها.

وخلال قول الوصول من العلاقة الحِجاجيّة(03) يُعرِب الجاحظ عن قصديّته من موضوعها وصياغتها، وهي: إدانة مَن قتل علي بن أبي طالب ووقف ضدّه، ويحكم الجاحظ بالشّهادة لعلي ولقاتله بالنّار واللّعنة، ولم يقف إلى هذا الحدّ فحسب وإنّما اضطُرّ إلى تبرئة الحسن بن علي من تبعات مقتل أبيه، ونقصد بهذا إلى عقيدة المجتمع العربيّ الرّاسخة وهي: الأخذ بالثّأر، فما كان منه إلاّ أن اعتزل الحروب، ويضع الجاحظ أمام محجوجه حالَ الوالد الشّهيد وحال الولد المُسالِم بجيشه على طرفي نقيض، يُحفّز المَحجوج على التّفكير في هذه المفارقة العجيبة، فينحاز إلى السّلم وأهله-وهو موقف الجاحظ-، وينبذ العنف وأهله-وهو موقف الجاحظ أيضا-؛ وهما صوتان متعارضان ومتوازيان ومتحاوران.

ونجرِّد العلاقة الحِجاجيّة(03) بالتّرسيمة التّالية:

أ-ق(01) ← لأنّ ← ق(02)

{معطى: واقعة استمرار الحروب والفتن والقتل} {-لأنّ: قول العبور -نظرا إلى أنّ: حجج مركّبة} {ف(نتيجة، خلاصة)}

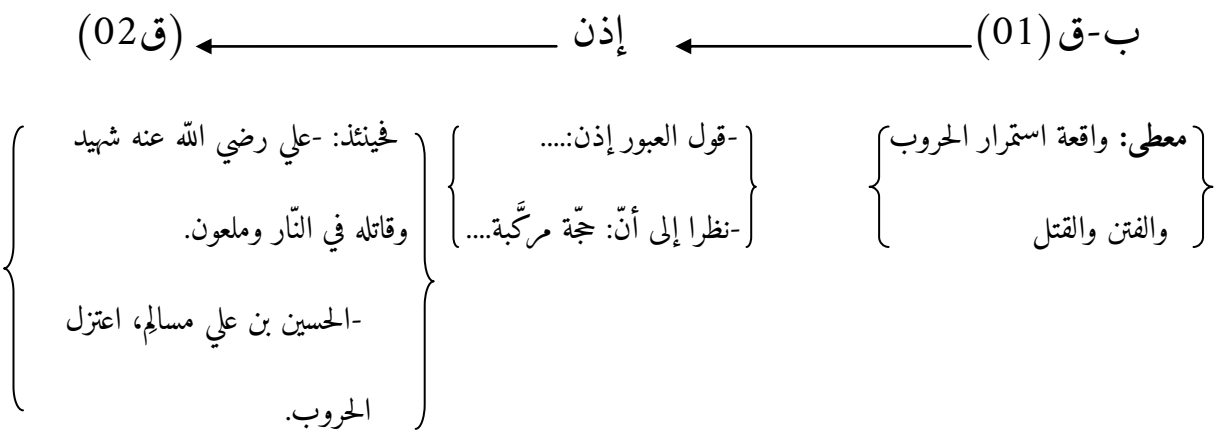

ونقرأ العلاقة الحِجاجيّة (03) في التّرسيمتين التاليتين هكذا:

التّرسيمة "أ": إنّ الحروب متواصلة والفتنة منتشرة(ق1) نظرا إلى أنّ حرب الجمل ووقائع صفّين ويومي النهروان والزّابوقة وأسر عثمان بن حنيف وقتل حُكيم بن جبلة(ق ع) فقد استشهد علي بن أبي طالب واعتزل الحسن الحروب(ق2).

يظهر أنّ الجاحظ اتّخذ موقف المُسانِد لـ علي بن أبي طالب وابنه الحسين، وينفي عليهما مسؤوليّةَ ما جرى من الأحداث والفتن؛ ففي قول الوصول تُؤشّر اللّغة على موقف الجاحظ بهذه العبارات: قاتل علي شقيٌّ في النّار وملعون، علي شهيد وسعيد، الحسن ابنه مسالِم وحكيم؛ هذه الأحكام التّقويميّة جاءت كنتيجة لانتشار الفتن ونشوب الحروب، يُشخّص الجاحظ الموقف بالأمثلة والأسماء في قول العبور ليقتنع المَحجوج بالمعطى الأوليّ، ويقتنع بأنّ قتل عليّ كان نتيجة فتنة، وهو برئ منها وممّن أثارها.

التّرسيمة "ب": تسبّبت الفتن في مقتل عليّ (01) فإذن هو شهيد وقتلته في النّار ملعونين (ق2) لأنّهم هم من أثاروا الفتن.

نلاحظ في هاتين التّرسيمتين أنّ الجاحظ لا يُدرِج أدوات الرّبط الحِجاجيّة بين أقوال العلاقة الحِجاجيّة، وإنّما قراءتنا الحِجاجيّة تُحفّزنا إلى إدراجها كما يتمثّلها المتلقي المَحجوج في

وعيه، إلاّ أنّ الجاحظ يحرص على إضمارها فلا يفرض عليه توجيها قسريّا نحو النتيجة المقرّرة بل يدع له مساحة للمناورة.

1- الجهاز الحِجاجيّ في العلاقة الحِجاجيّة(03): في سياق تاريخيّ مليئ بالفتن يُنجِز الجاحظ هذه العلاقة(03) ويربطها بالعلاقة الحِجاجيّة(02)؛ فلا ينتهي المتلقي من تأمّل فتنة مقتل عثمان حتّى يضيف إليه الجاحظ معطيات أخرى، ويربط بينهما بـ "مازالت" والصِّفات "متّصلة، مترادفة"، وما إن يسمع المُستمع القول(01) حتّى يسأل الجاحظ أسئلة افترضها الجاحظ وأنجز حِجاجه وفق تداعيها، وهي: كيف عرفت هذا؟ وما دليلك على ما قرّرته في المعطى الأوّل؟، وهذه الأسئلة الافتراضيّة دفعت الجاحظ إلى صياغة قول العبور كحجّة مركّبة من ستِّ حججٍ متنوِّعة: من حرب إلى وقائع وأيام، ومن قتل إلى أسر، ويتوسّل الجاحظ أداة التّمثيل وهي "الكاف"، وعلاقتها التّشبيهيّة تذكّر القارئ بمقتل عثمان، ومقصديّة الجاحظ تكمن في أنّ مقتل علي مثل مقتل عثمان، ودمهما مثل دم يحي بن زكريا، فما يجمع يحي بن زكريا وعثمان وعلي ليس علاقة تشبيهٍ بلاغيّة وإنّما تشابه علاقة:

-علاقة يحي بن زكريا بقتلته تُشبِه

-علاقة عثمان بن عفّان بقتلته، وهي بدورها تُشبه

-علاقة علي بن أبي طالب بقتلته.

ونُجرِّد طرفي العلاقة هكذا:

{ **جزاء:** شهادة وسعادة { -يحي بن زكريا. -عثمان بن عفّان. -علي بن أبي طالب. } } ≠ { **عقاب:** النّار واللّعنة { -قتلتهم الّذين أثاروا الفتن. } }

ونوجز مكوِّنات الإنجاز الحِجاجيّ للعلاقة (03) بالتّرسيمة التّالية:

ق(01) ← ق(02)

إنّ: الفتن متّصلة والحروب مترادفة

لأنّ، إذن: قول العبور

فحينئذٍ:.....
-قُتل علي.
-علي شهيد وسعيد.

-قاتله شقي في النار.
-قاتله ملعون.
-ابنه الحسن اعتزل الحروب.
-الحسن حكيم ومُسالِم.
-دم علي مثل دم عثمان ودم يحي بن زكريا.
-.....

2- تشكيل العلاقة الحِجاجيّة (03): إذا كان الجاحظ قد أخرج العلاقة الحِجاجيّة الأولى إخراجا حِجاجيّا، يسمح لنا بأن نتمثَّل صوتين متحاورَين، أحدهما العارض والآخر المعترِض، كما أسلفنا، ثمّ قام بتوسيع مجار التّحاور في العلاقة الحِجاجيّة الثانية(02) وأخرجها إخراجا مسرحيّا متعدِّد الأصوات والآراء والمَشاهِد، فإنّنا نلحَظ أنّه في هذه العلاقة الحِجاجيّة الثالثة(03) ينسِجها على منوال العلاقتين السّابقتين حين يُضيف إليهما أمثلةً، تُشخِّص أسماء المعارك والوقائع والأيّام والأسرى والقتلى؛ وهذا الإخراج التَّمثيليّ والتّشخيصيّ ذو طابع نسقيّ، يسير وفق إيقاع رتيب في كلّ العلائق الحِجاجيّة الّتي تتضمّنها الرّسالة كما سنرى.

إنّ دعوى الجاحظ أمام أحمد بن أبي دؤاد وجمهور المتلقين لا تتوقّف عند مقتل عثمان بن عفّان وإنّما تنفتح على دعاوى مختلِفة، يُمهِّد لها ويُضيفها إلى سابقاتها بقوله:"مازالت الفِتن متّصلة والحروب مترادفة"؛ ويظهر من هذه العبارة أنّه لا يُضفي أيّة شرعيّة وقداسة على تلك الحروب والاغتيالات؛ فهي فِتنٌ ولا أساس لها.

إنّ قصد الجاحظ من إخراج هذه العلاقة الحِجاجيّة(03) يكمن فيما ذكره في قول الوصول؛ وفيه نُحصِّل خليفةً آخر من خلفاء النّبي يُقتَل، ونُمسِك هنا بموقف الجاحظ من مَقتل عليّ رضي الله عنه، من خلال العبارات التقويميّة الذّاتيّة الّتي تحتويها العلاقة(03)؛ فقد عدَّ عليّا شهيدا وسعيدا، وعَدَّ قاتلَه شقيّا وملعونا ومن أهل النّار، فرأيُ الجاحظ وموقفه من عليّ ودمه مثل رأيه وموقفه من عثمان ودمه، سواء بسواء.

ثمّ رُبّ سائل يسأل: لماذا يُدرِج الجاحظ في قول الوصول هذا عليّا وابنه؟ ثمّ لماذا يهتمّ بذكر استواء معاوية على العرش؟ وهل هو خليفة حقّا؟، هذه الأسئلة الّتي يسمح بها سياق النّص، ستُجيب عنها العلائق الحِجاجيّة التّالية إن بالتّصريح أو بالتلميح، وبخصوص السّؤال الأوّل قد نَذهب إلى أنّ قصدَ الجاحظ يكمن في: فسح المجال أمام المتلقي وتحريضه على المقارنة بين علي وابنه وبين معاوية وابنه، فشتّان بين مُوقِدٍ للفِتن ومُعتزِلٍ لها، فلمن يُحمِّل الجاحظ المسؤوليّة كاملةً يا تُرى؟ وهذا سؤال مشروع، يفرض نفسَه علينا.

4- **عقد العلاقة الحِجاجيّة(03):** تتضمّن العلاقة الحِجاجيّة الثّالثة(03) إقرارا باستمرار الفتن والحروب، وذكرا لأسمائها كحجج تُلزِم كلَّ معترِض، وخلاصةً لما آلت إليه، ونُعيد بناء عقدها بالمخطط التّالي:

خبر ← حكم ← حدث إقناعيّ

معطى: إقرار لِما حصل في التّاريخ الاسلاميّ من الفِتن واستمرارها

أحكام تقويميّة تُفصِح عن ذاتيّة الجاحظ وموقفه.
-قتل أشقاها عليَّ بن أبي طالب.
-أسعده الله بالشّهادة.
-أوجب لقاتله النّار واللّعنة.
-اعتزل الحسن الحروب...
-.....

لأنّ (نظرا إلى أنّ:...)
-أمثلة تشخيصيّة للحروب والعارك والأيّام والأسرى والقتلى.

4- **مواقف الجاحظ:** نعالج مواقفه من خلال مستويات ثلاثة:

أ-موقفه من الخبر: يتّحد الجاحظ مع الخبر، ويُقرُّه بما ذكره في الحكم من أحكام تقويميّة، تُبرز ذاتيّتَه، وما احتواه الحدث الإقناعيّ من أمثلة تدعم اتّحاده مع الخبر "ما زالت الفتن متواصلة والحروب مترادفة".

ب-موقفه من باثّ الخبر: ينقسم موقف الجاحظ بشأن باث الخبر إلى قسمين:

-تعابير قابلة لوضع باث الخبر: نأخذ الخبر الحِجاجيّ في كلّيّته ونعني بهذا: الخبر والحكم والحدث الإقناعيّ، ونحصر التّعابير القابلة في قوله بشأن علي:"فأسعده الله بالشّهادة"، وقوله بشأن الحسَن بن علي:"اعتزل الحسَن عليه السّلام الحروب وخلَّى الأمور"، ويظهر موقف الجاحظ من هذه العبارات أنّه يتّحد مع عليّ وابنه ويقبل وضعهما.

-تعابير رافضة لوضع باث الخبر: مادام الجاحظ هو باثّ الأخبار في رسالته، نجده يلتزم بتدقيق الأخبار والمعطيات، ويلتزم بقول الحقيقة وبناء الحدث الحِجاجيّ في كلّ

العلائق الحِجاجيّة بناء يكون فيه عارضا أو معترِضا، وفي هذه العلاقة الحِجاجيّة(03) يعبّر عن موقفه الرّافض لوضع من قتَل عليّا، يقول:"قتَل أشقاها علي بن أبي طالب"، والله "أوجب لقاتله النّار واللّعنة".

جـ-مواقفه بالنّسبة للحِجاج الّذي قدّمه: في هذه العلاقة الحِجاجيّة(03) يلتزم الجاحظ الحيادَ في قول الانطلاق وقول العبور، ولا يتسرّع إلى اتّخاذ موقفٍ ما بالنّسبة لحِجاجه إلاّ في قول الوصول بعد أن قدَّم حُججا مُقنِعة في قول العبور لأنّ الغرض هو اقتناع المَحجوج المعترِض وليس مجرّد تعبير عن الرّأي.

إنّ العبارة الّتي افتتح بها الجاحظ هذه العلاقة، وهي:"مازالت الفتن متواصلة"، وهي عبارة غير حياديّة كما يبدو لأول وهلة، وإنّما بُعدها الإحاليّ يستحضر في ذهن المتلقّي العناصر الإشاريّة النّصيّة السّابقة في العلاقتين الحِجاجيّتين: الأولى والثانية، فيعرف المتلقي موقف الجاحظ من الفتنة السّابقة وهي مَقتل عثمان، ويستثمره في فهم موقف الجاحظ من الفتنة عموما وفتنة مقتل علي بن أبي طالب وما تلاها من أحداث.

- ✓ **العلاقة الحِجاجيّة(04):** استواء معاوية على الملك، معاوية: ملك مستبدّ.

قول الإنطلاق	قول العبور	قول الوصول
-فعندها استوى معاوية على الملك.	-واستبدّ على بقية الشّورى، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الّذي سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعةٍ.	-بل كان عام فُرقة وقهر وجبريّة وغلبة، والعام الّذي تحوّلت فيه الإمامة مُلكا كِسرويّا، والخلافة غَصبا قيصريّا، ولم يعُد ذلك أجمع الضّلال والفسق(ص11).

نرسم هذه العلاقة الحِجاجيّة بالتّرسيمة التّالية:

قول الانطلاق ← قول العبور ← قول الوصول

معطى: استواء معاوية على الملك.

حجّة مركَّبة:
-استبدّ على بقية الشّورى.
-استبدّ على جماعة المسلمين.
من الأنصار والمهاجرين في العام الّذي سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة.

نتيجة:
-بل كان عام فُرقة وقهر وجبريّة وغلبة.
-العام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكا كسرويّا والخلافة غصبا قيصريّا ولم يعد ذلك أجمع الضّلال والفسق.

موضوع هذه العلاقة الحِجاجيّة الرّابعة(04) هو اعتلاء معاويّة بن أبي سفيان الملك واستبداده بالحكم والشّورى وجماعة المسلمين، وما أثاره من بدع وانحراف عن المعهود عند الخلفاء الرّاشدين قبله، ويُخرِج الجاحظ هذا الموضوع بالأقوال التّالية:

أ-قول الانطلاق: يُقرّ الجاحظ فيه واقعة تاريخيّة لا ريب فيها؛ فقول الانطلاق يتضمّن معطى خبريّا بخصوص شخصيّة سياسيّة من شخصيّات التّاريخ الإسلاميّ، كان لها دورها الفاعل في السّياسة والسّلطة والدّين والفقه والتنظيم، وهي: معاوية بن أبي سفيان، وما يهمّ الفاعل المَحجوج ليس الخبر في ذاته وإنّما ما يُثيره من إشكالات وآراء الجاحظ ومواقفه من الخبر الّذي أورده في إطاره الإشكاليّ، والقُصود الّتي يرمي إلى ترسيخها في ذهن المَحجوج اقتناعا.

يفتتح الجاحظ قول الانطلاق بفعل"استوى"، وهو فعل يُحيل إلى قوله تعالى:"على العرش استوى"، وقَصْد الجاحظ من هذا الفعل هو استحضار العلاقة التّالية:

-**الله** ـــــــــــ استوى ـــــــــــ **العرش**.

-**معاويّة**ـــــــــــ استوى ـــــــــــ **المُلك** (≠ الخلافة).

إنّ علاقة الله بالعرش هي علاقة استواء أبديّ، وهذه العلاقة يعرفها المتلقي المَحجوج سلفا، ويستثمر الجاحظ هذه المعرفة المشترَكة في بناء علاقة معاوية بالمُلك، وهي علاقة استواء أبديّ أيضا؛ فقد حوّل معاوية الخلافة الرّاشدة إلى مُلك وحُكم مُطلَقين، والمُبايَعة إلى استواء.

إنّ خروج الفاعل المَحجوج من قول الانطلاق بمفهومين غير مألوفين لديه وهما: الاستواء والمُلك اللّذان يتعارضان مع مفهومين آخرَين مألوفين وهما: المُبايَعة والخلافة، يجعلانه في وضعيّة تواصليّة اشكاليّة، نتيجة تشقيق المفهومين والتّضامّ الموجود بينهما، نحو:

-**الاستواء** ⟷ **المبايَعة**.

-**المُلك** ⟷ **الخلافة**.

إنّهما صوتان متعارضان يتردّدان في ذهن المَحجوج؛ صوتٌ معهودٌ أصيل وصوتٌ طارئ شاذٌّ.

ب-**قول العبور**: من خلال قول الانطلاق، عرف الفاعل المَحجوج المفاهيم الطارئة في المجتمَع الإسلاميّ؛ وهي تعبِّر عن حالة طوارئ على كلّ الجبهات، وهذا ما يشهد عليه السِّياق التّاريخيّ المُعاش، ويحمل قول العبور مؤشّراتٍ تؤكّد ما طرحه قول الانطلاق؛ وهي الحُجج الّتي يُطالب بها المَحجوج المعترِض حتّى يقتنع بما يرد في قول الوصول من نتائج وخلاصات، ويذكر الجاحظ بعض الحجج هنا، تؤكّد الاستواء على المُلك، وهي قول:

-استبدّ معاوية على بقية الشّورى.

-استبدّ معاوية على جماعة المسلمين.

-لقد استحالت الخلافة مُلكا والمبايَعة استواء.

فأدّى هذا إلى إلغاء النّظام الشّوريّ من الحكم الإسلاميّ عمليّا على الأقل، والاستبداد بالرّأي والتّعصّب؛ وهذا ما يتنافى مع المبادئ الأصيلة من القرآن والسّنّة والممارَسات السّياسيّة والتنظيميّة عند الخلفاء الراشدين، ويُضيف الجاحظ إلى هذه الحجج حجّةً أخرى، ينفي فيها أن يكون ذلك العام الّذي سمّاه معاوية وشيعته "عام جماعة".

جـ-قول الوصول: يصل الفاعل المَحجوج مع الجاحظ إلى النّتائج المقرّرة في قول الوصول، ومن خلالها يعرف رأي الجاحظ في حكم معاوية، ويقتنع به حين ينظر في القولين السّابقين ويقارن العلاقة الحِجاجيّة(04) بالعلائق الحِجاجيّة السّابقة، فيدرِك منها مدى انحراف معاوية عن مسيرة الخلافة ونظام الحُكم، وهذا ما يؤدّي -حسب الجاحظ- إلى النّتائج التّالية:

ما كان عليه نظام الحُكم الإسلاميّ قبل معاوية	ما أصبح عليه نظام الحُكم في زمن معاوية
-نظام شوريّ.	-إلغاء النظام الشّوريّ.
-أعوام الجماعة والديموقراطيّة والحريّة ونبذ العصبيّة والقبليّة.	-عام فُرقة وقهر وجبريّة وغلَبة.
-الإمامة.	-المُلك الكسرويّ.
-الخلافة.	-غصبٌ قيصريّ.

لم يكن الجاحظ ليفرض خلاصة النّتائج الّتي انتهى إلى توكيدها، وإنّما يُحفِّز مَحجوجه للمقارنة والاعتبار حتّى يقتنع؛ يقارن نظام الحُكم الإسلاميّ قبل معاوية وفي زمنه، ويعتبِر مُلكَ معاوية وأنظمة الحُكم الكِسرويّة والقيصريّة فيجدها أنظمة شموليّة.

ووفق النّمط الّذي التزمناه في معالجتنا للعلائق الحِجاجيّة، نجرّد هذه العلاقة الحِجاجيّة الرّابعة(04) بالتّرسيمة التّالية:

أ-ق(01) ← لأنّ ← ق(02)

معطى: واقعة استواء معاوية على المُلك. | -لأنّ: قول العبور. -نظرا إلى أنّ: الحجج. | ف: خلاصة.

ب-ق(01) ← إذن ← ق(02)

معطى: واقعة استواء معاوية على المُلك. | -قول العبور إذن:..... -نظرا إلى أنّ: حُجّة مركّبة إذن:... | فحينئذٍ:..... -عام فُرقة وقهر وجبريّة وغلبة. -الإمامة تحوّلت مُلكا كِسرويّا. -الخلافة تحوّلت غصبا قيصريّا. -ولم يعد ذلك أجمع الضّلال والفسق.

وتسمح لنا التّرسيمتان السّابقتان بقراءتهما قراءةً حِجاجيّة هكذا:

أ-استوى معاوية على الملك(ق1) فحوّل الإمامة ملكا كسرويّا والخلافة غصبا قيصريّا(ق2) لأنّه مستبدّ على بقية الشّورى وعلى جماعة المسلمين(ق ع).

من سمات الحكم في الإسلام أنّه شوريّ وجماعيّ، ولكن-حسب الجاحظ- معاوية هو أوّل من أسّس للحكم الملكيّ المطلق في تاريخ الحكم في الإسلام، ونخلص من هذه القراءة الحِجاجيّة إلى المبادئ الآتية الّتي يوردها الجاحظ كحجج، تشكّل هويّة الحكم الإسلاميّ وهي:

- الاستبداد لا يتوافق مع الشّورى.

- التّفرّد بالحكم يتعارض مع نظام الإمامة والخلافة.
- يُؤخَذ الحكم بالمبايَعة وليس بالغصب والقهر والغَلَبة والجبريّة.

وعليه ينتهي المَحجوج إلى الاقتناع بما قدّمه الجاحظ، ويصل إلى ما وصل إليه في إدانته لمعاوية.

ب-استوى معاوية على الملك(ق1) ونظرا إلى أنّه استبدّ على بقية الشّورى وعلى جماعة المسلمين(ق ع) فإذن تحوّلت الإمامة ملكا كسرويّا والخلافة غصبا قيصريّا(ق2).

إنّ قصد الجاحظ من ترتيب علاقة معاوية بالملك والحكم إلى جانب علاقة كسرى وقيصر بالملك والحكم، هو صياغة نتيجة مضمَرة وترسيخها في ذهن المتلقي المَحجوج وهي: إنّ معاوية هو كسرى الإسلام وقيصره؛ فملك هذا وحكمه هو ملك ذاك وحكمه سواء بسواء.

- **العلاقة الحِجاجيّة الفرعيّة 04(أ):** معاوية واستبداده بالحكم.

قول الانطلاق	قول العبور	قول الوصول
-ثمّ ما زالت معاصيه(معاوية) من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتّبنا.	-حتّى: ردّ قضيّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ردّا مكشوفا وجحد حكمه جحدا ظاهرا في ولد الفراش وما يجب للعاهر مع إجماع الأمّة أنّ سمّية لم تكن لأبي سفيان فراشا بل كان بها عاهرا.	ف: خرج بذلك من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار.

نخطّها وفق المخطّط التّالي:

قول الانطلاق ← قول العبور ← قول الوصول

معطى: مازالت معاصيه مستمرّة.	حجّة مركّبة:-ردّ قضيّة رسول الله. -جحد حكمه جحدا ظاهرا في ولد الفراش.	نتيجة(خلاصة): معاوية خرج من حكم الفجّار
	-ردّ اجماع الأمّة في سمّية بنت أبي سفيان	إلى حكم الكفّار

يُضيف الجاحظ من خلال هذه العلاقة الحِجاجيّة الفرعيّة إلى العلاقة الحِجاجيّة الرّابعة المعاصي الّتي جاء بها أثناء حكمه، وقد سمّيناها فرعيّة لأنّها غير مستقلّة بموضوعها، فهي تتعلّق بقضيّة واحدة وهي: معاوية واستبداده بالحكم، ففي قول الانطلاق يُعلن الجاحظ للمَحجوج خبرا يُقرّ استمرارَ معاوية في ارتكاب المعاصي، وقد افتتح قوله بعبارة "مازالت" الدّالّة على الاستمراريّة والإصرار، وقد أشرنا إليها آنفا، فقد قال في الأولى:

1. مازالت الفتن متّصلة(إجمال).
2. مازالت معاصيه(معاوية) من جنس ما حكينا(تفصيل وتشخيص).

يُجمل **الجاحظ** القولَ في العبارة الأولى تحت كلمة "الفتن" كلفظة عامّة، لا يتحمّل أيُّ أحد بعينه مسؤوليّتَها، بيد أنّ حرص الجاحظ على الرّبط بين عبارة "مازالت" و "معاصي معاوية" يقود المَحجوج إلى تحميل المسؤوليّة لمعاوية بسبب استراتيجيّة الإجمال ثمّ التّفصيل، التّعميم ثمّ التّخصيص، الحذف ثمّ الذّكر؛ فهو المسؤول عن الفتن واستمرارها.

أ- **قول العبور:** يفتتح الجاحظ قول العبور هنا بـ حرف الجرّ "حتّى" الّذي يفيد بلوغ الغاية؛ فقد حصر الجاحظ معاوية بين "مازالت" و "حتّى"؛ فمزاولته للمعاصي لم تكن عادية يمكن التّغاضي عنها بل امتدّت إلى غايتها، فلم يكفه اغتصاب الحكم والاستبداد بالشّورى وإلغاء الخلافة، ولم يكفه أيضا أن ينهَج نهجَ كسرى وقيصر بل امتدّت معاصيه-حسب الجاحظ دائما- إلى ردّ قضايا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وجحد أحكامه وخرق أصل

من أصول الدّين وهو إجماع الأمّة، ويأتي الجاحظ بقضيّة "ولد الفراش"، ويبرز من خلاله معاصي معاوية واحتكامه إلى الهوى، ويُمثّل للقضيّة بمثال يُشخّص به المعطيات للمتلقي المَحجوج وهو: سمّية بنت أبي سفيان وقد كان بها عاهرا، فإجماع الأمّة أنّ الولد لصاحب الفراش وللعاهر الحجر.

ب- **قول الوصول:** يصل الجاحظ بعد ما أورده من معطيات وحجج في قول العبور إلى أن يُخرِج معاوية بسبب معاصيه من حكم "الفاجر" إلى حكم "الكافر"، وهنا نقرأ تكفيرا صريحا لمعاوية، ومن كان ديدنه -حسب الجاحظ- ردّ السّنّة وأحكام النّبي صلّى الله عليه وسلّم وابتذال إجماع الأمّة في القضايا الفقهيّة لا يكون إلاّ كافرا.

وننتهي إلى تجريد هذه العلاقة الحِجاجيّة الفرعيّة بالتّرسيمة التّالية:

أ-ق(01) ← **لأنّ** ← ق(02)

معطى: استمرار معاصي معاوية.	لأنّ: قول العبور نظرا إلى أنّ: الحجج.	فينتج: خلاصة.

ب-ق(01) ← **إذن** ← ق(02)

معطى: استمرار معاصي معاوية.	-قول العبور إذن:.... -نظرا إلى أنّ: حجّة مركّبة إذن:.....	**فينتج:** خرج من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار

ونقرأ التّرسيمتين حجاجيّا هكذا:

أ-مازال معاوية يُزاول معاصيه(ق1) فلأنّه ردّ قضيّة رسول الله وحكمه وإجماع الأمّة في ولد الفراش(ق ع) فقد خرج من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار(ق2).

إنّ تكفير الجاحظ لمعاوية يستند إلى ما أثبته في قول العبور من حجج كردّ حكم النّبي وإجماع الأمّة، بالإضافة إلى قول العبور في العلاقة الحِجاجيّة الرّابعة.

ب-مازال معاوية يُزاول معاصيه(ق1) فنظرا إلى أنّه ردّ قضية رسول الله وحكمه وإجماع الأمّة في ولد الفراش(ق ع) فإذن خرج من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار(ق ع).

- **العلاقة الحِجاجيّة الرابعة 04(ب):** استواء معاوية على الملك.

قول الانطلاق	قول العبور	قول الوصول
-ثمّ ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتّبنا(ص11).	-وليس قتل حُجر بن عدي، وإطعام عمرو بن العاص خراجَ مصر، وبيعته يزيد الخليع، والاستئثار بالفيء، واختيار الولاّة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشّفاعة والقرابة، من جنس جَحد الأحكام المنصوصة، والشّرائع المشهورة، والسُّنن المنصوبة(ص11). -وسواء في باب ما يستحقّ من الإكفار جَحد الكتاب وردّ السّنة؛ إذ كانت السّنة في شهرة الكتاب وظهوره، إلاّ أنّ أحدهما أعظم، وعقاب الآخرة عليه أشدّ(ص11).	-نخرج بذلك من حُكم الفُجّار إلى حُكم الكفّار(ص11). -فهذه أوّل كَفرة ظهرت في الأمّة، ثمّ لم تكن إلاّ فيمن يدّعي إمامتها، والخلافة عليها(ص11).

نرسم هذه العلاقة الحِجاجيّة الفرعيّة(ب) هكذا:

قول الانطلاق ← قول العبور ← قول الوصول

معطى: استمرار معاصي معاوية.

لأنّ: حجّة مركّبة.

ليس:-قتل حجر بن عدي.

-إطعام عمر بن العاص خراج مصر.

-مبايعة يزيد الخليع.

-الاستئثار بالفيء.

فحينئذ: نتيجة (خلاصة)

-ف هذه أوّل كفرة ظهرت في الأمّة.

-اختيار الولاّة على الهوى.

-تعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة.

من جنس:-جحد الأحكام المنصوصة، والشّرائع المشهورة، والسّنن المنصوبة.

وسواء في باب:-ما يستحقّ من الإكفار جحد الكتاب وردّ السّنّة.

تتفرّع هذه العلاقة الحِجاجيّة الفرعيّة (ب) من العلاقة الحِجاجيّة الرّابعة، وتتعلّق بها من حيث الموضوع، وهو استمرار معاصي معاوية؛ وتتدرّج من الفجور إلى الكفر، ومن الكفر الفرديّ إلى الكفر الجماعيّ، فماذا تضيف هذه العلاقة الحِجاجيّة الفرعيّة إلى العلاقة الحِجاجيّة الأمّ يا ترى؟.

بخصوص قول الانطلاق لم يذكره الجاحظ، وإنّما السّياق النّصيّ يسمح بتقدير المعطى المُنطلَق منه، فقول الانطلاق يتضمّن إقرارا بمعاصي معاوية واستمرارها.

أ- **قول العبور:** يضيف الجاحظ من خلال قول العبور في هذه العلاقة الفرعيّة (ب) إلى العلاقة الرّابعة والعلاقة (أ) المتفرّعة منها، حجّةً مركّبة من عدّة حجج، تشكّل في مجموعها

الأدلّة الّتي ساقها الجاحظ للوليد بن أحمد بن أبي دؤاد كي يُمهِّد لموقفه من معاوية وأتباعه الّذي أقرّه في قول الوصول، ويأتي الجاحظ على ذكر المعاصي الّتي اقترفها معاوية كحجج مساندة لموقفه منه، ونذكرها فيما يلي:

-قتَل جُحر بن عدي.

-أطعمَ عمر بن العاص خراجَ مصر.

-بايَع يزيد الخليع.

-استأثَر بالفيء.

-اختارَ الولاّة على الهوى.

-عطَّلَ الحدودَ بالشّفاعة والهوى.

إنّ هذه المعاصي والأمور المُحدَثة لم يفعلها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والخلفاء السّابقون، وعليه يُعلن الجاحظ عن رأيه المتّجه نحو التّكفير لمعاوية وقبيله؛ فقد كفّره في العلاقة الحِجاجيّة السّابقة حين ردّ قضيّة رسول الله وإجماع الأمّة، ويضيف تأكيد تكفيره هنا مضيفا تكفيرا جماعيّا؛ فجحد الأحكام المنصوصة في الكتاب والسّنّة هو: كفر وصاحبه كافر أيضا بالنّسبة للجاحظ.

ب- **قول الوصول:** يكفّر الجاحظ معاوية في قول الوصول السّابق تكفيرا صريحا، ويُدرج في هذا القول تكفيرا آخر وهو: التّكفير الجماعيّ؛ فجحد الأحكام المنصوصة هو أوّل كفرة ظهرت في تاريخ الأمّة الإسلاميّة، ومعاوية هو مُظهِرُها، كونه كان خليفة للمؤمنين.

ونُجرِّد هذه العلاقة الحِجاجيّة الفرعيّة(ب) هكذا:

أ-(ق01) ← لأنّ ← ق(02)

معطى: استمرار معاصي معاوية. | لأنّ: قول العبور نظرا إلى أنّ: الحجج. | فينئذ: نتيجة (خلاصة).

ب-(ق01) ← إذن ← ق(02)

معطى: استمرار معاصي معاوية. | قول العبور إذن:..... نظرا إلى أنّ: الحجج، إذن:... | فينئذ: هذه أو كفرة ظهرت في الأمّة، ثمّ لم تكن إلاّ فيمن يدّعي إمامتها، والخلافة عليها

ونقرأ التّرسيمتين هكذا:

أ-مازال معاوية يزاول معاصيه(ق1) فلأنّه قتل حجر بن عدي وأطعم عمر بن العاص خراج مصر وبايع يزيد الخليع واستأثر بالفيء واختار الولاّة على الهوى وعطّل الحدود بالشّفاعة والقرابة(ق ع) فهو حينئذ يستحقّ الإكفار(ق2).

ب-مازال معاوية يزاول معاصيه(ق1) فنظرا إلى أنّه جحد الكتاب وردّ السّنّة(ق ع) فإذن هذه أوّل كفرة ظهرت في الأمّة، ثمّ لم تكن إلاّ فيمن يدّعي إمامتها(معاوية) والخلافة عليها(ق2).

إنّ الجاحظ يقود محجوجَه إلى أن يتبنّى موقفه ويرى رأيَه في معاوية، وهو: إنّ معاوية كافر ومن ترك البراءة منه فهو كافر أيضا، لأنّه جاء بمعاصي مسّت الثّوابت والأصول، ولا يجوز السّكوت عنها.

1- الجهاز الحِجاجيّ في العلاقات(4، أ، ب): يُنجز الجاحظ العلاقة الحِجاجيّة الرّابعة وما تفرّع عنها بإعلان مواقفه من معاوية وعصره، فقد أصدر أحكاما تقويميّة لأعماله، ومنها وصفه لعام الجماعة بعام الفُرقة بين المسلمين، وتقلّده الحكم بالغصب، وقد أشرنا إليها آنفا،

إلى جانب تكفيره وإخراجه من الملّة، ثمّ يطال تكفيره لأهل عصره لأنّهم تركوا تكفيره والبراءة منه؛ وهذ الموقف حسب الجاحظ مخالف للسّنّة، ويتّخذ الجاحظ موقفا مناوئا لمعاوية وقبيله.

2- نماذج التّشكّل:

- **مقام التّبادل:** يلتزم الجاحظ في كلّ علاقة حِجاجيّة يبنيها بطرح الأقوال دون أن يتدخّل في تعديلها طرحا شفّافا، ويستدلّ على أقواله وآرائه واعتراضاته بما يأتيه خصمه من المغالطات.

✓ **العلاقة الحِجاجيّة(05):** التكفير الجماعي لمعاوية وعصره.

قول الانطلاق	قول العبور	قول الوصول
-على أنّ كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا(ص12).	-بترك إكفاره وقد أربت عليهم نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا فقالت: لا تسبّوه فإنّ له صُحبة؛ وسبُّ معاوية بدعة، ومن يُبغِضه فقد خالف السّنة(12).	-فزعمت أنّ من السّنة ترك البراءة ممّن جَحد السُّنة(ص12).

نرسم مخطّطا لهذه العلاقة الحِجاجيّة(5) هكذا:

قول الانطلاق ← قول العبور ← قول الوصول

معطى: أهل عصر معاوية كفار.

لأنّ: حجّة مركّبة.
-بترك إكفاره.
-قالت النّابتة: لا تسبّوه، فإنّ له صحبة، وسبّ معاوية بدعة، ومن يبغضه فقد خالف السّنّة.

فينتج: نتيجة(خلاصة).
ف: زعمت أنّ من السّنّة ترك البراءة ممّن جحد السّنّة.

ينطلق الحدث الحِجاجيّ في هذه العلاقة الحِجاجيّة الأخيرة في قول الانطلاق من معطى، يدرج الجاحظ عبره حكما تعميميّا، وهو موقف الجاحظ من معاوية وعصره؛ فقد عدّهم الجاحظ كفّارا، ويؤدّي بنا هذا الحكم التّعميميّ إلى مساءلة الجاحظ بـ:كيف ذلك؟ فيجيبنا في قول العبور بمسوغات موقفه.

أ- **قول العبور:** يذكر الجاحظ حجج حكمه بشأن تكفيره، فيُعُدّ أنّ من ترك تكفير من يستحقّ التّكفير فهو كافر مثله؛ وهذا المبدأ العام يصوغه الجاحظ صياغة مضمَرة في ذهن مَحجوجه كبنية شرطيّة منطقيّة، تتضمّن علاقة السّبب والنّتيجة هكذا:

-أهل ذلك العصر كفّار بسبب أنّهم تركوا تكفير معاوية.

-مَن ترك تكفير معاوية فهو كافر.

ويبني المتلقي مبدأ تجريديّا مطلقا وهو: من ترك تكفير من يستحقّ التّكفير فهو كافر مثله.

ويورد الجاحظ في هذا القول رأيّا لمن سمّاهم بالنّابتة المبتدعة، وهو:

-لا تسبّوه فإنّ له صحبة، وسبُّ معاوية بدعة، ومن يُبغِضه فقد خالف السُّنّة.

ونرسم هذا القول البسيط في شكل علاقة حِجاجيّة للنّابتة المبتدِعة في دفاعهم عن معاوية:

قول الانطلاق ← قول العبور ← قول الوصول

{معطى:لا تسبّوه} {**لأنّ:** حجّة. -فإنّ له صحبة. -ومن يُبغِضه.} {**فينتج:** نتيجة(خلاصة). -سبّ معاوية بدعة. -فقد خالف السّنّة.}

يَرْسُخ في ذهن المَحجوج موقف من النّابتة، يجعله يتساءل عن سبب هذا النّهي في قول الانطلاق، وتُردِف النّابتة حجّةً في قول العبور، تُبرِّر بها نهيَها، وهي: لأنّ له صحبة؛ فهل هذه الحجّة كافية ومشروعة؟ وهل لها أصل من كتاب أو سنّة أو إجماع؟ وهل تكفي للمرور بالمَحجوج إلى قول الوصول الّذي تُقرُّ النّابتة المبتدِعة فيه أنّ سبّ معاوية بدعة، ومن يُبغضه فقد خالف السّنّة؟، ومن أين لها هذا المبدأ وهذه السّنّة؟.

ونقرأ هذه العلاقة الخاصّة بالنّابتة حِجاجيّا هكذا:

أ-لا تسبّوا معاوية(ق1)لأنّ له صحبة(ق ع) فحينئذ فسبّ معاوية بدعة(ق2).

ب-لا تسبّوا معاوية(ق1) لأنّ من يُبغِضه(ق ع) فحينئذ فقد خالف السّنّة(ق2).

جـ-لا تسبّوا معاوية(ق1) ونظرا إلى أنّ له صحبة(ق ع) إذن فسبّ معاوية بدعة(ق2).

د-لا تسبّوا معاوية(ق1) ونظرا إلى أنّ من يُبغِضه(ق ع) إذن فقد خالف السّنّة(ق2).

فمادامت لمعاوية عُصبة غالبة فسبّه أو الخروج عليه أو تكفيره أو بغضه هو: بدعة ومخالفة للسّنّة؛ والقصد من السّنة هنا هو: سنّة القهر والغلبة والعصبيّة وكسرى وقيصر؛ وهذا ما سيفهمه المتلقي، لأنّ السّنّة تعني ما دأب عليه النّبيّ وخلفاؤه، وليس ما استحدَثه معاوية وقبيله.

ب- **قول الوصول:** ينتقل بنا الجاحظ من تكفير معاوية بسبب ما اقترفه من معاصي واستحدثه من ضلالات إلى تكفير أهل عصره بترك تكفيره والبراءة منه كما رأينا في قول

العبور، وأمّا في قول الوصول فإنّ الجاحظ يردّ على النّابتة المبتدِعة الموالية لمعاوية بعلاقة حِجاجيّة، يتضمَّنها قول الوصول هذا، كردٍّ على العلاقة الحِجاجيّة للنّابتة المبتدعة، وهي:

قول الانطلاق ← قول العبور ← قول الوصول

معطى: زعَمَت أنّ من السّنّة	لأنّ: حجّة. -ترك البراءة.	فحينئذ: نتيجة (خلاصة). -ممّن جحد السّنّة.

يذكر الجاحظ أنّ حجّة النّابتة المبتدِعة في الدّفاع عن معاوية مؤسَّسَةٌ على فهم خاطئ لمفهوم السّنّة؛ إذ إنّ السّنّة هي ما سنّه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من أقوال وأفعال، وتبِعه الخلفاء والصّحابة والتّابعون، إلاّ أنّ النّابتة خالفت السّنّة بعملها وفق مبدأ الغلبة والعصبيّة والصّحبة، وهذا ما استبعده الجاحظ من ذهن المتلقي المَحجوج لأنّه مبدأ خاطئ ومُغالِط؛ فقد افتتح قول الانطلاق بالفعل "زعَمَت"، وهو فعل ارتبط بالحكايات الخرافيّة والشّعبيّة، وتوظيفه هنا لم يكن حياديّا، وإنّما يعكس مدى التّشكيك في آراء النّابتة والتّقليل من حِجّيّتها.

الفصل الثَّاني

-السَّلالِم الحِجاجيَّة والظَّواهر الدَّرجيَّة

- **تمهيد:**

لقد عالج اللّسانيّون والبلاغيّون -قدامى ومحدثين- الظّواهر اللّغويّة في قسم كبير من دراساتهم من خلال وعيهم بالخاصيّة الدّرجيّة التي تختصّ بها طبيعة اللّغة في نظامها المعجميّ والتّركيبي والدّلاليّ والتّداوليّ، و" تُعتبَر ظاهرة ما ذات **خاصيّة درجيّة** إذا اقتضى وصفُها عنصرا له ارتباط متبادَل مع عنصر آخر على الأقل وإذا وُجدت علاقة استلزام بينهما نسمّيها تعالقا، وتكون مجموعة العناصر المرتبطة بعضها ببعض ما نسمّيه **سلّما** مرتَّبا من المتعالقات correlats"[1]، ولعلّ أوّل من تحدّث عن مفهوم الدّرجيّة هو اللّسانيّ الأمريكيّ (إدوارد سابير Edward Sapir)؛ فقد لاحظ أن مفردات اللّغة الطبيعيّة تؤدّي معاني، يمكن ترتيبها في سُلَّم ذي اتجاهين متباينين: أعلى وأسفل، نحو:< الرمضاء، الحرّ، الدّفء، الفتور، البرد، القرس>؛ وتمثّل هذه المفردات سُلَّما درجيّا، أعلاه مفردة "الرّمضاء" وأسفله "القرس"، وبينهما درجات أربع[2]، ونشرح مفهوم الدّرجيّة وارتباطه بمفهوم الاستلزام في الجدول الموالي[3]:

الألفاظ	الخاصّيّة	المسلّمات	الأمثلة	الاستلزام	ملاحظات
المتكاملة	- تقوم بين طرفين اثنين علاقة تقابل واستلزام واحدة	- لكلّ س،إذا س **(ق)** كاذب، إذن س **(لا - ك)** ليس صادقا.	- زيد كاذب - زيد ليس كاذبا	- ليس صادقا - صادق	الصّفتان "صادق وكاذب" متكاملتان، والعلاقة الاستلزاميّة

[1]-السّلالم الحجاجيّة والظّواهر الدّرجيّة، جاك موشلر، ترجمة عزالدين المجدوب وتوفيق قريرة، ضمن القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ، المركز الوطني للترجمة،ت ونس، ط2، 2010م،ص293.

[2]-اللّسان والميزان أوالتّكوثر العقليّ، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص275.

[3]-المرجع نفسه، ص293 ومابعدها.

			- لكلّ س،إذا س (لا-ق) ليس كاذبا،إذن س (ك1) صادق.		بينهما واحدة وضروريّة
		-عمر متزوّج -عمر ليس متزوّجا	-ليس أعزبا -أعزب		الصّفتان "متزوّج وأعزب" متكاملتان والعلاقة الاستلزاميّة بينهما واحدة وضروريّة؛ وهذا في المجتمعات التي تقابل بين الصّفتين دون غيرهما.
المتضادّة	-تقوم بين عنصرين أو أكثر علاقة تضادّ واستلزامات متعدّدة	-عمر ليس متزوّجا -عمر متزوّج	- لكلّ س،إذا س (لا-ق) ليس متزوّجا، إذن س (ك1) أعزب أو (ك2) أرمل أو (كن) مطلّق.	-فهو أعزب -فهو أرمل -فهو مطلّق -ليس أعزبا -ليس أرملا	الصّفتان"م تزوّج وأعزب" متضادّتان وغير متكاملتين لأنّهما

		- لكلّ س،إذا س (ق) متزوّج،إذن س (لا -ك1) أو (لا -ك2) أو(لا-كن)		-ليس مطلَّقا	تتدرجان ضمن مجموعة معجميّة؛ بحيث تشكّلان قطبي السلّم المعجمي للحالة المدنيّة لـ"عمر" وهي:"أعزب،أرمل، مطلّق، متزوّج"،و تقوم بينها علاقات استلزاميّة متعدّدة حسب المواضعة الاجتماعيّة.

أوّلاً- الأسوار[1]:

إلى جانب الألفاظ المتضادّة، نجد الأسوار المنطقيّة واللّغويّة كفيلة بإبراز الظواهر الدّرجيّة، وتتمثّل في كلمات نحو: كلّ، بعض، أداة التّعريف والتّنكير...، والتّعابير الكمّية

[1]-اللّسان والميزان أوالتّكوثر العقليّ، طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص295 ومابعدها.

نحو: عدد كبير من، مجموعة من، أغلبهم، أكثر ممّا يجب...،إلاّ أنّ التّأويل الطبيعيّ لا يتطابق دائما مع التأويل المنطقيّ الصّدقي للأقوال والقضايا، وسنلاحظ الفارق من خلال المثالين التّاليّين:

المثال الأوّل:

أ- كلّ الأطفال إلاّ بول Paul، يمكن أن يذهبوا إلى السّباحة.

- مهما يكن (س) ــ ق (س) كلّ (س) إذا (س) طفل، إذن (س) ك.

ب- الرّجل هو الرّجل.

- يوجد (س) (يوجد على الأقل س واحد)، بحيث (س) هو ق.

في المثال الأول (أ) يتناقض التّأويل المنطقيّ مهما يكن (س) (لكلّ س) كلّ الأطفال يستلزم ــ ق (يمكن أن يذهبوا إلى السباحة) (س)؛ وهذا التّأويل يستغرق مجموعة الأطفال التي عددها (ن) بلا استثناء حسب الفهم المنطقيّ للسور **كلّ**؛ فكلّ متغيّر (س) له الخاصّيّة الثّابتة (ق) إلاّ أنّ السّور **كلّ** الوارد مع **إلاّ** يؤوّل لغويّا (حجاجيّا) تأويلا مقبولا وهو: كلّ= أقلّ من ن.

وفي المثال (ب) تؤوّل العبارة المنطقيّة يوجد (س) ــ س (ق)، والتي تعني: يوجد عنصر واحد متغيّر (س) على الأقل له الخاصّيّة ق= (رجل)، إلاّ أنّ العبارة (الرجل هو الرجل) تؤول في المنطق اللّغويّ الطبيعيّ إلى كلّ الرّجال بلا استثناء.

كما تتزايد الفوارق بين الدّلالات المنطقيّة والدلالات الطبيعيّة للأسوار والأقوال، حين تتعالق بالتعقيبات المبرّرة الصّريحة أو المضمَرة في الحلقات المفقودة من الخطابات والملفوظات، بحيث تتعارض السّمات الحجاجيّة للملفوظات مع السّمات المنطقيّة، ويمكن أن نلاحظ هذا المثال الذي ينطلق منه **أوسفالد ديكرو**[1]:

[1]-les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, les éditions de Minuit, France, 1980. P7.

المثال الثاني:

أ- لم يقرأ عمر كلّ روايات بلزاك (كلّ=tous).

ب-قرأ خالد بعض روايات بلزاك (بعض=quelques).

استعان **ديكرو** بهذين المثالين (أ) و(ب) ليميِّز الدّلالات المنطقيّة من الدّلالات الحجاجيّة لاستعمال المعيّنات الكمّية للسّورين (**كلّ وبعض**)، ويرى **ديكرو** أنّ المثال (أ) يوجّهنا نحو نتيجة سلبيّة من نمط: الشّخص المتحدَّث عنه في الملفوظ (أ)؛ أي **عمر**، لا يعرف جيّدا بلزاك، عكس الملفوظ (ب) الّذي يقودنا نحو نتيجة إيجابيّة من نمط: الشّخص المتحدَّث عنه في الملفوظ (ب)؛ أي **خالد**، يعرف جيّدا بلزاك.

وليختبر هذا التأويل استعان بنفسانيّ مساعد، فطرح على طلبة اللّسانيّات هذا السّؤال: تريدون معلومة حول حلقة خاصّة من الكوميديا البشريّة، ولتحصيل هذه المعلومة، خُيِّرتم بين شخصين **عمر** أو **خالد**؛ وقيل لكم بشأنهما الملفوظين السّابقين على التّوالي، فأيّهما تختارون؟، وكانت نتيجة الاختيار أن اختار الطّلبة بلا تردّد الشّخص الأول (**عمر**)، واحتجّوا بأنّ الّذي لم يقرأ كلّ روايات **بلزاك** سيكون -على الأقل- قد قرأ عددا لا بأس به، ولهذا فهو أكثر معرفة **ببلزاك** من الشّخص الثاني (خالد) الّذي قرأ بعضها فقط، ولم يقرأ أكثرها.

وعلى الرّغم من هذه النّتيجة للاختبار النّفسيّ لطلبة اللّسانيّات فإنّ **ديكرو** يصرّ على أنّ الملفوظ (ب) يرافع لصالح **خالد**، ويوجّهنا نحو نتيجة إيجابيّة (المعرفة ببلزاك)، وأمّا الملفوظ (أ) فيوجّهنا نحو نتيجة سلبيّة(الجهل ببلزاك)، ونخلُص مع **ديكرو** إلى أنّه من الضّروريّ أن نستخلص الأثر النّفسيّ للملفوظات، إلى جانب معانيها الحرفيّة وقيّمها الدّلاليّة في وضعيّة ما أثناء الإلقاء، ولا يمكن التّعويل على الدّلالة المنطقيّة في تأويل الملفوظات.

وانظر: -السّلالم الحِجاجيّة، أوسوالد ديكرو، ترجمة صابر الحباشة، ضمن كتاب: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، ج5، ص70 ومابعدها. -التّداوليّة والحِجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدّراسات والنّشر، دمشق، ط1، 2008، ص24 وما بعدها.

لنفترض -**مع ديكرو**- أنّ الملفوظ (أ) يشير إلى أنّ **عمر** قرأ قسما مهمّا من الكوميديا البشريّة(la comédie humaine)، ويستلزم أنّه قرأ واحدة فقط منها أو لم يقرأ أيّا منها، فالدّلالة الحرفيّة للملفوظ (أ) لا تقدّم أيَّ مبرّر للتّفكير بأنّ **عمر** هو قارئ لبلزاك، في حين أنّ الملفوظ (ب) يضمن أنّ **خالد** قرأ -على الأقل- روايتين فأكثر، ولنا أن نختبر هذا التّأويل اعتمادا على أنواع التعقيب بالموجّهات الحجاجيّة الّتي تؤدّي إلى نتائج إيجابيّة أو سلبيّة، ونختبر الأمثلة التّالية[1]:

المثال الثالث:

أ- لن يكون بإمكان عمر أن يعطيك المعلومة الكافية؛ إنّه لم يقرأ كلّ روايات بلزاك.

ب- سيكون بإمكان عمر أن يعطيك المعلومة الكافية؛ إنّه لم يقرأ كلّ روايات بلزاك.

المثال الرابع:

أ- سيكون بإمكان خالد أن يعطيك المعلومة الكافية؛ إنّه قرأ بعضَ روايات بلزاك.

ب- لن يكون بإمكان خالد أن يعطيك المعلومة الكافية؛ إنّه قرأ بعض روايات بلزاك.

المثال الخامس:

أ- لم يقرأ عمر روايات بلزاك، بل لم يقرأ أيّ رواية منها.

ب- لم يقرأ عمر كلّ روايات بلزاك، بل إنّه قرأها تقريبا كلّها.

المثال السّادس:

أ- قرأ خالد بعض روايات بلزاك، بل قرأها جميعها.

[1]-القاموس الموسوعي للتّداوليّة، جاك موشلر وآن ريبول، مرجع سابق، ص297.

ب- قرأ خالد بعض روايات بلزاك، بل لم يقرأ أيّ واحدة منها.

ثانيّاً- القيمة الإبلاغيّة والقيمة الحجاجيّة للملفوظات:

تنطلق التّداوليّات المُدمَجة من فرضية مفادها: أنّ وظيفة اللّغة توجيهيّة بالدّرجة الأولى، وليست تمثيليّة كما يدّعي الوصفيّون، ولا هي وصفيّة كما يدّعي المناطقة (logiciste)؛ والنتيجة النّظريّة المتأتية من تلك الفرضيّة تعتبر أنّ القيم الإحاليّة والإخباريّة للملفوظات قيم من درجة ثانيّة، عكس القيم الحجاجيّة المتولِّدة من استعمال اللّغة في سياق التّخاطب، والّتي هي قيم أوّليّة مسجَّلة في بنية اللّسان، فاللّغة وظيفتها التّوجيه بالدّرجة الأولى[1]، يقول ديكرو بأنّ:" **القيمة الحجاجيّة** للملفوظ ما ليست نتيجة للمعلومات التي يقدّمها فحسب، فالجملة يمكن أن تحتوي مورفيمات مختلفة، عبارات أو تراكيب، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباريّ، تعمل على إعطاء **الوجهة الحجاجيّة** للملفوظ، وجرّ المتلقّي في اتجاه أو اتّجاه آخر"[2]. وينطلق (ديكرو وأنسكومبر) من تحليل أدوات الربط بين الأقوال، حيث أثبت الطّابع الأوّلي للقيّم الحجاجيّة للأقوال، وسبقها للقيم الإحاليّة والإخباريّة، نلاحظ التّحليل الّذي يعقِدانه للروابط التّالية:

✓ الرّابط **لأنّ**[3] "puisque": يرى ديكرو من وجهة النظر الحجاجيّة أنّه:" لوصف الرّابط لأنّ(puique)، يجب أن أشير إلى أنّ القول **A لأنّ B**، أنا لا أقنَع بإخبار المتلقي أنّ المحتوى A متضمَّن، بشكل ضروري، في محتوىB، ولكن آخذ في الحسبان أنّه يجيز B، ويحيلني إلى استلزام A لـ B، وأجمعه من جوازA، فلا يكفي إذن القول بأنّ **لأنّ**

[1]-الحجاج والوجهة الحجاجيّة، جاك موشلر، ترجمة أحمد الجوّة ومحمد الخبو، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ص321.

[2]-les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p15.

[3]-Pragmatique du discours, de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours, Armon Colin, Paris, 2005, pp86, 90.

(puisque)، حسب دلالته، ربّما يُستَعمل لإتمام **فعل الحِجاج**، وفي الواقع، دلالته تفيد إتمام هذا الفعل"[1].

✓ الرّابط **لكنّ**[2] "mais": وظيفة الرّبط لـ **لكنّ** "mais" تشير إلى تعارض (تضادّ) القضيتين التي يربطهما " لهذا السّبب، عرضنا وصف **A لكنّ B** على النحو التالي: A، كنتَ تميل إلى استخلاص نتيجة أكيدة **R** من A، لا يمكن ذلك لأنّ B، أكثر حقيقة من A، يقترح النتيجة **لا-R"**[3]؛ وحسب (ديكرو) فـ" الملفوظ **A لكنّ B** يفترض، في ذهن المتكلمين، أنّه توجد على الأقل القضية(propositon) **R**، و A هي حجّتها، و B هي الحجّة المضادّة(contre-argument)، وبعبارة أخرى، يحتوي الملفوظ، في نفسه، تلميحا إلى توصيف حجاجيّ للقضايا(proposition) التي تكوّنه، ويمكن أن يختلف هذا التّوصيف من متكلّم إلى آخر، حسب ظروف الخطاب...لكن، ما هو متوقّع من الجملة أنّ هناك مثل هذا التّوصيف: من المرجَّح أنّ A وB غير مقدّمتين لذاتهما، ولكن موجَّهتين نحو إثبات شيء آخر: استعمالها الحجاجيّ هو جزء من قيمتها الذّاتية "[4].

✓ الرّابط حتّى، فـ، بل "meme": إنّ قولنا:" **حتّى** بيار جاء" "لا ينحصر، في الواقع، في إضافة للمعلومة "جاء بيار"، معلومةٌ أخرى من نمط "مجيء بيار لم يكن متوقّعا". الحقيقة الأساسيّة، حسب أنسكومبر، أنّنا لا نستطيع القول "حتّى بيار جاء" إذا لم نقصد من استعمال هذا المجيء لإثبات شيء معيَّن (مثلا: نجاح اجتماع)"[5]. ويرى (ديكرو) بأنّ

---

[1]-les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p15.

[2]-les mots du discours, Oswald Ducrot, les éditions de Minuit, France, 1980, pp101, 130.-la linguistique textuelle, Jean-Michel Adam, Armon Colin, 3^0, Paris, p258.-Modélisation du dialogue, représentation de l'inférence argumentative, Jacques Moschler, Editions Hermès, Paris, 1989, pp62, 68.

[3]-les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot,op cit, p16.

[4]-les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot,op cit, p16.

[5]-voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p16.

الرّابط حتّى meme" يشهد على الاستعمال الحجاجيّ للّغة، بعيدا عن كونه مفروضا، ومسجَّل فيها، ومقرّر في نظامها الدّاخليّ"[1].

سنوضّح من خلال تطبيق نموذج الوصف على مثال بعض الوقائع الّتي تُبرز لنا خصائص المحتوى الدّلاليّ للرابط **حتّى meme**، ونحلّل المثال التّالي:

1.ماري عالمة جدّا، فهي تقرأ اللّغة العبريّة، واللاّتينيّة، والإغريقيّة القديمة، وحتّى اللّغة السنسكريتيّة.

ويُظهر الوصف الدّلاليّ للملفوظ "هي تقرأ حتّى اللّغة السّنسكريتيّة" في سياق العبارة (1) دورَ الرّابط **حتّى** meme، ويبدو لنا أنّ الملفوظات الّتي تحتوي الرّابط **حتّى** meme ،عموما، هي ملفوظة لأغراض حجاجيّة؛ فالمتكلّم يسعى إلى أن يُثبت للمخاطَب حقيقة دعوى مخصوصة، ويستحضر لهذا الغرض، بشكل صريح أو مُضمَر، عددا معيّنا من الحجج؛ واحدة منها تسلّط الضوء باستخدام الرّابط **حتّى** meme، يُظهرها أقوى من الحجج الأخرى، وتكون أفضل دليل على ماتقول.[2]

وبالعودة إلى المثال السّابق (1)، يسمح السياق بتحديد دور الرّابط **حتّى** meme الّذي يركّز على "**اللّغة السّنسكريتيّة**"، ويُحصِّل لدينا المعلومات التّالية[3]:

أ- ماري تقرأ اللّغة السّنسكريتيّة، وحين نعتمد على قاعدة "**إعادة الكتابة** règle de réecriture"، بسبب أنّنا نشتغل في البنية العميقة للملفوظات وليس في البنية السّطحية؛

[1]-voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p16.

[2]-voir: -meme le roi de France est sage, Jean Claud Ansombre, revue de communication, N^{0}20, 1973,p53.

[3]-ibid, p54.

ندرك أنّ العبارة "ماري تقرأ حتّى اللّغة السّنسكريتيّة" تُعلِم المستمِع بأنّ: ماري تقرأ السّنسكريتيّة.

ب- الواقعة fait "**هي تقرأ اللّغة السّنسكريتيّة**"، مقدَّمة كحجة للنتيجة "**ماري عالمة جدّا**".

جـ- الحجّة "**هي تقرأ حتّى اللّغة السّنسكريتيّة**" ليست حشوا.

د-العبريّة، اللاّتينيّة، الإغريقيّة القديمة، تملك الخصائص التركيبيّة ذاتها؛ فهي تنتمي إلى الفئة النّحويّة نفسها الّتي لـ: هي تقرأ اللّغة السّنسكريتيّة، ونلاحظها في:- هي تقرأ العبريّة -هي تقرأ اللاّتينيّة- هي تقرأ الإغريقيّة القديمة؛ وهذه الملافظ قضايا حقيقيّة، وهي حجج للنتيجة ن؛ أي: **ماري عالمة جدّا**.

هـ-العبارة "**ماري تقرأ حتّى اللّغة السّنسكريتيّة**" مقدَّمة في السّياق من بين الحجج السّابقة كأفضل وأقوى حجّة لصالح النتيجة ن.

ويعلّق (ديكرو) على استعمال المتكلِّم للرّابط **حتّى** meme بقوله:"من الضّروري لـ حتى(meme) أنّ العبارة (proposition) التي يرد فيها يُستعمل كحجّة، حجّة مدرَجة كحجّة قويّة، ومن المحتمَل، في بعض السياقات كحجّة حاسمة"[1].

ثالثاً- السّلالم الحجاجيّة[2]:

صاغ (أوسوالد ديكرو) نظريّة السّلالم الحجاجيّة عام 1980م في كتابه المعنون بـ"**السّلالم الحجاجيّة** échelles argumentatives"، بالإضافة إلى كتابه"**الحجاج في اللّغة**" الذّي ألّفه بالاشتراك مع زميله (جون كلود أنسكومبر Jean Claude Anscombre)، وعالج فيهما

[1]-échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p16.

[2]-أهمّ نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، مرجع سابق، ص363 وما بعدها.

مسائل القوانين المنطقيّة والقوانين الحجاجيّة، الاستفهام والحجاج، الحجاج وتعدّد الأصوات، وتتعلّق بالظّواهر الدّرجيّة المشكِّلة للسّلالم الحجاجيّة، منها: القسم الحجاجيّ classe، القوة الحجاجيّة، العوامل الحجاجيّة opératuer ودورها في ترتيب الحجج، الاستلزام presupposition والاقتضاء Implication ، الوجهة الحجاجيّة orientation argumentative ، النفي وقوانين الخطاب، ونبرز منها ما نحتاجه في هذا الفصل فيما يلي:

1- القسم الحجاجيّ أو الفئة الحجاجيّة (la classe argumentative)**:**

يحدّد (**ديكرو**) مفهوم القسم الحجاجيّ بقوله:"نقول إنّ المتكلِّم -ويُفهم من هذه الكلمة الفاعل المتكلِّم المُدرَج في وضعية خطابيّة خاصّة- وضع ملفوظينP و**P**$_1$ في قسم حجاجيّ معرَّف بالملفوظ**R**، إذا اعتبرP و**P**$_1$ كحجج لصالح**R**. نفترض، مثلا، أنّ مجيء بيار وبول، كلاهما، تأكيدا للنتيجة: **الاجتماع كان ناجحا**. في هذه الحالة، لنقل أنّ الملفوظين جاء بيار وجاء بول ينتميان إلى القسم الحجاجيّ المعرَّف بـ: **الاجتماع كان ناجحا**"[1].

ويرتبط مفهوم القسم الحجاجيّ، كلّيّا، بنتيجة خاصّة وبمتكلِّم خاصّ؛ ويتّسم هذا الأخير بالسّمات الايديولوجيّة والسوسيولوجيّة والزماكانيّة، في إطار الوضعيّة الخطابيّة، والتّي تعرِّفه كفاعليّة متكلِّمة (sujet parlant) أو ذات اعتباريّة، وينبغي الاعتراف بأنّ الحكم ربّما يختلف من متكلّم إلى آخر، ومن وضعيّة خطابيّة إلى أخرى؛ فمجيء بيار وبول يؤازر النتيجة التّي مفادها:"**الاجتماع كان ناجحا**"حسب متلق معيّن، وقد يكون مجيئهما غير كاف لإنجاح الاجتماع أو لا حدث عند متلق آخر، وقد يدلّ على إخفاق الاجتماع عند

[1]-échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p17.

وانظر: -من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص37.
-نظريّة الحِجاج في اللّغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمّود، كلّية الآداب، منّوبة، تونس، 1999، ص365.

ثالث، ونتيجة لهذه الاختلافات، سعى (**ديكرو**) إلى تجريد الظّاهرة الحجاجيّة من المتغيّرات التّخاطبيّة وصياغة نظريّة لسانيّة كلّيّة، تستوعب المتكلّم والنتيجة معا[1].

2- **القوّة الحجاجيّة** (la force argumentatives):

يميّز ديكرو الحجّة الضّعيفة faible من الحجّة القويّة أو العليا fort ou superieur؛ فالمتكلّم حين يضع الحجة P والحجة P_1 في قسم حجاجيّ معرَّف بالنتيجة **R**، ويمنح P_1 **P** كحجّة عليا أكثر قوّة من P بالنسبة إلى النتيجة **R**؛ فإذا كان في نظر هذا المتكلّم، يقبل إتمام P لـ **R**، يتضمّن أنّنا نقبل إتمام P_1 لـ **R**، والعكس ليس صحيحا، وبعبارة أخرى: الحجّة P_1، حسب ديكرو، أقوى من الحجّة P ارتباطا بالنتيجة **R**.[2]

3- **الوِجهة الحِجاجيّة** (orientation argumentation):

يُعرِّفها **جاك موشلر** على النّحو التّالي:"إنّ الوِجهة الحِجاجيّة هي الاتّجاه الّذي [يُعيِّن] للقول قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات أو إلى غيره، إنّ الوِجهة الحِجاجيّة هي خاصيّة من خصائص الجملة، موضوع أداء القول وهي الّتي تحدّد معنى القول، وإن شئت قلنا تُسند وِجهة حجاجيّة ما إلى جملة ذات دلالة في شكل حجّة، وبحكم هذه الوِجهة يمكن للحجّة أن توظّف في هذا القسم من الاستنتاجات أو في قسم آخر"[3]، وتُعدّ العوامل

---

[1]-voir: -échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p18.

وانظر: -النّظريّة الحجاجيّة، من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللّسانيّة، محمد طرّوس، دار الثّقافة، ط1، 2005، ص95. بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللّطيف عادل، مرجع سابق، ص100. -نظريّة الحِجاج في اللّغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص365.

[2]-voir: -échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p18.

وانظر: -بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللّطيف عادل، مرجع سابق، ص100، 101.

[3]-الحِجاج والوِجهة الحِجاجيّة، جاك موشلر، ترجمة أحمد الجوّة ومحمد الخبو، ضمن كتاب القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، جاك موشلر وآن ريبول، مرجع سابق، ص337. وانظر: -نظرية الحِجاج في اللّغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهمّ نظريّات الحِجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص375، 376.

الحِجاجيّة واسمات لغويّة تُعيِّن الوِجهة الحِجاجيّة للجمل والنّصوص والخطابات بشكل عام، فهي تعمل على تقييّد طاقاتها الاحتماليّة والتّأويليّة المتعدِّدة، وتحصرها في وِجهة حِجاجيّة معيَّنة، تتّجه اتّجاها يختلف عن النّتيجة، ونورد الأمثلة التّالية لمزيد من التّوضيح لمفهوم الوِجهة الحِجاجيّة والنّتيجة والفرق بينهما[1]:

1-أ/ ستُفلس، إنّ ثمن هذه البضاعة 200 يورو.

-ب/ ستُوفِّر مالا كثيرا، إنّ ثمن هذه البضاعة 200 يورو.

2-أ/ ستُفلس، إنّ ثمن هذه البضاعة لا يساوي إلاّ 200 يورو.

-ب/ ستُوفِّر مالا كثيرا، إنّ ثمن هذه البضاعة لا يُكلِّف إلاّ 200 يورو.

إنّ احتواء الملفوظات السّابقة على العوامل الخِطابيّة (التّعقيب والاستئناف) الواردة في الجمل (ستُفلس، ستوفِّر مالا كثيرا) إلى جانب العوامل اللّغويّة (لا...إلاّ...)، يجعلها منحصِرة في وجهة حِجاجيّة واحدة، وعندما نجرِّد الملفوظات السّابقة من ضروب التّعقيب والاستئناف تبقى لدينا الجملة (إنّ ثمن البضاعة 200 يورو)، وهي من النّاحية الحِجاجيّة جملة محايدة، ويمكن أن تتّجه نحو نتيجتين مختلفتين بل متعاكستين، وهما: إمّا ستُفلس، وإمّا ستُوفِّر مالا كثيرا؛ والجملة في (1-أ) تكتسب الوِجهة الحجاجيّة الّتي تفيد (البضاعة باهضة الثّمن)، ولا يحقّق التّاجر من وراء شرائها أرباحا، وأمّا (1-ب) فإنّها تكتسب الوِجهة الحِجاجيّة الّتي مفادها (البضاعة بخسة الثّمن)، وسيُحقّق التّاجر إن اشتراها أرباحا كثيرة، ونلاحظ أنّه من النّاحية الإبلاغيّة والتّواصليّة للملفوظات في كلّ الحالات لم يتغيَّر

[1]-الحِجاج والوِجهة الحِجاجيّة، جاك موشلر، ترجمة أحمد الجوّة ومحمد الخبو، ضمن كتاب القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، جاك موشلر وآن ريبول، مرجع سابق، ص338.

مضمونها الدّلاليّ، فهي تعني دائما (يكلّف 200 يورو)، بينما قولنا: لا يكلّف إلاّ 200 يورو، فلا يعني هذا المعنى بل يتّجه نحو قصد آخر مختلف وهو (بخس الثّمن).

وبناء على الأمثلة السّابقة وتحليلها حِجاجيّا، نصل إلى حصر الفارق بين الوِجهة الحِجاجيّة والنتيجة،"فالنّتيجة هي القول الضِّمني أو الصّريح الّذي اُستُخدمت من أجله الحجّة، أمّا الوِجهة الحِجاجيّة فهي الاتّجاه المُسنَد إلى الجملة"[1]، ونُبرز الفرق بينهما في الجدول التّالي:

الملفوظات	وِجهتُها الحِجاجيّة	نتيجتُها
1-أ	باهضة الثّمن	لا تشترِها
1-ب	بخسة الثّمن	اشتريها
2-ب	بخسة الثّمن	اشتريها

4- **السُّلَّم الحجاجيّ** (l'échelle argumentative):

حين تتدرّج الحجج التّي يقدِّمها المتكلِّم لصالح نتيجة ما، من الحجّة الضّعيفة إلى الأقوى، أو من الأقوى إلى الضّعيفة، وتنتمي إلى قسم حجاجيّ واحد، وتحكمها علاقة التّرتيب والاستلزام، نقول بأنّها تنتمي إلى سلَّم حجاجيّ(échelle argumentative)؛ وهذا الأخير قسمٌ حجاجيّ متدرِّج وموجَّه نحو نتيجة معيَّنة، ويمثّله (ديكرو) بالمخطط التّالي[2]:

[1]-الحِجاج والوِجهة الحِجاجيّة، جاك موشلر، مرجع سابق، ص338.

[2] -voir: -échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p18.

وانظر:-اللّغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، دار العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص20، 21. النّظرية الحجاجيّة، من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللّسانيّة، محمد طرّوس، ص94، 95. -السّلالم الحجاجيّة، أوسوالد ديكرو، ترجمة صابر الحباشة، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة تطبيقيّة في البلاغة العربيّة، ج5، ص70 ومابعدها. -في حجاج النّصّ الشّعري، محمد عبد الباسط عيد، ص24. -بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللّطيف عادل، ص101، 102.

R (النتيجة)

P_1 (الحجّة القويَة)

P (الحجّة الضّعيفة)

ويعرّف **طه عبد الرحمن** السّلم الحجاجيّ ويقيّد اشتغاله بشرطين، يقول:"**السُّلَّم الحجاجيّ** هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوَّدة بعلاقة ترتيبيّة وموفِّية بالشّرطين التاليين:

أ- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السُّلَّم يلزُم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزُم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الّتي دونه.

ب- كلّ قول كان في السُّلَّم دليلا على مدلول معيَّن، وكان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه."[1]، ونتبيّن هذا التّعريف من خلال المثال التّالي[2]:

ن (زيد من أنبل النّاس خلُقا)

د (أكرم زيد عدوّه)

جـ (أكرم زيد صديقه)

ب (أكرم زيد أخاه)

نلاحظ في هذا السّلّم الحجاجيّ أنّ الملافظ "ب،جـ،د" حججٌ تتساند جميعا لإثبات النتيجةن، وتترابط فيما بينها بعلاقة **الاستلزام**؛ بحيث تستلزم الحجّة **د** الحجّةَ **جـ**، وتستلزم الحجّة **جـ** الحجّةَ **ب**؛ ويبدو واضحا أنّ الملفوظ "**أكرم زيد عدوَّه**" يمثّل أفضل الحجج وأقواها إثباتا

[1]-اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، مرجع سابق، ص277.

وانظر:-استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سابق، ص500. -التّحاجُج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، مرجع سابق، ص59، 60.

[2]-اللسان والميزان أو التّكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص24.

لدعوى المتكلِّم على نبل أخلاق زيد، فمادام زيد يُكرِم حتّى عدوَّه فما بالك بصديقه وأخيه، ولهذا فإنّ الحجّة د تستلزم ما دونها من الحجج.

ويُورِد **أبو بكر العزّاوي** أنّ:" السّلّم الحجاجيّ هو علاقة ترتيبيّة للحُجج... فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبيّة معينة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إذّاك إلى نفس السّلم الحجاجيّ، فالسّلّم الحجاجيّ هو فئة حجاجيّة موجَّهة"[1].

ومن سمات السّلم الحجاجيّ سمتان اثنتان وهما[2]:

1- الحجة التي ترد في درجة معيَّنة من السّلم الحجاجيّ تكون الحجّة/ الحجج الّتي تعلوها حجة/حجج أقوى منها.

2- إذا كانت الحجة (ب) تؤدي إلى النتيجة (ن) فهذا يستلزم أن الحجة (ج) والحجة (د) الّتي تعلوها تؤدي إليها، والعكس غير صحيح، مثال:

1- حصل زيد على الليسانس.

2- حصل زيد على الماجستير.

3- حصل زيد على الدكتوراه.

هذه الجمل الثلاث تنتمي إلى سلّم حجاجيّ واحد، بحيث تؤكد نتيجة مُضمَرة واحدة، وتتمثل في "كفاءة زيد العلمية"، وتعدّ الجملة الأولى هي الحجة الضعيفة في أدنى السّلم الحجاجيّ

[1]-اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، مرجع سابق، ص20، 21. وانظر: -الحِجاج في اللّغة، أبو بكر العزّاوي، ضمن كتاب: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، مرجع سابق، ج1، ص59، 60. البعد التّداوليّ والحجاجيّ في الخطاب القرآنيّ، قدور عمران، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2012م، ص 33.

[2]-اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، مرجع سابق، ص21. وانظر: -البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، قدور عمران، مرجع سابق، ص34. -الحوار ومنهجيّة التّفكير النقدي، حسان الباهي، أفريقيا الشّرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2013، ص137.

والجملة الثّالثة هي الحجة الأقوى على "كفاءة زيد العلميّة"، وهي نتيجة مضمرة، ونمثّل لها بـ: السّلم التالي[1]:

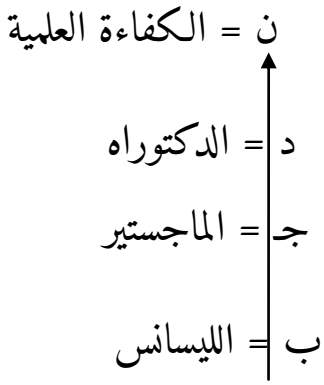

ولمزيد من البيان للسّلّم الحجاجيّ، نرجع إلى المثال الّذي أوردناه سابقا، وهو:

1. ماري عالمة جدّا، فهي تقرأ اللّغة العبريّة، اللاّتينيّة، الإغريقيّة القديمة، وحتّى اللّغة السنسكريتيّة.

نمثّل هذا الملفوظ في السّلّم التّالي:

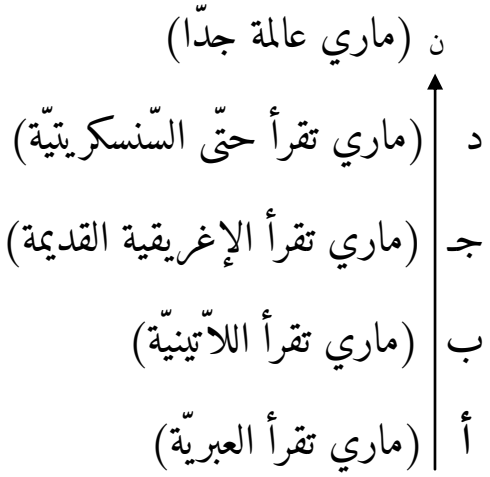

يقدّم المتكلّم أطروحة مخصوصة، ويرافع لصالح إدّعائه بأنّ ماري عالمة متميّزة، ويُدرِج الحُجج الأربعة "أ، ب، جـ، د"، ويرتّبها وفق قوّتها الحجاجيّة، من الحجّة الضّعيفة إلى القويّة، ويظهر أنّ الحجّة أ في أسفل السّلّم هي أضعف الحجج، وأمّا الحجّة د في أعلى السّلّم هي

[1]-البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، قدور عمران، مرجع سابق، ص35.

أقوى الحجج وأفضلها؛ بحيث تستلزم ما تحتها من حجج؛ ولهذا فالّذي يدرس اللّغات القديمة والميّتة كالسّنسكريتيّة فلا بدّ أن يكون عالما متميّزا لأنّه تجاوز تعلّم اللّغات الحيّة إلى اللّغات الميّتة، واللّغات الحديثة إلى اللّغات القديمة، ممّا يجعل تعلّمها معقّدا وصاحبها متميّزا.

ونُخطّط للحجّة الأقوى في الملفوظ (1) بالشّكل التّالي[1]:

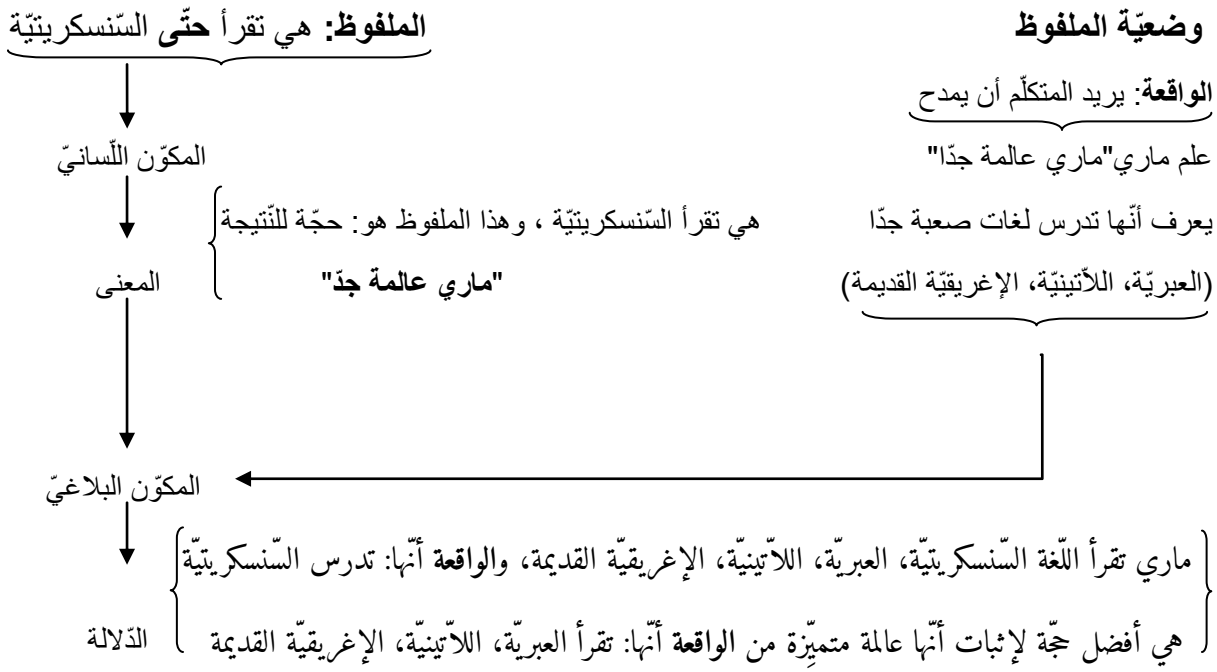

إنّ المكوّن البّلاغيّ الّذي يدرس وضعيّة الملفوظ ودلالته، يبرُز دورُه أكثر في فهم الخطابات كلّما اتّسعت مساحة المُضمَرات، ونقدّم مثالين اثنين؛ الأوّل يخصُّ إضمار الحُجج والثّاني إضمار النتيجة:

- ✓ **الحُجج المُضمَرة:** نلاحظ الأمثلة التّالية:

1) ماري عالمة جدّا، فهي تقرأ حتّى اللّغة السّنسكريتيّة.

يتعلّق الأمر بمعالجة ما يجري في مستوى المكوّن البلاغيّ أثناء تأويل الملفوظ التّالي:

2) هي تقرأ حتّى السّنسكريتيّة.

[1]-voir: -meme le roi de France est sage, Jean Claud Anscombre, op cit, p58.

ففي **المستوى اللّسانيّ** للملفوظ لم يتغيّر شيئا، لأنّ المعنى الّذي يقدّمه هذا الملفوظ لا يعني أكثر من الملفوظ ذاته (2) فحسب، أمّا في مستوى **المكوّن البلاغيّ** فلم يعُد بإمكاننا كما في الحالة الأولى (الحجج ظاهرة) فهم دلالة الملفوظ بسبب **الاستلزام** présupposé الناشيء من وجود العامل الحجاجيّ **حتّى** meme؛ فالمستمِع سيعرف أنّ ماري تقرأ لغات أخرى غير اللّغة السّنسكريتيّة، فما هي هذه اللّغات؟، ويبدو أنّ ما نعرفه من الإجابة على هذا السّؤال يمثّل مضمون **الاستلزام**، أي: "هي تدرس لغات أخرى غير السّنسكريتيّة"، ولهذا فالملفوظ (1) نؤوّله بلاغيّا كما يلي:

- ماري عالمة جدّا،[فهي تقرأ لغات أخرى غير السّنسكريتيّة]، وحتّى السّنسكريتيّة.

فالعبارة بين معقوفتين تنتمي إلى المكوّن البلاغيّ كجزء مُدمَج في دلالة الملفوظ، ونلاحظ أنّ تأويل المُضمَر يتعلّق بانسجام الخطاب، لأنّ مُضمَرات الخطاب تمثّل عالمَه.

✓ **النّتيجة المُضمَرة:** ننطلق من هذا الشّعار الإشهاريّ (slogan)[1]:

أ- مع سلورب، حتّى زوجتك تحضِّر طعاما شهيّا.

إنّ التّفصل الدّلاليّ للملفوظ يُجبِر المستمِع على أن يستنتج منه قضية ما، بحيث يستبدل (أ) بالملفوظ التّالي، والّذي يمثّل بدوره **نتيجة مُضمَرة**:

ب- سلورب مُنتَج ممتاز.

والملفوظ (أ) يساعد المستمِع على اكتشاف أنّ "سلورب مُنتَج ممتاز"، ويستخلص من الملفوظ (أ) النتيجة (ب)، فقارئ الشّعار(slogan) لا يرى أنّ عرض المُنتَج كان وحشيّا وسالبا لحريّته، وحين لا يُظهِر الملفوظ (أ) النتيجةَ (ب) ستتولّد من استدلال من جانب الفرد ذاته، وتبدو النتيجة (ب) أكثر عمقا، يقول أنسكومبر:" الإشهار الحقيقيّ ليس

[1]-voir: -même le roi de France est sage, Jean Claud Anscombre, cop cit, p59.

هو الشّعار، لكنّه **المُضمَر** الّذي يقنِّع هذا الظّاهر"[1]، وهنا نبحث ما إذا كان بإمكان الوصف الدّلاليّ أن يساعدنا على تأسيس السّلسلة المنطقيّة الّتي تسمح لنا بالمرور من (أ) إلى النتيجة المُضمَرة (ب)؛ وعندما تكون النتيجة مُضمَرة، يوجد اتّجاه عام نأخذه كنتيجة، وهو ما يُعرف في المنطق بـ"التّكميم الكلّيّ quantification universelle"، ونحدّدها في (جـ)[2]:

جـ- مع سلورب، [كلّ النّاس يُحضِّرون طعاما شهيا].

ويحلِّل (ديكرو) بعض الرّوابط المُنشِئة للسّلالم الحجاجيّة في الخطابات، ونذكر منها:

✓ **ق أو(و) حتّى ق$_1$ / P ou (et)meme P$_1$**:[3] حين يتلفّظ المتكلِّم بالجملة من نمط: P ou (et) meme P$_1$، يفترض مسبقا وجود النتيجةR، تُحدّد السّلّم الحجاجيّ حيث تكون P$_1$ أقوى وأعلى من P، فقول القائل مثلا:

1. هو حاصل على شهادة الدّرجة الثّالثة، وحتّى على شهادة الدّكتوراه.

النتيجة في هذا الملفوظ مُضمَرة ومقتضاها هو:(إثبات الكفاءة العلميّة للشّخص المتحدَّث عنه)؛ حسب الدّرجات العلميّة الّتي تمنحها المؤسّسات الجامعيّة، وعليه فالحجّة الثانية (دكتوراه الدّولة) أكثر قوّة -حجاجيّا- من الحجّة الأولى (شهادة الدّرجة الثانية)، ونمثّل لهما بالسّلّم التّالي:

ن (الكفاءة العلميّة)

(ق1) (دكتوراه الدّولة)

(ق) (شهادة الدّرجة الثانية)

يشترط (ديكرو) في السّلّم الحجاجيّ من نمط: **P ou (et) meme P$_1$** شروطا بقوله:"لنستطيع القول إنّ: **P وحتّى P$_1$**، يجب أن تكون P و P$_1$ موجّهتين نحو نتيجة مماثلة و

[1]-voir: -même le roi de France est sage, Jean Claud Anscombre, op cit, p59.

[2]-voir: ibid, p59.

[3]-voir: -les échèles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p18.

P_1 تؤدّي فيها أفضل منP، وتوجد، في الحالتين، علاقة بين المعلومات الّتي تنقلها الملفوظات، ولكن هذه العلاقة مقدَّمة كواقعة في الحالة الأولى ليس إلاّ، تمرّ بالضّرورة ،في الثانية، بالمقاصد الحجاجيّة للمتكلِّم"[1]، لنتدبّر المثال التّالي:

ب- جاء بيار وحتّى بول.

نفترض أنّ القصد الحجاجيّ من الملفوظ(ب) هو: التّوجّه نحو تأكيد النّتيجة "**الاجتماع كان آخّاذا وأكثر أهمّية**"، ونعيد كتابة الملفوظ(ب) كما يلي:

ب$_1$- جدول الأعمال كان مثيرا، فقد جاء بيار وحتّى بول.

وفي حالة الملفوظ(ب$_1$) يكون "مجيء بول" الحجّة الأولى؛ وهي ،بلا شكّ، أقوى من الحجّة الثانية "مجيء بيار"، والقصد الحجاجيّ للمتكلِّم هو أنّ **بول** رجل مشغول ومهمّ وليس لديه الوقت للتّنقّل وحضور الاجتماعات، فلو لم يكن الاجتماع مثيرا واستثنائيّا وضروريّا واستعجاليّا لَما جاء **بول**، واستعمال المتكلِّم للعامل الحجاجيّ **حتّى** meme مع القصد الحجاجيّ المفترَض آنفا، خَلُص إلى أنّ **بول** أكثر أهمّية من **بيار**.

يصل (ديكرو) إلى تجريد تصوّر عام للسّلّم الحجاجيّ "P ou (et) meme P_1" الّذي يحتوي حجّتين، إحداهما أقوى من الأخرى بقوله:"نقول أنّ الحجّة P_1 أقوى من P إذا كان القسم الحجاجيّ المحتوي لـ P، يحتوي أيضا P_1، وكانت P_1 فيه، كلّ مرة، أعلى من P، وتُقدِّم الوضعيّة بالمخطط"[2]

P_1 ↑

P |

[1]-voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p19.

[2]-voir: -ibid, p20.

✓ العامل الحجاجيّ "**تقريبا presque**"[1] إنّ قول القائل في جـ:

جـ- بيار كان متأخِّرا **تقريبا**.

يجعلنا نستنتج أنّ **بيار** كان في الوقت، ولا يمكن أن نستنتج -مطلقا- أنّ **بيار** كان متأخِّرا، ويرى (ديكرو) أنّ المتكلِّم لا يقدِّم الملفوظ (جـ) كحجّة لنتيجة من قبيل "بيار كان في الوقت"؛ وإذا استعمل الملفوظ (جـ) فَمَقصَدُه الحجاجيّ هو أنّ: بيار لم يكن مُستَعجَلا، أو أنّه متهاوِنٌ.

ويضيف (ديكرو) أنّ P_1 أقوى حجاجيّا من **تقريبا** $\mathbf{P_1}$ (presque P_1)؛ وهذه الوضعيّة المتعلِّقة بالجملتين مقدَّمة كجزء من قيمتها الأصليّة قبل كلّ استعمال بلاغيّ؛ فالجملة "أنا متأخِّر تقريبا" تحتوي -إلى جانب دلالتها الأصليّة والحرفيّة- افتراضا مسبَقا (présupposé) مؤدّاه: أنا لم أكن متأخِّرا، كما أنّ الاستعمال البلاغيّ لهذا الافتراض المُضمَر يُخبِر بمعلومات، والقيمة الحجاجيّة للملفوظ "أنا متأخِّر **تقريبا**"، تؤُول إلى: **مؤشِّر**(indice) **الإهمال**، عكس لو استعملنا العامل الحجاجيّ à peine مكان presque نحو:"à peine en retard " (بالكاد كان متأخِّرا)؛ فـ"بالكاد à peine" هو مؤشِّر الإرادة والالتزام بالمواعيد واحترام الوقت، وقد يُستَعمَل للسّخرية حسب المقتضى البلاغيّ (sous-entendu).

✓ **الصّفات** "adjectives":[2] الصّفات من العوامل الّتي تنشئ السّلالم الحجاجيّة، و أوضح مثال يقدِّمه (ديكرو) الصِّفات المُعيِّنة لدرجات الحرارة، ونلاحظ سُلَّميَّتَها في قولنا: الجوّ عليل، الجوّ بارد، الجوّ مُثلج، ونرتّب هذه الصفات في السُّلَّم التّالي:

سُلَّم البرودة ↑
- (الجو مُثلج)
- (الجوّ بارد)
- (الجوّ عليل)

[1]-voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit ,p20.

[2]-voir: -ibid, pp22-23.

وعكس سُلَّم البرودة نرتّب صفات "سُلَّم الحرارة" وهو:

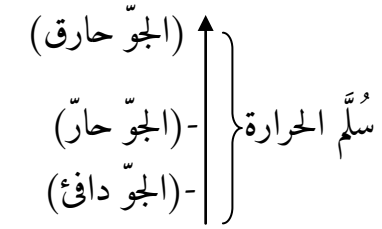

د- قوانين السّلّم الحجاجيّ: ومن أهمّ قوانين السّلّم الحجاجيّ ثلاثة، وهي[1]:

1- قانون النّفي "la négation**":** عالج (ديكرو) النّفي كظاهرة تركيبيّة-دلاليّة "syntaxico-sémantique"، ومقتضى قانونه التّجريبيّ هو: إذا كان الملفوظ **ق(P)** مستعمَل من طرف متكلِّم لدعم نتيجة ما، فنفيه **لا-ق (P˜)** يُعتبَر من طرف المتكلِّم ذاته كحجّة للنّتيجة المضادّة (conclusion opppsée)؛ وبعبارة أخرى: إذا انتسب **ق(P)** إلى القسم الحجاجيّ المُعرَّف بالنّتيجة ن**(R)**، و **لا-ق (P˜)** انتسب إلى القسم الحجاجيّ المعرَّف بالنّتيجة ˜ن **(R˜)**؛ فإذا قبلتُ استعمال الملفوظ أ "بيار نجح في البكالوريا" للتّأشير على القيمة العقليّة لشخص "**بيار**"، ونفي القضية ب"بيار لم ينجح في البكالوريا"، سيفيدني بوضع هذه القضية موضع السؤال، ويبدو أنّ الملفوظ "**ب**" ضدّ "**أ**"؛ إذ إنّ النّفي لا يخدُم حجّة القيمة العقليّة لـ"بيار"، ولكن حين نتوسَّل إمكانيّات التّعقيب واستئناف القول في (جـ) مثلا:

جـ- بيار لم ينجح في البكالوريا، ولكنّه واحد من أذكى الفتيان الّذين أعرفهم.

يمكن أن يُستَعمَل هذا الملفوظ (جـ) شخصٌ شاكٌّ، وفق معيار البكالوريا، وينطق بالملفوظ (جـ) لتبرير شكّه؛ ولهذا يبدو أنّ الملفوظ الإخباريّ المُثبَت وغير المنفي -حسب هذا المتكلِّم- لا يمكن أن يكون شاهدا على القيمة العقليّة لـ"بيار"، أم أنّ المتكلِّم يَعتبر أنّ

[1]-انظر: -الحوار ومنهجيّة التّفكير النقدي، حسان الباهي، مرجع سابق، ص137، 138. -اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص277، 278. -الحِجاج في اللّغة، أبو بكر العزّاوي، ضمن كتاب: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، مرجع سابق، ج1، ص60 وما بعدها. -التّحاجُج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، مرجع سابق، ص60، 62.

النّجاح في البكالوريا مؤشّرًا كافٍ لإثبات القيمة العقليّة لـ"بيار"، بينما يَعتبر أنّ الرّسوب في البكالوريا كمؤشّر غير كافٍ كعلامة (indice défavorable) على النّتيجة المضادّة لا-ن (ن̃، R̃).

وأمّا القسم الثّاني من الملفوظ "لكنّه واحد من أذكى الفتيان الّذين أعرفهم" لا ينسخ المعيار السّلبيّ للتّقدير، ولكن يقاربه بالتّقدير الإيجابي (appreciation positive)، والرّبط بالعامل (لكنّ mais) يشير إلى أنّ الحجّة الثانية موجّهة عكس الحجّة الأولى[1].

فإذا وظّف المتكلّم الحجّة (أ) (الحجة الدّاعمة) ليدعم نتيجة ما، فإنَّ نفيها (أ̃) يصبح حجة تدعم النتيجة المضادة (الحجة المضادة)، وبعبارة أخرى: إذا كانت الحجّة (أ) تنتمي إلى الفئة الحجاجيّة الّتي تحدّدها النتيجة "ن" فإنّ نفي الحجّة (أ̃) يجعلها تنتمي إلى النتيجة المحدّدة بـ(ن̃)، وحين يقبل المخاطَب الحجة الواردة في المثال (1) عليه أن يقبل أيضا الحجة الواردة في (2).[2]

1. زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.
2. زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الإمتحان.

2- قانون القلب الحِجاجيّ (loi d'invertion)**:** يتعلّق بالنّفي ويستكمل القانون التّجريبي الّذي أتينا على تحديده (loi empirique)، ويعرّف السّلّم الحجاجيّ الّذي تُنشِئه الملفوظات المنفية (السّلّم المحدّد بـ ن̃ ، R̃) المضادّ لسلّم الملفوظات التّقريريّة المُثبتة، وبعبارة أخرى: إذا

[1]-voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p27.

وانظر: -الحِجاج في اللّغة، أبو بكر العزّاوي، ضمن كتاب: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، مرجع سابق، ج1، ص60، 61. -التّحاجُج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، مرجع سابق، ص60، 61.

[2]-اللّغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، مرجع سابق، ص22. وانظر: -البعد التّداولي والحجاجيّ في الخطاب القرآني، قدور عمران، مرجع سابق، ص35. -استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2004، ص503.

كانت الحجّة ق$_1$ (P_1) أقوى من ق (P) بالنّسبة إلى ن (R)، فإنّ ˜ق (˜P) أقوى من ˜ق$_1$ (˜P_1) بالنّسبة إلى ˜ن (˜R)، ونرمز لهاتين العمليّتين الحجاجيّتين بالسّلّمين التاليين[1]:

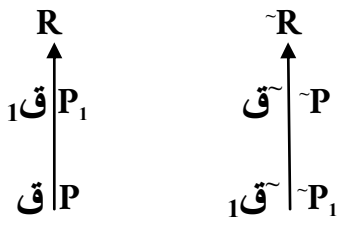

لنقارن الملفوظين الواردين في هذين المثالين الآتيين:

أ- بيار يملك شهادة الدّرجة الثّالثة، وحتّى الدكتوراه الدّولة.

ب- بيار لا يملك الدكتوراه الدّولة، ولا حتّى شهادة الدّرجة الثّالثة.

إنّ حصول بيار على شهادة الدكتوراه الدولة حجّة أقوى على كفاءته العلميّة، في حين أنّ عدم حصوله على الماجستير حجّة أقوى على عدم مكانته العلميّة؛ فهذان الملفوظان متضادّان حسب شروط الصّدق (condition de vérité)، والنّفي يسمح بالمزايدة (surencherir) على الجملة الإيجابيّة المُثبتة التّقريريّة ببناء ملفوظ ذي القيمة الحجاجيّة المتطابقة والعليا، لنفترض أنّه طُلِب إلينا أن نعبّر عن رأينا في شخص اشترى سيارة جديدة: هل هو راضٍ بها أم لا؟، فنجيبه بالملفوظ التّالي:

هـ- هو ليس راضٍ بها، بل متحمّسٌ إليها.

---

[1]-voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p27, 28

وانظر:-اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، مرجع سابق، ص22، 23. -استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، عبد الهادي بن ظافر الشهري، مرجع سابق، ص504. -الحِجاج في اللّغة، أبو بكر العزّاوي، ضمن كتاب: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، مرجع سابق، ج1، ص61. -الحِجاج والمعنى الحِجاجيّ، أبو بكر العزّاوي، ضمن كتاب: التّحاجُج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، مرجع سابق، ص61.

يعلّق (ديكرو) على هذا الملفوظ بأنّه "من الواضح أنّ التّقرير (affirmation) والنّفي للسّرور هنا يتّجهان نحو المعنى ذاته"[1]،

و- أنتم لن تفلسوا، المقعد لا يُكلِّف 10 يورو.(إعلان مدير المسرح للزّبائن).

وفي حالة الملفوظ (و) الجملة المنفية مستعمَلة مع القيمة الحجاجيّة نفسها الّتي للجملة التّقريريّة (الإخباريّة) "المقعد لا يكلّف 10 يورو"، النتيجة ن (R): ليس غالٍ؛ والجدير بالملاحظة هنا أنّ النّفي لم يقلب (يعكس) السّلّم الحجاجيّ[2]؛ ومن وجهة نظر "**السّلّم الحجاجيّ**" يُعتبَر الملفوظ المنفي "المقعد لا يكلّف 10 يورو"، له الوجهة الحجاجيّة نفسها الّتي للملفوظ الّذي يَعتبر أنّ 10 يورو سعرٌ ضعيفٌ ورخيصٌ، ويتّضح السّلّم الحجاجيّ أكثر في الملفوظات العدديّة نحو:

ز- درجة الحرارة هي:12^0، طول بيار 1.70م، نحن على بعد 100كم من باريس.

من المنظور اللّسانيّ فالجمل العدديّة (الكمّية) الإخباريّة، تحتوي على سلّميّة حجاجيّة تتّجه دوما صوب الكمّية العدديّة العليا، وبعبارة أخرى: كلّ مؤشِّر عدديّ إيجابي وتحديديّ، فملفوظ السّعر مؤشِّر على ما يجب دفعه، نحو[3]:

ن (الثّمن غالي)

- المقعد يكلّف 30 فرنكا
- المقعد يكلّف 20 فرنكا
- المقعد يكلّف 10 فرنكا

[1]-voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p28.

[2]-voir: ibid .p28.

[3]-voir: -ibid, p29,30.

أمّا حين نُدخل النّفي على ملفوظات العدد الّتي تحدّد السّعر الّذي يُدفَع، فيمكن قلبه كما يلي:

ن (الثّمن رخيص)

جـ - المقعد لا يكلّف 10 يورو.

ب - المقعد لا يكلّف 20 يورو.

أ -المقعد لا يكلّف 30 يورو.

إنّ الملفوظات (أ، ب، جـ) وظيفتها هي تحديد الثّمن المدفوع، ولكن في سياق إجتماعيّ محدّد (مثل: 10 يورو لمقعد واحد في المسرح)، يُعدّ سعرا ضعيفا؛ وهنا يتدخّل المكوّن البلاغيّ في المستوى الثّاني للتّأويل، ويمنح للملفوظ الإخباريّ للكمّية، كسعر ضعيف، قيمةً حجاجيّةً جديدةً، لضعف هذه الكمّية من النّقود، والحركة البلاغيّة نفسها الّتي تُؤَوِّل العامل الحجاجيّ "**قليلا** un peu" و "**قليلا لا قيمة له** peu de"، فهذه العوامل لها وجهة حجاجيّة أصليّة[1].

3- قانون الخفض[2] (loi d'abaissement): يرى (ديكرو) أنّ قانون النّفي الوصفيّ يساوي العامل "**أقل من** moins que"، نحو قولنا: ليس الجوّ باردا، فنحن بنفيِنا برودة الجوّ يعني هذا على مستوى السّلّم الحجاجيّ، وصفنا الجوّ بأنّه دون المتجمّد والمثلج حيث نسخنا هذه

[1] -voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p30.

[2]- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، مرجع سابق، ص24، 25. وانظر: -البعد التّداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، قدور عمران، مرجع سابق، ص35. -استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، عبد الهادي بن ظافر الشّهري، مرجع سابق، ص501، 502. -الحِجاج في اللّغة، أبو بكر العزّاوي، ضمن كتاب: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، مرجع سابق، ج1، ص62. -الحِجاج والمعنى الحِجاجيّ، أبو بكر العزّاوي، ضمن كتاب: التّحاجُج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، مرجع سابق، ص62.

الصّفة "المُثلج"، والجوّ قد يكون عليلا أو دافئا أو حارّا، ويُبيّن (ديكرو) قانون الخفض بالأمثلة التّالية:

المثال (1): سلَّم درجة الحرارة والبرودة[1]

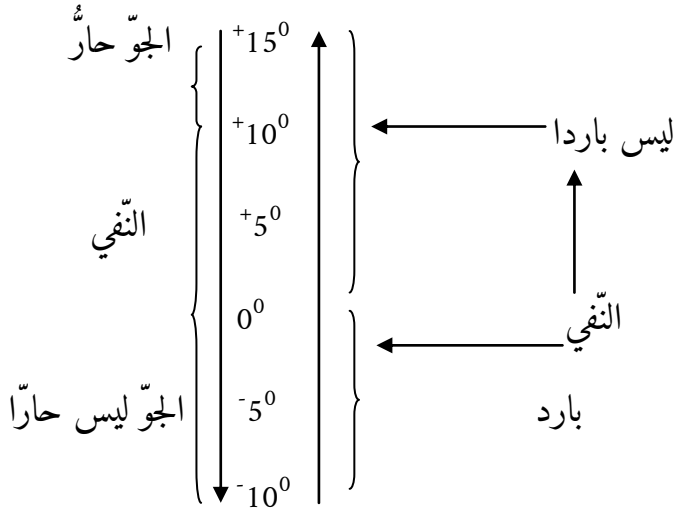

إنّ الخفض المترتّب عن النفي لا يتموضع في السّلم الحجاجي نفسه، فتطبيق هذا القانون من قبل المتكلم يُسعفه في أن يستبعد التأويلات الواردة الأخرى، مثال:

أ- الجو ليس باردا.

ب- إذا لم يكن الجو باردا فهو دافئ أو حار.

إن اندراج الحجج الإثباتية (المساندة) نحو (الجو بارد) لم يتمّ في الفئة الحجاجية نفسها، ولا في السّلّم الحجاجيّ نفسه الى جانب الحجج المنفية (المضادّة/المعاندة).

ويشتغل قانون الخفض عبر **النّفي**: فالمتكلِّم حين ينفي حرارة الجوّ فهو يقوم بالاتّجاه من الحرارة إلى البرودة لأنّ النّفي يقوم بفعل التّخفيض، فإذا كان الملفوظ P_1 (نحو: بارد) أقوى حجاجيّا من P (نحو: عليل)، وإذا كانت حالات فيزيائيّة -حسب المتكلِّم- تضبط P_1 و لا P، هذه الحالات تُعدّ الأعلى من الحالات الّتي تضبط P، كما أنّ السّلّم

[1]-voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p31.

الحجاجيّ للبرودة يحدّد التّدريج الفيزيائيّ في النّظام أين درجة الصّفر (0^0) تضبط البرودة وليس الدفء، وفي السّياق نفسه، يكون سلّم الحرارة أين يضبط الدّرجة (20^+) أقوى من (10^+)، ويشكِلِن (ديكرو) قانون الخفض بقوله:" إذا كان الملفوظ **P** للسّلّم **E** مضبوط في منطقة **I** من التّدريج المشابه لـ **E**، والملفوظ **P˜** مضبوط في، وفقط في، منطقة هذا التّدريج الّذي هو أدنى في **I** "[1].

مثال (2):

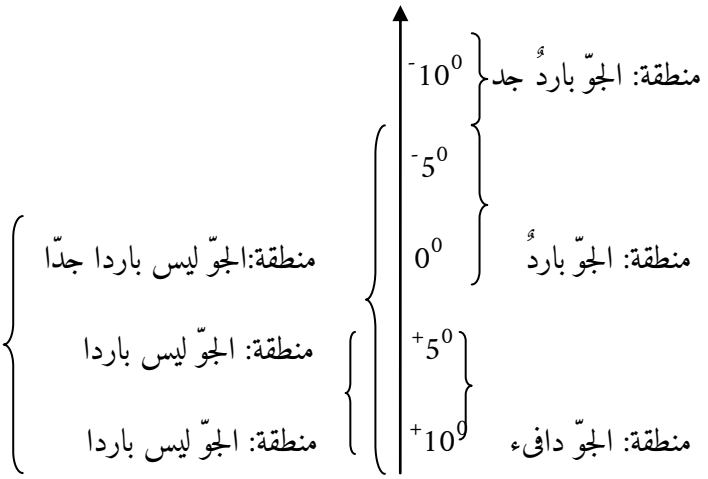

تدريج فيزيائي متماثل (graduation physique homologue)

ويعلّق (ديكرو) على هذه القيم العدديّة في التّدريج لدرجات الحرارة والبرودة بأنّها مختارة لغرض التّمثيل فقط، ففي الواقع، تلك القيم تتعلّق بالمتكلِّم والوضعيّة الخطابيّة[2]، ويمكن لقانون الخفض أن يُقدَّم في وضعية ما كقانون للرّفع (loi d'elevation).

[1]-voir: -les échèlles argumentatives, Oswald Ducrot, op cit, p32.

[2]-voir: -ibid, p33.

هـ- توسيع مفهوم السّلّم الحجاجيّ:

لاحظ معنا القارئ تركيزَ **أوسفالد ديكرو وكلود أنسكومبر** على الأدوات اللّغويّة والاستلزامات شبه المنطقيّة في إنشاء السّلالم الحِجاجيّة، بيد أنّه بإمكاننا توسيع مفهوم السّلالم الحِجاجيّة "فلا يظلّ مقتصرا على الأدوات اللّغويّة أو الاستلزامات شبه المنطقيّة، إذ يمكن أن يتمّ إدراج كثير من أدوات الحِجاج وآليّاته ضمنه، ليُصبح إطارا عامّا لتفاضل الحجج، بل وتغليب بعضها على البعض الآخر، انطلاقا من المخزون اللّغوي ونظامه والتّراتبيّات المُكتنَزة في ذهن الإنسان، بتفعيل الكفاءة التّداوليّة"[1] لإنشاء السّلالم الحِجاجيّة أثناء التّواصل والتّحاجُج كأفعال حِجاجيّة يأتيها المتكلّم لإقناع مخاطَبه، ومن ضمن تلك التّوسيعات ما ذكره **عبد الهادي بن ظافر الشّهري** في كتابه، ونوجزها فيما يلي[2]:

- المراتب الموجَّهة توجيها كمّيّا، ترتيب الألفاظ (المعجم) من الأدنى إلى الأعلى والعكس أيضا، ألفاظ الأوزان، المقادير، الإحصاءات، النّسب المئويّة، الأسعار، نحو: وضعية المزاد العلني، الباعة في الأسواق يضطرّون إلى تخفيض الأسعار بين الحين والآخر، وعمل تنزيلات من فصل إلى فصل آخر في المحالّ التّجاريّة؛ وهذا فعل حجاجيّ قائم على السّلالم الحِجاجيّة لإقناع المستهلك بشراء السّلعة، عروض المناقصات الوطنيّة والدّوليّة حيث يشتغل الحِجاج عبر سلّمين حِجاجيّين متعاكسين.

- **النّص الحِجاجيّ:** لا ينحصر في النّثر فحسب، بل يمتدّ إلى أن يكون شعرا أيضا، وخصوصا إذا احتوت القصيدة الشّعريّة سجالا بين طرفين أو مناظرة أو دعوى معيّنة يرافع لصالحها الشّاعر أو ينتصر لها، نحو: شعر النّقائض بين الفرزدق وجرير والأخطل؛ فالواحد

[1]-استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، عبد الهادي بن ظافر الشّهري، ص504.

[2]-المرجع نفسه، ص504 وما بعدها.

منهم حين ينجز نصّا شعريّا، يفتخر بنفسه، ويهجو -ساخرا- من خصمه، يضع حينذاك ذاتَه في أعلى السّلّم وخصمَه في أدناه.

- **الأدوات اللّغويّة:** الرّوابط الحِجاجيّة (بل، لكن، فضلا عن، حتّى)، وقد أفردنا لها فصلا مستقلاّ، أسلوب التّوكيد ودرجاته (نحو: الخبر الابتدائيّ، الخبر الطلبيّ، الخبر الإنكاريّ)، السِّمات الدّلاليّة (نحو: المعجم والإحالة)، الصّيغ الصّرفيّة (نحو: أفعل التّفضيل ويستعملها المُحاجِج لتقويم الأشياء والأشخاص، صيغ المبالَغة: فعّال، مِفعال، فعول، فَعِيل، فَعِل، فِعِّيل).

- **حجّة الدّليل:** ونقصد بها الشّواهد وأقوال الغير؛ يُوظّفها المتكلّم المُحاجِج في حِجاجه كدعائم وحُجج جاهزة، لها قوّتها الحِجاجيّة، نظرا إلى: مصدرها، مستواها، طبيعتها، علاقتها بموضوع الحِجاج ودعوى المتكلّم، ومن أنماطه: الاقتباس، التّضمين، التّناصّ، السّرقات الأدبيّة، الاستشهاد من النّصوص الدّينيّة والحِكَم والأمثال والكلام المأثور عن السّلف، يُدرِج المتكلّم تلك الأدلّة الجاهزة إذا كانت داخلة في بنية خطابيّة مقصودة.

- **السّلالِم المفهوميّة:** نحو مفهوم الموافَقة، ومفهوم المخالَفة، وفحوى الخطاب.

رابعاً- الإطار التّطبيقيّ: تحليل السَّلالِم الحِجاجيَّة في رسالة **"الرّدّ على النّصارى"**[1] للجاحظ

نحلّل خلال هذا الإطار التّطبيقيّ فصلا من صدر كتاب الجاحظ في "الرّد على النّصارى" وفق نموذج السّلالم الحِجاجيّة، ونبيّن كيف يبنيها الجاحظ لعرض آرائه ومواقفه النّقديّة الّتي تبنّاها في ردّه النّقديّ على النّصارى واليهود، وعلى ما أثاروه من شبهات حول القرآن والتّلبيس على العوام؛ ومن القضايا الّتي بسطوها والأدلّة الّتي ساقوها على إدّعاءاتهم، يذكرها الجاحظ قبل إنشاء أقواله الحِجاجيّة المفنِّدة لها، وهي:

1-القرآن باطل: ودليلهم على ذلك أنّ المسلمين يدّعون عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم عن أنفسهم(النّصارى)، وما لا يعرفونه أيضا عن أسلافهم.

2-تأليه النّصارى لعيسى بن مريم: يذكر المسلمون أنّ عيسى قال لقومه: اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله، قال تعالى على لسان محمّد:"**وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أَ أَنت قلت للنّاس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله**"، ويفنّد النّصارى هذا الادّعاء بسبب أنّهم لا يدينون أصلا بجعل عيسى وأمّه إلهين، لا في السّر ولا في العلانيّة؛ فهذا افتراء -حسبهم- والكتاب الّذي جاء بهذا الادّعاء باطل.

3-ادّعاء المسلمين على النّصارى كما ادّعوا على اليهود: يفنّد النّصارى ادّعاء المسلمين على اليهود بما لا يعرفونهم فيما بينهم، ولا يدينون به أصلا، ويستشهدون بآيات من القرآن؛ فالقرآن فيه آيات يستشهد بها محمّد أنّ اليهود قالو: إنّ عزيرا ابن الله، وإنّ يد الله مغلولة[2]، إنّ الله فقير وهم أغنياء[3]، ولا يعرف اليهود شيئا من هذا في دينهم.

---

[1]-رسائل الجاحظ، في الرّد على النّصارى، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، 1964م.

[2]-المائدة، الآية64.

[3]-آل عمران، الآية181.

4-غلط المسلمين في الأخبار وأخذهم العلم عن غير الثّقات: يدّعي النّصارى أنّ المسلمين ينقلون الأخبار عن غير الثّقات وأهل العلم، ويستدلّون على ادّعائهم بالآية:"ابن لي صرحا"، وينطق القرآن بهذا القول على لسان فرعون يخاطب هامان، والغريب أنّ هامان عاش بعد فرعون بدهر طويل في زمن الفرس ولم يلتق به.

5-يدّعي المسلمون أنّ اسم يحي بن زكريا لم يكن من قبل: يفنّد النّصارى ما يدّعيه المسلمون في القرآن أنّ اسم يحي لم يكن معروفا تماما في قوله تعالى:"اسمه يحي لم نجعل له من قبل سميّا"، ورغم هذا إلاّ أنّهم يجدون في كتبهم وفيما اشتهر عندهم أنّ اسم يحي موجود من قبل ويستدلّون باسم: يوحنّا بن فرح (يوحانان بن فاريح).

6-يدّعي المسلمون أنّ الله أرسل رجالا فقط قبل محمّد: يردّ النّصارى هذا الادّعاء بما يذكره أصحاب الكتب عندهم بأنّ الله بعث من النّساء نبيّات: منهنّ مريم بنت عمران، وحنّة، ورفقى امرأة اسحاق، والقرآن يذكر:"**وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون**"[1].

7-**يدّعي المسلمون أنّ عيسى تكلّم في المهد:** يستدلّ النّصارى في ردّهم هذا الادّعاء بعدم معرفتهم به، ولا اليهود تعرفه إلاّ من المسلمين، ولا تعرفه المجوس، ولا الصّابئون، ولا عُبّاد الأصنام من الهند، ولا التّرك ولا الخزر.

تلك هي القضايا الّتي انتقد فيها النّصارى المسلمين، ونبسط الآن موقف الجاحظ المفنّد لادّعاءات النّصارى، ونركّز على الأدوات الّتي يستخدمها في إنشائه للسّلالم الحِجاجيّة.

قبل أن يعزم **الجاحظ** الرّدّ على النّصارى، يفتتح ردّه بإثارة قضية ضروريّة لا بدّ منها، وتكمن في ذكر الأسباب الّتي دفعت العوام من المسلمين إلى حبّ النّصارى وكره

[1]-النحل، الآية43.

اليهود؛ وهي أسباب كثيرة يجعلها في قسم حجاجيّ كلّي، تتفرّع عنه أقسام حِجاجيّة فرعيّة تتعالق فيما بينها، وتتّجه نحو قضية حِجاجيّة واحدة، وتتجلّى في شكل سلّم حِجاجيّ كلّي وسلالم حِجاجيّة فرعيّة متنوّعة، تعالج قضايا ودعاوى مختلفة إلاّ أنّ وجهتها الحِجاجيّة واحدة، وترافع لصالح القسم الحِجاجيّ الكلّي، ونشرع في عرض القسم الحِجاجيّ الكلّي الأول، وهو:

- **القسم الحِجاجيّ الأول: أسباب حبّ العوام للنّصارى:**

لاحظ الجاحظ أنّ العوام من المسلمين يميلون إلى حبّ النّصارى وتفضيلهم على اليهود، وتتشكّل أسباب هذا الحبّ سلّما حِجاجيّا هكذا:

النّتيجة (النّصارى أفضل من اليهود)

+ (إيجابيّ)
- النّصارى أحبّ.
- النّصارى أسلم صدورا.
- النّصارى أقرب مودّة.

- (سلبيّ)
- النّصارى أقلّ غائلة.
- النّصارى أصغر كفرا.
- النّصارى أهون عذابا.

يترتّب عن هذا السّلّم بناء وعي جماعيّ يضع اليهود في أدنى السّلّم الاجتماعيّ والحضاريّ والعلاقات الستراتيجيّة، ويرفع في السّلّم نفسه النّصارى إلى الأعلى في المنطقة الإيجابيّة، وتؤشّر اللّغة بمؤشّرات كمّية، تحكم مقارنة اليهود بالنّصارى، نحو: أهون، أصغر، أقل، أقرب، ومؤشّرات جوهريّة ذاتيّة: أسلم، أحبّ، ومؤشّرات صرفيّة: صيغة أفعل التّفضيل.

وتقوم علاقة اليهود بالنّصارى في السّلّم نفسه على التّضاد وليس على التّكامل؛ فكلّما زادت الصّفات الإيجابيّة للنّصارى نقصت لليهود، وكلّما زادت الصّفات السّلبيّة لليهود نقصت للنّصارى؛ ولهذا فالوجهتان الحِجاجيّتان متضادّتان ولكن ماحقيقة هذا السّلم ووجهته الحِجاجيّة بالنّسبة إلى **الجاحظ**؟.

يربط الجاحظ هذا السّلّم بدرجة دنيا من الوعي الحضاريّ والعلميّ، وينسبه إلى طبقة العوام: وهم أهل الجهل وعدم النّظر، وتتقاطع مع طبقة الخاصّة: وهم أهل المعرفة والنّظر، وندرج الطّبقتين في السّلالم التّالية:

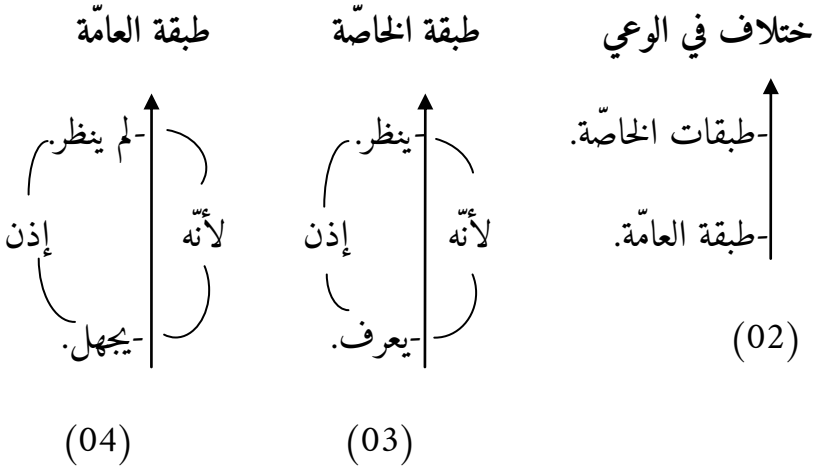

إنّ السّلّم الحِجاجيّ(01)يعدّ إشكالا داخل المجتمع الإسلاميّ لا بدّ من معالجته أوّلا وإبراز تهافته، فهو من عناصر التّشويش والتّشويه للقضية الأساسيّة وهي: الرّدّ على النّصارى، وينبغي إزالته من المخطط الحِجاجيّ الّذي رسمه الجاحظ منذ البداية، ولكن كيف؟.

يبني الجاحظ ثلاث سلالم حِجاجيّة؛ سلّم الاختلاف في الوعي بين خطاب العامّة(الدوكسا) القائم على الذّاتية والجهل والضّلالات، وخطاب الخاصّة(الابستيمي) القائم على الموضوعيّة والنّظر العلميّ؛ إنّه سلّم يقوم على التّضادّ بين طبقتين وخطابين متنافرين غير متكاملين، وسلّم **طبقة الخاصّة:** تتميّز بالمعرفة والنّظر وبالتّالي فخطابها حِجاجيّ

ومعقول، ونقرأ الحدث الحِجاجيّ في سلّم الخاصّة هكذا: طبقة الخاصّة تعرف(نتيجة) لأنّها تنظر(سبب) أو طبقة الخاصّة تنظر(سبب) إذن هي تعرف(نتيجة)؛ وقصد الجاحظ في هذا السّلّم هو: الاحتجاج بأقوالها(الخاصّة وهو منهم).

وسلّم **طبقة العامّة:** على العكس من الطّبقة السّابقة تختصّ هذه الطّبقة بالجهل وعدم النّظر، وبالتّالي فخطابها مغالطيّ زائف وغير معقول بل مردود، ونقرأ الحدث الحِجاجيّ في سلّم العامّة هكذا: طبقة العامّة تجهل(نتيجة) لأنّها لم تنظر(سبب) أو طبقة العامّة لم تنظر(سبب) إذن هي تجهل(نتيجة)، وقصد الجاحظ من هذا السّلّم هو: عدم الاحتجاج بآرائها وأقوالها(العامّة وهو ليس منهم).

إنّ الفاعل المحجوج حين يتأمّل هذين السّلّمين(الخاصّة والعامّة) لَيخلص إلى النّتيجتين المطلقتين التّاليتين:

-من ينظر يعرف(نتيجة أوّلية)، ومن يعرف فهو موجود(نتيجة مطلقة).

-من لا ينظر يجهل(نتيجة أوّلية)، ومن يجهل فهو معدوم(نتيجة مطلقة).

ولهذا فطبقة العامّة معدومة في المخطط الحِجاجيّ للجاحظ في رسالته، وأمّا طبقة الخاصّة بأقوالها الحِجاجيّة موجودة في مخطّطه، يجد المحجوج نفسه بين خطابين متعارضين يتجاذبانه، أحدهما حِجاجيّ والآخر مغالطيّ، وكأنّي بالجاحظ يتّخذ عند محجوجه عهدا ألاّ يثبت آراء العامّة، وأن يعتمد آراء الخاصّة وتوجيهاتها.

ونحن بدورنا نقرأ السّلّمين السّابقين(الخاصّة والعامّة) من منظور مبدإ الاستلزام والتّكميم المنطقيّ، ونخلص إلى نتيجة كلّية مجرّدة، تتكرّس في وعي كلّ من طالع الرّسالة هكذا:

-لكل (س) إذا س (ق)، إذن س (ك)./س=من، ق=ينظر، ك=يعرف.

-لكلّ (س) إذا س (لا-ق)، إذن س (لا-ك)./س=من، ق=لا ينظر، ك=لا يعرف.

لنلاحظ أنّ الحجج في السّلّمين تحكمهما علاقة الاستلزام.

ويحصر الجاحظ محجوجه منذ بداية ردّه في الأخذ بأقوال الخاصّة والاحتجاج بها دون غيرها، فما عسى تطرح هذه الأقوال يا ترى؟ وكيف رسم الجاحظ حِجاجه في إطار السّلالم الحِجاجيّة؟ وكيف وظّفها في رسالته؟ وما مدى نجاعتها التّداوليّة والحِجاجيّة في مثل هذه الإشكاليّات والموضوعات والخطابات؟ وما حظّ الجاحظ من الاعتراض والتّفنيد والرّدود والتّعليقات والتّأويلات...؟ وكيف يستجيب المتلقّي المستهدَف للمقصديّة الكلّية للرّسالة؟.

1- سلّم الجيرة (المسلمون جيران اليهود):

من بين أوّل الأسباب الّتي دفعت العوام إلى كره اليهود وميلهم إلى النّصارى: علاقات الجوار بين المسلمين واليهود، وهذا ما يتضمّنه القسم الحِجاجيّ الأوّل الّذي يتّجه نحو تحديد السبب الأول للكراهيّة المزعومة بين المسلمين واليهود، فيرى الجاحظ أنّ مسألة الجيرة تأتي في صدارة السّلّم الحِجاجيّ الكلّي، ويؤشّر له بواسمات الدّرجيّة، وهي عبارة "أوّل ذلك"؛ وتفيد التّوجيه نحو التّرتيب والتّدريج والحساب، ولكن مسألة الأوّلية هنا تعني القوّة الحِجاجيّة للقضية الواردة، فهي أمّ القضايا والأسباب.

ويفصّل الجاحظ تلك المسألة وفق السّلالم الحِجاجيّة الفرعيّة التّالية:

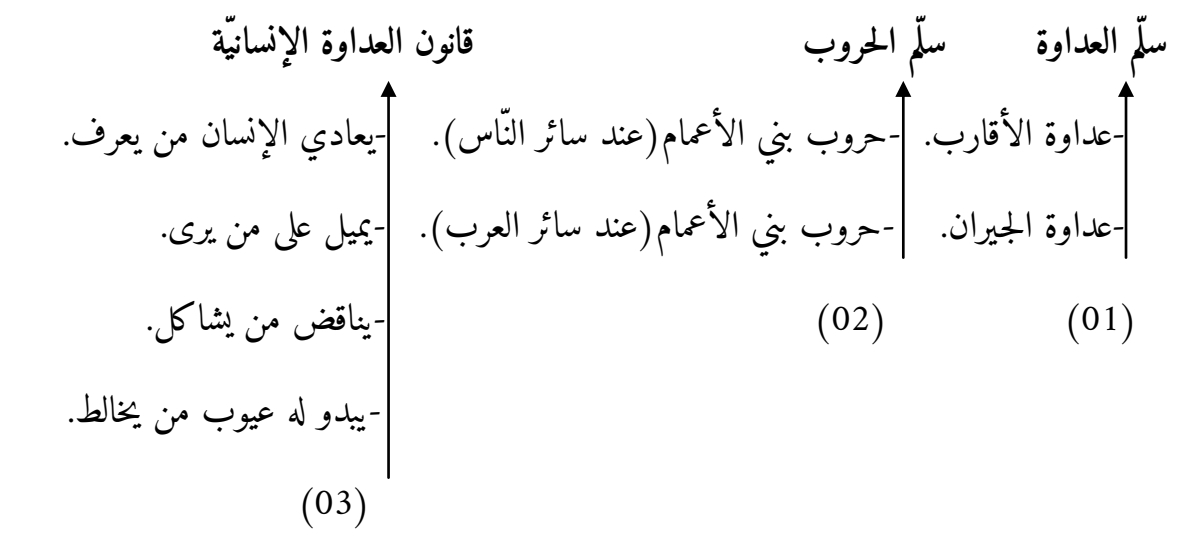

لنلاحظ هذه السّلالم الحِجاجيّة الفرعيّة الثّلاث الّتي تتدرّج جميعها في قسم حِجاجيّ فرعي واحد: كراهيّة المسلمين لليهود، ونبدأ بسلّم العداوة(01)؛ فهذا السّلّم يجسّد مبدأ كمّيا درجيّا، وقد عبّر الجاحظ عنه هكذا: وعلى قدر الحبّ والقرب يكون البغض والبعد، واللّفظتان"الجيران والأقارب" تنتميّان إلى سلّم العلاقات الاجتماعيّة القائمة بين النّاس، وتختلف من حيث شدّة القرابة والبعد، ويمكن قياسها وملاحظتها كحالات اجتماعيّة، تسجّلها اللّغة في مفرداتها كواسمات، تحفظ لها سلّميّتها من حيث القوّة والضّعف؛ فعداوة الجيران أقلّ شدّة من عداوة الأقارب، وقد عبّر الجاحظ على هذا بسلّم حِجاجيّ بلاغيّ، وهو سلّم التّشبيه؛ فقد شبّه عداوة الجيران بعداوة الأقارب؛ فالأولى مشبّه: ويكون هو الأدنى في التّركيب التّشبيهيّ مطلقا، والثانية مشبَّه به؛ ويكون هو الأعلى دوما في منطق التّشبيه؛ ورغم اختلافهما في الدّرجة والقوّة إلاّ أنّهما عبارتان متكاملتان، تقوم بينهما علاقات التّشابه والتّقاطع، وتسيران نحو نتيجة حِجاجيّة واحدة هي: العداوة، وقد استخدم الجاحظ كلمة"شبيهة" كواسم لسلّمه الحِجاجيّ؛ فهي لا تعني التّطابق والتّساويّ، إضافة إلى السّلّميّة المعجميّة الاجتماعيّة للمفردات.

وأمّا سلّم الحروب(02)، وإذا كان السّلّم(01) يطالعنا بمجرد العداوة وتمكّنها بين الأقارب والجيران، فإنّ هذا السّلّم يسير في الاتّجاه نفسه، ويضيف دليلا آخر، ويبرز بقوّة

سببَ بغض العوام لليهود، وهو: الحروب الّتي تنشب فيما بين سائر النّاس تطول وتقصر وفق درجات القرابة الاجتماعيّة بين النّاس؛ فهي تطول بين الجيران إلاّ أنّها تكون أطول مدة فيما بين بني الأعمام أطول، ليس من العرب فحسب بل من سائر النّاس.

لنلاحظ أنّ الجاحظ يخرجنا من التّخصيص والتّقييد إلى التّعميم والإطلاق، ومن الخصوصيّة إلى الكونيّة، ويَسم الجاحظ هذا السّلّم بالسّور المنطقيّ"سائر" الّذي يتقاطع مع أسوار منطقيّة ضمنيّة: أغلب، بعض، كثير، قليل، نزر يسير...الخ، وحصر الجاحظ لمَحجوجه بهذا السّور"سائر" يريد منه بناء مبدإ عامّ، ينسحب على الجميع.

وأمّا سلّم قانون العداوة الانسانيّة(03)، فيُخرِجه الجاحظ إخراجا يحصُرنا بأداة الحصر "إنّما"؛ وهي أداة حِجاجيّة لسانيّة وتوجيهيّة، توجّه المَحجوج إلى نتيجة معيّنة دون غيرها، وتلغي كافة التّأويلات الّتي قد يتوسّلها المَحجوج الشّاك، فهي تدفع اعتراضَ المفترَض سلَفا.

إنّ استعمال أداة الرّبط الحِجاجيّ "إنّما"، ينقل الحجج الواردة في السّلّم من المستوى الإخباريّ إلى المستوى الحِجاجيّ السِّجاليّ.

وتتدرّج الحجج في هذا السّلّم من الأضعف إلى الأقوى، وتتّجه نحو اثبات عداوة الانسان لأخيه الإنسان، فحين المخالطة تبدو له عيوب مخالطه، وهي حجّة أوّلية ضعيفة في علاقتها بقانون العداوة الإنسانيّة، إذ لا تُبرِز موقفا عدائيّا، وأمّا الحجّة الثّانية فهي تُحدّد موقفا مخصوصا يتّخذه الانسان ليس من جميع النّاس وإنّما من فئة مخصوصة تشاكله، وهذا الموقف هو "المناقَضة" وهي إحدى مسبّبات العداوة، وتأتي الحجّة الثّالثة لتقرّ أنّ الانسان بطبعه ميّال على كلّ من يراه، فإذا كانت "المناقَضة" تختصّ بالأقران فإنّ "الميل" يستوعب

الجميع، ثمّ تأتي الحجّة الأقوى في أعلى السّلّم وتؤكّد سابقاتها، وتزيدها قوّة وهي تصريح الجاحظ بأنّ: الانسان بطبعه يعادي كلّ من يعرف.

2- سلّم حسد اليهود للمسلمين المهاجرين:

بعد أن بسط الجاحظ سلّم العداوة والحروب ورسَم قانون العداوة البشريّة النظريّ، ها هو ذا ينتقل بنا إلى تشخيص السّبب الأول لعداوة اليهود للمهاجرين والأنصار، ونرسم هذا التّشخيص في سلّم "حسد اليهود للمهاجرين" هكذا:

الكيد والعداوة ← - إلى المناجَزة والمنابَذة بالعداوة.

الطّعن وإثارة الشّبهة ← -جاوزوا الطّعن وإدخال الشّبهة.

- مالئوا الأعداء والحسَدة.

-استمالوا الضَّعَفة.

-شبّهوا على العوام.

حسد. ← -التّواصل بعد التّقاطع.

-الاجتماع بعد الافتراق.

-النّعمة في الدّين.

(03)

بخصوص السّلّم (01) يطرح الجاحظ أمامنا فئتين مختلفتين لكنّهما متكاملتان، كانتا جارتين لليهود بيثرب، وهما: المهاجرون والأنصار، وقد اشتبكتا مع يهود يثرب في علاقة عداء، ولكن أيّهما أبغض إلى اليهود من الفئة الأخرى؟.

يرسم الجاحظ لنا سلّما، يضع المهاجرين في أدنى سلّم الجوار لليهود بحكم أنّ المهاجرين وافدون جدد إلى المدينة؛ ولهذا فهم أقلّ عداء لليهود من الأنصار الّذين هم جيران اليهود بزمن طويل؛ فمسألة الأقدميّة والجدّة تترتّبان على السلّم بواسمات الزّمنيّة وهي"قد كانت الأنصار": هذا الفعل الماضي النّاقص يشير إلى التّجذّر في الماضي، ويؤكّده حرف التّحقيق"قد"، و"لمّا صار المهاجرون": هذا الفعل الماضي النّاقص هو مؤشّر زمنيّ على الحداثة والطّارئ، ويؤكّده حرف الجزم"لمّا"، ويشكّل الفعلان معا سلّما زمنيّا.

أمّا السّلّم(02) فيؤكّد حجّتين اثنتين، تُبرزان نمط العلاقة وتاريخها فيما بين اليهود والأنصار، وهما: -**الأقدميّة في الجوار**؛ ومسألة الجيرة هي من أسباب العداوة كما أسلفنا. -

المشارَكة في الدّار: تأتي في أعلى السّلّم لأنّ المشارَكة هي مخالَطة تتجاوز مجرّد الجوار، والمخالَطة تُسفِر عن العيوب، وتدعو إلى العداوة.

وأمّا السّلّم(03) فيتّجه نحو إبراز أعمال اليهود المتدرِّجة في صراعهم مع اليهود والمهاجرين والأنصار، وتبدأ من الحسد إلى الطعن وإثارة الشّبهات ثمّ تدبير الكائد، ولم يكفهم هذا بل تجاوزوه إلى إعلان الحرب وبذل النّفس ورصد الأموال لقتالهم، وقد طال هذا فترسَّخ الحقد، وكلّ تلك الحجج ودَرَجيّتُها تبيّن عمق الآثار النّفسيّة والاجتماعيّة والتّاريخيّة للعداء الحضاريّ بين هؤلاء الّذي بلغ مداه.

ويلاحظ المحجوج أنّ الجاحظ يعوِّل على العوامل الحِجاجيّة المختلفة في بناء سلالمه الحِجاجيّة؛ بحيث يكون لها إيقاع درجيّ، يقود المحجوج من أدنى درجة صعودا إلى أعلاها هكذا: فلمّا(الجزم والتحقيق)+ وقد+ العطف بالواو الّتي تفيد الوصل الحِجاجيّ للحجج المتدرِّجة؛ فهي ليست مجرد وصل حُجج متساوية بل ترتّبها من حيث قوّتها الحِجاجيّة، ويرقى بالسلّم بعبارة: ثمّ جاوَزوا...إلى: وهي عبارة تفيد التّرتيب التّصاعدي للمعطيات، ثمّ تظهر حروف العطف الواصلة مرة أخرى نحو: الفاء(فجمعوا) والواو ، وتأتي عبارة "وطال ذلك" كمؤشِّر زمانيّ كمّي، يعبِّر عن حقبة طويلة ممّا يُسهِم في ترسيخ الأحقاد والعداوة، بالإضافة إلى الصّيغ الصّرفيّة نحو: تفاعَل(ترادف، تضاعَف)، استفعل(استفاض)، تفعَّل(تمكَّن)، وهي صيغ المبالَغة في السّلّم الدّلاليّ للصّيغ الصّرفيّة قوّةً وضعفاً.

إذا كانت قضية الجوار بين اليهود والمسلمين بيثرب هي: سبب الأحقاد والعداوة والحرب، فإنّ بعد ديار النّصارى عن ديار المسلمين هو: سبب التّعلّق بالنّصارى وحبّهم من العوام؛ وهذا ما يمثّله السّلّم الحِجاجيّ التّالي:

قلوب النّصارى لِيّنة

أ-لا يتكلّفون طعنا.

ب-لا يُثيرون كيدا.

جـ-ولا يُجمعون على حرب.

(01)

يتضمّن هذا السّلّم(01) ثلاثة حجج منفيّة، تتساند لإثبات النّتيجة لا-ن؛ أي قلوب النّصارى غليظة، وتعوِّضها بصفة أخرى وهي: لِيّنة، ويُخرِج الجاحظ سلَّمَه هذا وفق أداة النّفي مُحدِثا قلبا حِجاجيّا للسّلّم السّابق الخاص باليهود؛ فالحجة المنفيّة "أ" هي أقوى من "ب" و"جـ" توكيدا للنّتيجة لا-ن؛ وهذا القلب يقود المحجوج إلى الاقتناع بالنّتيجة(لا-ن) بسبب أنّ النّصارى لا يتكلّفون طعنا، وهو أمر يسير فما بالك بأن يُثيروا كيدا أو يُجمعوا على حرب.

وتترتّب الحجج حسب قوّتها الحِجاجيّة على التّوالي: أ، ب، جـ؛ وتُجمع بينها علاقة الاستلزام؛ أي أنّ الحجّة الأقوى إثباتا للنّتيجة لا-ن هي "أ" ، وتستلزِم بدورها ما دونها من الحجج.

3- سلّم الهجرة إلى الحَبَشة: يُضيف الجاحظ سببا آخر من الأسباب الّتي دفعت العوامّ إلى حبّ النّصارى وبغض اليهود، وهو هجرة نفر منهم إلى الحَبَشة، حين لجأوا إلى النّجاشيّ فأكرمهم وهو نصرانيّ، فزادَهم حبّا إلى عوام المسلمين، واستخلَص الجاحظ من هذا السّلالَمَ الحجاجيّة التّالية:

حبّ العوام للنّصارى(01) **بغض العوام لليهود(02)** **الانسان المحبوب(03)**

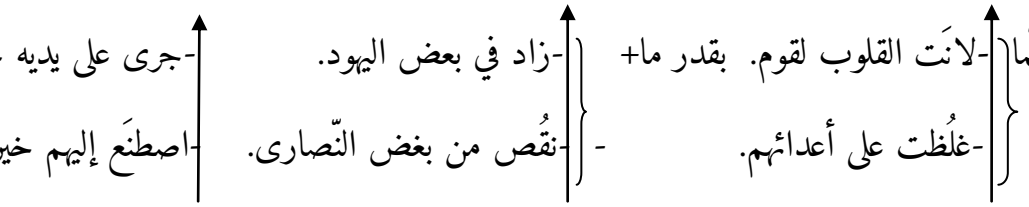

يبني الجاحظ من خلال السّلّم(01) قانونا فطريّا لقلوب النّاس في المعاملات الاجتماعيّة، ومضمونه أنّ النّاس في عمومهم يُبغِضون عدوَّ صديقهم، ويعبِّر الجاحظ بالسّلّم الزّمنيّ بمؤشِّر "كلَّما" الدّال على الظّرفيّة الزمنيّة، ويحوي السّلّم مفردتين متضادّتين، وهما: "لانَت" و"غلُظت"، وتسيران في اتّجاهين متعاكسين والعلاقة بينهما طرديّة، فكلّما كان اللّين قويّا كانت الغِلظة قويّة أيضا، والعكس صحيح.

ويدعم السّلّم(01) السّلّم(02) الّذي يعبِّر عن اشتقاق السّلّم(02) من السّلّم(01) ونتيجة له، ويتركّب في ذهن المحجوج أنّ: القلوب تكون ليّنة عندما يكون البعضُ ناقصا(حالة العوام مع النّصارى)، وتكون القلوب غليظة عندما يزيد البغض(حالة العوام مع اليهود).

ثمّ يأتي السّلّم(03) ليُعمِّم قانونا اجتماعيّا، وهو أنّ النّاس مجبولون على حبّ الانسان الخيِّر، فيستنتج المحجوج أنّ: المسلمون يحبّون النّصارى لأنّ النجاشي اصطنَع إليهم خيرا وأكرمهم ليس إلاّ...

4- سلّم التّأويل الخاطئ: ويأتي سبب آخر من أسباب حبّ العوام للنّصارى، وهو الغلَط في تأويل آيّةٍ، تضمَّنت اسم النّصارى وحبِّهم للمؤمنين، وهو قوله تعالى:"**لَتجدنَّ أشدَّ النّاس عداوة للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا ولَتَجدنّ أقربهم مودةً للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى**" إلى قوله:"**وذلك جزاء المُحسنين**"[1].

[1]-المائدة، الآية82، 85.

ونورد فيما يلي سلّمين حجاجيّين أحدهما يختصّ بتأويل العامّة للآية ، وثانيهما يختصّ بتأويل الجاحظ وتصحيح الغلَط الّذي وقعت فيه العامّة واحتجّت به:

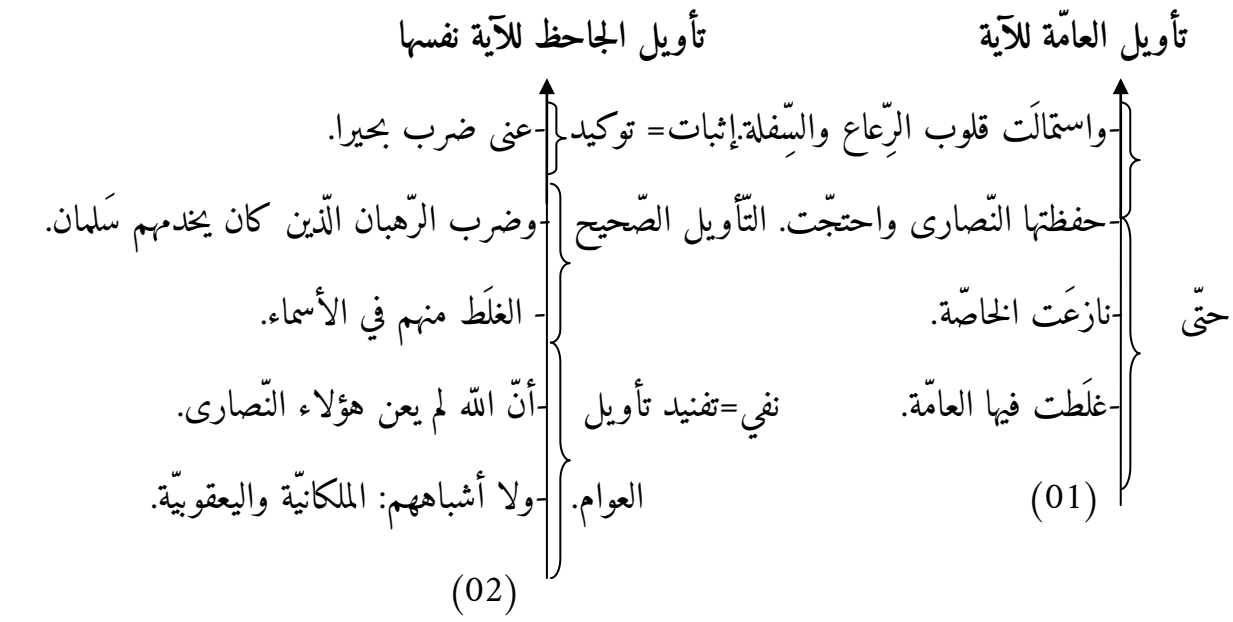

إنّ الآية السّابقة تضع اليهود والّذين أشركوا إلى جانب النّصارى، وتقارن بين هذه الفئات وتبيّن أيَّ فئة أشدّ عداوة، وأيّها أقرَب مودّة للّذين آمنوا؛ وأمّا الغلَط الّذي وقعت فيه العامّة أنّها اعتقدت بأنّ: كلمة "النّصارى" المذكورة في الآية تعني مطلق النّصارى بلا استثناء، وهذا الغلَط بلغ مداه؛ وقد عبّر الجاحظ عن هذا المَدى بالعامل الحجاجيّ "**حتّى**" عمّا ترتّب من سوء التّأويل؛ فقد انتقلت من مجرّد الغلَط إلى منازَعة الخاصّة، وتفاقَم الأمر إلى أن وصل ذلك التّأويل الخاطئ إلى النّصارى فاحتجَّت به، بل راحت تستميل قلوب السّواد.

يردّ الجاحظ التّأويل الغلِط لكلمة "النّصارى"، ويعمد إلى مبدأ التّخصيص، ويُثبِت أنّ النّصارى طوائف، والقرآن لا يقصدها جميعها، وإنّما المقصود ضرب "**بحيرا**" الرّاهب، وضرب الرّهبان الّذين كان يخدمهم سَلمان الفارسيّ.

وقبل أن يُثبِت الجاحظ التّأويل الصّحيح، عمَد إلى أدوات النّفي، وهي في ذاتها تشكِّل سلَّما حجاجيّا نحو "لم"؛ وتكون أقوى جزما للنّفي، وتليها "لا"؛ وهي أداة نفي دون الجزم، ونذكّر القارئ هنا بأنّ النّفي يتّجه دوما نحو الخفض، ولهذا يبدأ بنفي الحجّة المضادّة الأقوى أوّلا، وهي هنا النّصارى= تعني مطلق النّصارى، ثمّ يتدرّج النّفي هبوطا نحو الحجج المضادّة الضّعيفة فالأضعف، وهي غير مطروحة عند العامّة إلاّ أنّ حرص الجاحظ على نفي حجّة أخرى يمكن للعامّة أن تُناوِر بها ك:المِلكانيّة واليعقوبيّة، ويتّجه التّأويل نحو الوجهة الحجاجيّة الصّحيحة وحصرها بأداة الحصر "إنّما"، ثمّ يعيد تحديد النّصارى بالتّعيّين الشّخصيّ، وذكر "ضرب بحيرا الرّاهب" و"الرّهبان الّذين خدمهم سَلمان الفارسيّ".

5- نصرانيّة ملوك العرب:

كانت العرب حين مجيء الإسلام تدين للنّصرانيّة؛ فملوك العرب رجلان نصرانيّان، وهما: غسّاني ولخميّ، والنّاس على دين ملوكهم، وهذا ما عبّر عنه الجاحظ في السَّلالم الحِجاجيّة الآتية:

العرب على دين ملوكها.

-راجعا إلى تعظيم دينهما.

-فكان تعظيم قلوبهم لهما.

-تؤدّي الإتاوة إليهما.

- كانت العرب تدين لهما.

(01)

قبيلة تِهامة لِقاح (مُلحَقة بالنّصرانيّة)

-تهامة لا تدين الدّين.

-ولا تؤدّي الإتاوة.

-ولا تدين للملوك.

- كانت لا تمتنع من تعظيم ما عظّم النّاس.

- كانت لا تمتنع من تصغير ما صغّر النّاس.

(02)

يحتوي السّلّم(01) حججا تختلف من حيث ضعفها وقوّتها، إلاّ أنّها تؤكّد نتيجة نهائيّة، يعبّر عنها قصد الجاحظ بأنّ النّاس في عمومهم يدينون بدين ملوكهم؛ وينطلق الجاحظ من الحجّة "أ" ليكرّس مبدأ عامّا هو: الإقرار بارتباط العرب بملوكهم ارتباطا دينيّا، وهذه الحجّة تمهّد للحجّة "ب" الّتي تليها، وتجنَح نحو تخصيص السّلوك الدّينيّ الّذي كانت عليه العرب كمؤشّر ثقافيّ على الالتزام الدّيني أمام ملوكهم، ويظهر في المفردة "الإتاوة" ذات الحمولة الثّقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة أيضا.

والحجّة "جـ" تتجاوز التديّن كظاهرة طوعيّة وأداء الإتاوة كإلزام من السّلطة للمواطنين إلى تأكيد أنّ العرب تعظِّم ملوكها، فليس من الغريب أن تُعظِّم أيضا دينهم وتعتنقه، وهذه هي الحجّة الأقوى سنَداً للنّتيجة الّتي يقصدها الجاحظ.

إنّ تلك السِّمات الثّقافيّة والاجتماعيّة المستمَدّة من تعاليم المسيحيّة هي: سببٌ آخر من الأسباب الّتي أَسْهمت في تعلّق العوام بالنّصارى دون اليهود؛ فهو دين الأباء والأجداد والملوك، وثمّة روابط حميميّة بين العرب والنّصارى.

ومن الأدوات المنطقيّة الّتي توسّلها الجاحظ في تشكيل السّلّم الحِجاجيّ(01) نذكر: مبدأ الاستلزام وعلاقة السّبب والنّتيجة:

ويظهر الاستلزام بين الحجج الأربعة(أ، ب، ج، د) انطلاقا من الحجّة الأقوى(د) تنازُلا إلى الحجّة الضّعيفة(أ) في أدنى السّلم؛ ويشتغل مبدأ الاستلزام بين تلك الحجج وفق هذا المنظور: إنّ العرب تعظِّم دين ملوكها، ويستلزم هذا أنّها تعظِّم ملوكها، وما دامت تفعل هذا فلا يمكن أن تمتنع عن أداء ما افترضوه عليهم كـ"الإتاوة" مثلا، أو تمتنع عن أن تدين لهما.

ويلاحظ القارئ أنّ الحجّة الأقوى في أعلى السّلّم دائما تستلزم كلّ ما دونها من الحجج.

وأمّا علاقة السّبب والنّتيجة المُنشِئة للسّلّم الحِجاجيّ(01) فنلحظها بين الحجّة "جـ" و"د"، ويربط الجاحظ بينهما ربطا سببيّا بعبارة "راجعا إلى"؛ وهي تُماثِل عبارة "سَببُه"، ونجرِّد تلك العلاقة كما يلي:

-جـ يُسبِّب د، وحصول د سَبَبُه جـ.

-تعظيم دينهما سَبَبُه تعظيم قلوبها لهما.

وهنا يلحظ القارئ أنّ العرب كانت لا تعظِّم النّصرانيّة من حيث أنّها دين، وإنّما تُعظِّمها بسبب ارتباطها بالسّلطة السّياسيّة ليس إلاّ...

هذا، ويستثني الجاحظ من ضمن القبائل العربيّة الّتي كانت تدين النّصرانيّة قبيلةَ تِهامة؛ فقد كانت "قبيلةً لِقاحاً" بتعبير الجاحظ؛ أي أنّها بلا دين معيّن، وهي النّتيجة الّتي تؤكّدها الحجج في السّلّم(02)؛ وإذا كانت معظم القبائل العربيّة تدين دين ملوكها فإنّ الجاحظ يتوسَّل أداة النّفي، وينفي التّديّن عن تِهامة أساساً، وهي حجّة تَصدُر عن حكم عامّ نتّسم به، فبعد أن كانت حجّة دنيا في السّلّم(01)فإنّ وضعها في أعلى السّلّم(02)منفية أصبح حجّة أقوى على لِقاحيّة تِهامة؛ فهي تجعل المَحجوج يقتنع بما دونها من حجج منفيّة، لأنّها تستلزمها أصلا.

ويرد استثناء في أدنى السّلّم بحجّتين تُلحِقان قبيلة تِهامة بالنّمط الثّقافيّ السّائد بين النّاس؛ ورغم أنّها لِقاح إلاّ أنّها تعظِّم ما عظَّمه النّاس وتُصغّر ما صغَّروه.

وهكذا ينتهي بنا الجاحظ إلى أن يرسّخ لديه أنّ: المغلوب(الرعيّة) مولَع بتقليد الغالب(ملوكهم).

6- الرّحلات التِّجاريّة: تُسهِم المعاملات التِّجاريّة للأمم في ربط علاقات الصّداقة والتّثاقف بينها، وقد ذكر القرآن وكتب التّاريخ وأيّام العرب أنّ للعرب قبل الإسلام رحلات تِجاريّة متواصلة قِبَل الشّام، وتنبَّه الجاحظ إلى ذكر هذا العامل التِّجاريّ المؤثِّر في معتقَدات القبائل العربيّة؛ فقد كانت تتعاطى التِّجارة مع النّصارى وملوكهم، ونقرأها في السّلالم الحِجاجيّة التّاليّة: (01)

رحلات التّجارة (أيام العرب).

- ومرة منيحين مُستأنَفا بحمده.
- وَصيفَها بالطّائف.
- ومرة إلى يثرب.
- في تجارة مرّة إلى الحَبَشة.
- لها رحلة في الشّتاء والصّيف.
- يَنفُذ رجالها إلى ملوك الرّوم.
- كانت تَتَّجر إلى الشّام.

الهجرة إلى الحبشة.

قانون الرّفع:
- وقيصر والنّجاشي نصريّان.
- ولا تأنَّس بهم.

- ولم تكن تعرف كسرى.
- ويعرف لهم الأقدار.
- فيحبوهم بالجزيل.
- وتأتي باب النّجاشي وافدةً.

-وقد كانت تهاجر إلى الحبشة.

(02)

ينشأ السّلّم الحِجاجيّ(01) من علاقة التّعميم والتّخصيص؛ فقد عمَّم الجاحظ القول في قاعدة السّلّم؛ فذكر أنّ العرب تتّجر إلى الشّام، وينفُذ رجالها إلى ملوك الروم، والشّام والرّوم هي: بلاد النّصارى والنّصرانيّة، ثمّ تأتي بعدها الحجج المُخَصَّصة أكثر فأكثر، ويُسمِّيها الجاحظ الواحدة تلو الأخرى، وهي: رحلة الشّتاء والصّيف، رحلة إلى الحبشة، رحلة إلى يثرب، مَصيفها بالطّائف، منيحين مُستأنفا بحمده.

إنّ تشخيص الجاحظ لتلك الرّحلات التّجاريّة ليُؤَكّد نتيجة مُحدَّدة، تُفيد أنّ المعامَلات التّجاريّة كرَّست نَمطاً ثقافيّا سائداً فيما بين القبائل العربيّة والنّصرانيّة، كيف لا؟ والرّحلات التّجاريّة كانت روتينيّة، وهذه الميزة تعبِّر عنها المفردة المتكرّرة "مرّة"، وتُفيد الحساب والتّرتيب؛ وبهذا المعنى تُنشِئ بدورها سلّما حِجاجيّا.

أمّا السّلّم(02) فيرافع لصالح الهِجرة إلى الحَبَشة، ولا تكتفي العرب بها بل تأتي النّجاشيّ مَلِكها، وتُشير الحجّتان(جـ، د) إلى أنّ النّجاشيّ يحبوهم بالعطاء الوفير، ويؤشّر الفعل "يَحْبوهم" على نمَط العلاقات الحميميّة بين العرب والنّجاشيّ، وفي الضّفّة الأخرى تُضيف الحجّتان(هـ، و) إلى سابقاتها قوّة حِجاجيّة، تُؤكّدان من خلال أداة الجزم "لم" وأداة النّفي "لا" الحجج المُثبَتة قبلها؛ فإذا كانت تَفِد على النّجاشيّ فهي في المقابل لم تعرف كسرى ملك الفرس، وهو مجوسيّ، وحتّى كسرى لم يكن يأنَس بالعرب، وتَخْتِم الحجّة الأخيرة السُّلَّم، وتَمنَحنا مؤشّرا ثقافيّاً، أساسه المعاملات التّجاريّة، وهو إقرار الجاحظ بقوله: وقيصر والنّجاشيّ نصرانيّان.

يقود السّلَّمان(01، 02) المَحجوج إلى أن يعرف أهمّية المعامَلات التّجاريّة بين العرب وملوك النّصارى، ودورها في التّنصير؛ وهذا سببٌ كافٍ لتعلُّق العوامّ بالنصارى.

7- **انتشار النّصرانيّة في العرب قبل الإسلام:** إذا كانت العلاقات التِّجاريّة قد أسهمت في ربط أواصر الصّداقة ونشر المسيحيّة في شبه الجزيرة العربيّة وأرض الحِجاز، فهل كانت القبائل نصرانيّة حقّاً؟، يُجيبنا الجاحظ بهذين السّلّمين:

النّصرانيّة مُنتَشرة في القبائل العربيّة وملوكها.

-ثمّ في أفناء ذي الحدّين خاصّة.
-وأفناء بكر.
-وعبد القيس.
-فغلَبت على تَغلب.
-ثمّ ظهرت في ربيعة.
-وطي في قبائل كثيرة وأحياء معروفة.
-وقضاعة.
-والحارث بن كعب بنجران.
-وغسّان.
-غلَبت النّصرانيّة على لخم.

(01)

عطف قلوب دهماء العرب على النّصارى.

-فصاروا بذلك عندهم عقلاء وفلاسفة.
-وأنّ النّصارى متكلّمين وأطبّاء ومنجّمين.
-وأنّ بنات الرّوم وَلَدن لملوك الإسلام.
-وأنّ فيهم عرَبا كثيرة.
-ثمّ رأت عوامّنا أنّ فيهم مُلكا قائما.
-والقرَابة الّتي كانت لهم.
-الملك الّذي كان فيهم.

(02)

يحدِّد السّلم (01) جملة القبائل العربيّة الّتي انتشرت فيها النّصرانيّة، وخضع ذكرها ذكرا درجيّا للاستخدام الحِجاجيّة؛ بحيث تتدرّج الحُجج لتبيّن مدى انتشار النّصرانيّة، ومعيار

القوّة الحِجاجيّة في هذا السّلّم(02) هو "الغلَبة"، ويؤشّر الجاحظ عليها فالفعل "غلَبت" و"ثمّ ظهرت" و"غلَبت"، والحجّة الأخيرة هي الأقوى، تدعم فرضيّة انتشار النّصرانيّة وانحسار اليهوديّة، فقد انتشرت في القبائل إلى أن وصلت إلى آل ذي الجدَّين، وميَّز الجاحظ هذه الحجّة الأخيرة بكلمة "خاصّة" ليُعبّر عن مدى انتشار النّصرانيّة في القبائل العربيّة المترامية الأطراف، وهذا يدفع المتلقّي المَحجوج إلى أن يُضيف إلى ذاكرته الحِجاجيّة سبباً آخر جعل عوام العَرب يتعلّقون بالنّصارى دون اليهود.

أمّا السلّم(02) فيُؤكّد حالة الودّ بين النّصارى وعوامّ المسلمين، خصوصا إذا ما راعينا الحُجج المكوِّنة للسُّلّم(02)، وهي:**1-الملك:** يُقدّم الجاحظ هذه الحجّة كحجّة أوّلية، تغري العوام باتّباع النّصارى واعتناق دينهم.**2-القرابة:** رابطة القرابة والرّحم الّتي كانت بين عوام المسلمين والنّصارى أيضا من أسباب تعاطف القلوب.**3- الملك القائم:** خلق الملك القائم عند النّصارى شعورا بالتّبعيّة في نفوس العوامّ وعقولهم.**4-العرب النّصارى:** اعتناق جزء كبير من القبائل العربيّة للنّصرانيّة صار حجّة يحتجّ بها الجاحظ على عوامّ المسلمين.**05-المُصاهرة:** لاحظ العوام أنّ ملوك الإسلام تزوّجوا بنات النّصارى وولَدن لهم.**6-النّصارى متكلّمون وأطبّاء ومنجّمون:** إنّ ارتباط النّصارى بالبحث العلميّ في علم الكلام والطبّ والتّنجيم وغيرها من العلوم يُلقي بسلطته على النّاس من العوامّ بل على العلماء أيضا.7-**النّصارى عقلاء وفلاسفة:** هذه حجّة أقوى من غيرها، فمرتبة العقلاء والفلاسفة في الحضارات السّابقة هي أعلى المراتب العلميّة، فقد وضع العوامّ النّصارى في أعلى السّلّم الحضاريّ وتعلّقوا بهم.

تلك الحجج الآنفة تُقنِع المَحجوج بتأويل حالة العَطف الملاحَظة على عوام المسلمين تجاه النّصارى.

8- مهن النّصارى واليهود: يواصل الجاحظ في تأويل الأسباب الّتي عَطَفت قلوب عوامّ المسلمين ودهمائهم على النّصارى دون اليهود، و يقارن هذه المرّة بين المهن الّتي يمتهنها النّصارى، وهي مهنٌ شريفة، وأمّا مهن اليهود فهي مهن وضيعة في سلّم المهن؛ وهذا الاختلاف كرَّس اعتقاداً لدى العامّة بشرف النّصارى بسبب شرف مهنهم، ووضاعة اليهود بسبب وضاعة مهنهم أيضا، ونبيّن هذا في السّلَّمين التّاليين:

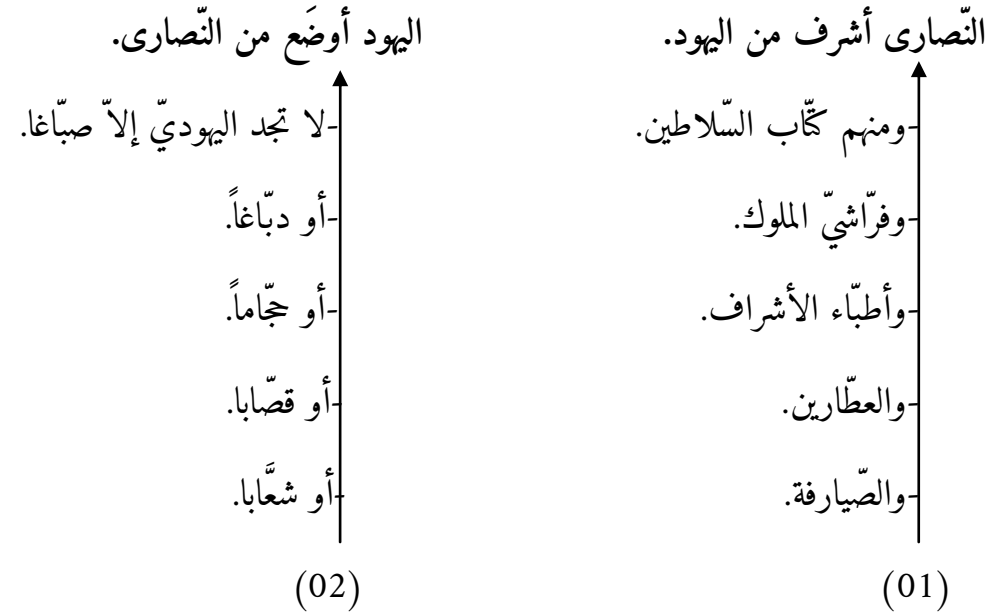

يُمثّل هذان السّلّمان(01، 02) سلَّما المهن؛ منها الشّريفة ومنها ما دون ذلك؛ إنّ إحصاء الجاحظ لمهن النّصارى الشّريفة، يكشف لَحجوجه عن أصل تعلّق العوام بالنّصارى؛ فقد أوّل العوام امتهانهم للمهن الشّريفة دليلا على شرف هويّتهم الدّينيّة، فحسبوهم أشرف النّاس وتعلّقوا بهم؛ والسّلّم(01) المُعيَّن بنتيجة مؤدّاها: أنّ النّصارى أشرف من اليهود، وأساسها هي المهن الّتي تأخذ في التّدرّج عبر السّلّم الحِجاجيّ من المهنة الشّريفة إلى الأشرف فالأشرف، ويبدأ من:1-الصّيارفة.2-العطّارين.3-أطبّاء الأشراف.4-فرّاشي الملوك.5-كتّاب السّلاطين.

إنّ هذه المهن الشّريفة حقّا، تُؤثّر في عقول العوامّ أصحاب الرؤية الخارجيّة والفهم السّطحيّ، وتقودهم إلى تشريف النّصارى واتّباعهم.

وفي المقابل يحتوي السّلّم(02) مهنا بسيطة، يمتهنها اليهود، وهي مهن حصرها الجاحظ في اليهود دون غيرهم، وتوسّل الجاحظ العامل الحِجاجيّ "لا...إلاّ.."، وأدّى وظيفة حِجاجيّة هي: **الحَصْر** للمهن الوضيعة في اليهود دون غيرهم؛ وهكذا ربط العوام بين المهن الوضيعة وأصحابها، فاعتبروا أنّ دين اليهود وضيع مثل مهنهم؛ وأشرف مهنة يمارسها اليهود هي: الصِّباغة ثمّ تأتي المهن الأخرى الأقلّ شرفا دونها في السّلّم، وهي: الدِّباغة، الحِجامة، القصابة والشِّعابة.

9- الفارق العلميّ بين اليهود والنّصارى: ذكرنا آنفا أنّ العوام ترى أنّ النّصارى لهم علم وفلسفة وتنجيم، فتعلّقوا بهم، فماذا عن اليهود؟. لنتأمّل هذا السّلّم الحِجاجيّ:

اليهود جَهَلة.

-ويحرِّمون كلامَ من سلَك سبيل ذلك.

-حتّى إنّهم لَيُبهرِجون المشهور بذلك.

-والخلاف على الأسلاف وأهل القدوة.

-والخروج إلى الدُّهريّة.

-وتصديق المنجِّمين من أسباب الزّندقة.

-وأنّ الإيمان بالطّبّ.

-وأنّه لا علم إلاّ ماكان في التّوراة وكتب الأنبياء.

-وأنّه مجلبة لكلّ شُبهة.

-والكلام في الدِّين بدعة.

-اليهود ترى أنّ النّظر في الفلسفة كفر.

حين يتأمّل المَحجوج هذا السّلّم، يتأكّد في ذهنه حكم نهائيّ، وهو في الوقت نفسه نتيجةٌ، وهو: **اليهود جهلة**؛ وعوامّ المسلمين حين اعتبروا هذه القضايا والممارسات نفروا من اليهود وعدّوهم جهَلة، ويزيد العامل الحِجاجيّ "حتّى" الحكمَ رسوخاً بأنّهم جهلة؛ لأنّهم يبهرجون من اشتهر فيما بينهم بتلك الآراء والمواقف بل يحرِّمون كلامَ من خالفهم في ذلك.

- **القسم الحِجاجيّ الثّاني: النّصارى والرّوم جهلة.**

أتينا آنفا على بناء السّلالم الحِجاجيّة في سياقٍ بسط خلاله الجاحظ أسباب حبّ العوامّ للنّصارى، وفكّك السّلالم الرّاسخة في أذهان العوام، وأعاد بناءها في إطار نقديٍّ، يسمح بتبصّر الظّاهرة، ونشرع بتحليل السّلالم الحِجاجيّة الّتي يحتويها ردّ الجاحظ على النّصارى، ونبدأ بالسّلالم المؤكِّدة لنتيجةٍ تفيدنا بجهل النّصارى كما يلي:

النّصارى والرّوم جهلة.

-أنّ النّصارى والرّوم ليست لهم حكمة.

-ولا بيان.

-ولا بعد رويّة.

(01)

النّصارى والرّوم أصحاب حرف يدويّة.

-وحياكة البزْيُون.

-والتّصوير.

-والنّجر.

-من الخَرط.

-إلاّ حكمة الكفّ.

(02)

النّصارى والروم ليسوا فلاسفة ولا حكماء ولا أدباء.

-وفلان وفلان.

-وأفلاطون.

-وبوقراط.

-وكذلك كتب ديموقراط.

-وكتاب الطّبّ لجالينوس.

-وكتاب إقليدس لإقليدس.

-وكتاب المجسطيّ لبطليموس.

-لأنّ كتاب المنطق والكون والفساد وكتاب العلويّ لأرسطوطاليس.

-ولَمحتهم من ديوان الفلاسفة والحكماء.

-لأخرجتهم من حدود الأدباء.

(03)

قسَّمنا هذا القسم الحِجاجيّ المحدَّد بأنّ النّصارى والرّوم جهلة إلى ثلاثة سلالم، تتحرّك في إطاره، فأمّا السّلم (01) فينفي الحكمة والبيان والرّويّة عن النّصارى، والعوامّ تجهل هذا، ويقابل الجاحظ النّفي باستراتيجيّة الاثبات لِما يُحسِنه النّصارى والرّوم من المهن والحرف في السّلم الثّاني، وحصرهم بأداة الاستثناء "إلاّ" في حرفٍ يدويّة لا فكريّة ولا علميّة، ويَعُدُّ الحِرف كحُجج على رأيه، وهي: الخرط، النّجر، التّصوير، الحياكة؛ وهذه الحرف وإن كانت فنّيّة فهي تختصّ بالكفّ.

إنّ جدليّة النّفي والإثبات لدى الجاحظ تُمهِّد السّبيل أمام المَحجوج لِيُصنِّف النّصارى والرّوم تصنيفاً واقعيّاً، ويُثبت ما لهم وما عليهم؛ وهذا القَصد التزَم به الجاحظ في هذا

القسم الحِجاجيّ، وأمّا السّلّم الثّالث فيُضيف حُججاً جمّة، تُبرّر إخراج الجاحظ للنّصارى والرّوم من ديوان الفلاسفة والحكماء والأدباء.

وقد توسّل الجاحظ أدوات حِجاجيّة درجيّة كأداة التّعليل "لأنّ"؛ وتكمن وظيفتها الحِجاجيّة في بناء علاقة سببيّة بين السّبب والنّتيجة، فحذف النّصارى والرّوم من ذلك الدّيوان ليس عشوائيّا أو مزاجيّا، وإنّما يستند إلى مبرّرات، يذكرها الجاحظ كحُجج تؤكّد النّتيجة، وتظهر ستراتيجيّة العدّ والرّبط بالواو بين سلسلة من الحجج الماثلة في ذكر المؤلّفات الفلسفيّة وإسنادها إلى أصحابها، ثمّ يختم السّلّم بعبارة "وفلان وفلان"؛ وهي عبارة مفتوحة على المزيد من الأسماء والمؤلّفات، وانفتاحها على العدّ يُدرجها كأقوى حجّة على أنّ الفلاسفة والعلماء والمناطقة اليونان ليسوا نصارى ولا هو روم.

إنّ دمج السّلالم الحِجاجيّة الثّلاثة السّابقة في ذهن المتلقّي المَحجوج يقوده إلى تصنيف النّصارى والرّوم في صنف العوام أصحاب الحِرف اليدويّة دون غيرها.

هذا، ويفترض الجاحظ اعتراض المتلقّي المَحجوج فيُباشره بالسّلّم الآتي:

النّصارى أصحاب التّحريف والخيانة.

النّصارى يتّهمون بالإفك:
- وأنّ فلاسفتنا اقتدوا على مثالهم.
- حتّى زعموا أنّ حكماءنا أتباع حكمائهم.

النّصارى يُفاخرون:
- وبذخوا بها على الهند.
- واستطالوا بها على العرب.
- ففخروا بأديانهم على اليهود.
- زعموا أنّ اليونانيّين قبيل من قبائل الرّوم.

النّصارى يُصادرون ويسرقون.
- فإنّهم حين لم يقدروا على تغيّير أسمائها.
- ومعروف حِكَمهم.
- إلاّ ما كان من مشهور كتبهم.
- ومنها ما حوّلوه إلى ملّتهم.
- فمنها ما أضافوه إلى أنفسهم.
- أخذوا كتبهم لقرب الجوار وتداني الدّار.

النّصارى يُحرّفون

يُرافع هذا السّلّم الحِجاجيّ لنتيجة معيّنة، تقرّ بأنّ النّصارى هم "أصحاب التّحريف والخيانة"، فما يلاحظه المتلقّي من علوم عند النّصارى فهي ليست لهم، إذن فهي لمن؟ وكيف وصلت إليهم؟ وماذا فعلوا بها؟.

يُثبت الجاحظ أوّلا أنّ النّصارى كانوا جيراناً لليونانيّين، وهذا ساعدهم على التّعرّف إليهم والأخذ عنهم، فكيف استغلّ النّصارى هذه الجيرة؟، يجيبنا الجاحظ بأنّهم: أخذوا كتبَهم، وانتحلوها ونسبوها لأنفسهم، وحوّلوها إلى ملّتهم، وفحوى هذه الحجج الثّلاث أنّ النّصارى: يسرقون ويُحرِّفون ويدّعون.

والسّؤال الّذي يطرحه المَحجوج هو: هل سرق النّصارى كلّ كتب وعلوم اليونانيّين؟، يوظّف الجاحظ أداة الاستثناء "إلاّ" ليؤكّد مرّةً أخرى السّرقات العلميّة الّتي يمتاز بها النّصارى واختصاصهم بالانتحال والتّحريف لكلّ شيءٍ، اللّهمّ إذا كان مشهوراً ومعروفاً لدى كلّ الأمم أنّه لليونانيّين خاصّة من كتبهم وحِكَمهم.

إنّ خدع النّصارى وحيلَهم في التّحريف هي: تغيّير أسماء أصحاب الكتب ونسبتها إليهم، وإذا تعذّر عليهم هذا وفشلوا، يلجأون إلى تحريف النّسب، فقد اعتبروا أنّ اليونانيّين قبيل من قبائل الرّوم، وهم ليسوا كذلك، وهكذا يُصادرون الحقائق والوقائع.

ولكن لماذا يضطرّ النّصارى أنفسهم إلى ذلك التّحريف والانتحال، وإلى تلك المصادرة؟، إنّها الرّغبة في المفاخرة على الأمم؛ يفتخرون بأديانهم على اليهود، ويستطيلون بها على العرب، ويبذخون بها على الهنود، لقد قسَّم الجاحظ تلك المفاخرة إلى أقسام متدرِّجة في السّلّم من الأقوى فالأقوى، فالمفاخَرة الدّينيّة درجات: افتخار واستطالة وبذخ.

بعد أن أدرج الجاحظ الحجج السّابقة، وربط فيما بينها يأتي دور العامل الحِجاجيّ "حتّى" ليرفع من درجة القوّة الحِجاجيّة، فهل اكتفى النّصارى بالتّحريف والمصادَرة والمُفاخَرة أم لا؟، لقد بلغوا الغاية بتحريفهم، وحين رأوا العلوم والفلسفة المزدهرة عند العرب، اتّهموا حكماء العرب وفلاسفتهم بأنّهم أتباع علمائهم، وبهم اقتدوا.

وهكذا يصل المَحجوج إلى بناء قناعة نهائيّة لديه، ومؤدّاها: إنّ النّصارى أصحاب التّحريف والكذب؛ ولهذا لا يُؤتَمَنون.

ويستمرّ الجاحظ في ردّه على النّصارى فينسب إليهم قلّة الرّحمة وفساد القلوب، ويذكر لهذا حججاً، نّظهِرها في السّلّم الموالي:

النّصارى قليلو الرّحمة وقلوبهم فاسدة. **أضرار الخِصاء.**

-ولا دفع عندهم.	-وفُتِن الخلق.
-ثمّ يفعلون ذلك بأطفال لا ذنب لهم.	-وذهب الدّين.
-وأعظم ما ركب به إنسان.	-لانقطع النّسل.
-والخصاء أشدّ المُثلة.	-فلو تمّت إرادتهم في خصاء أولادهم
-إنّهم أصحاب الخِصاء من بين جميع الأمم.	في ترك النّكاح وطلب الولد.
(01)	(02)

إنّ النّاظرَ في السّلّم(01) يدرك انتكاسة الفطرة لدى النّصارى، كيف لا وقد سمّاهم الجاحظ في أضعف حجّة في السّلم بـ"أصحاب الخِصاء"، لأنّهم اختصّوا به دون سائر الأمم، وهذا العمل أعظم جرم يقترفه إنسان، وما يزيد الأمر هولاً أنّ النّصارى يقومون بخصاء أطفالٍ بُرآء، بلا حول ولا قوّة ولا جُرم؛ وتلك الحجج تتّجه نحو مُناصَرة النّتيجة المُحدّدة للسّلم، وهي: النّصارى قلوبهم قاسية وفطرتهم فاسدة.

وإلى جانب ذلك يؤكّد السّلم(02) أضرار الخِصاء، يؤسّس الجاحظ سلّمَه بالعامل الحِجاجيّ "لو" ، وهو حرف تمنٍ، يتضمّن معنى الشّرط، ويأتي دوره الحِجاجيّ في هذا السّلّم بأنّه يربط حجج السّلّم(01) الّذي يطرح ظاهرة الخِصاء عند النّصارى مع ما يترتّب عليها؛ فليتصوّر معنا المتلقّي لو اجتمع خِصاء كلّ أولادهم بلا استثناء مع تركهم النّكاحَ كما عند الجاثليق والمطران والأسقف والرّاهب على كثرتهم، مع عدم الرّغبة في طلب الولد، ماذا سيحصل يا ترى؟، يقدِّم الجاحظ ثلاث نتائج حججاً على موقفه، أدناها: انقطاع النّسل؛ وهي جريمة إنسانيّة في حقّ الطّبيعة، وذهاب الدّين وافتتان الخلق.

وقسمٌ حجاجيّ آخر، تُعيِّنه نتيجةٌ، تُصدر حكماً؛ يقضي بقذارة النّصرانيّ، وهذا الموقف تُبرِّره الحجج في السّلم الموالي:

النّصرانيّ قذر.

-وهي مع ذلك غير مختونة.

-ويغشاها في الطّمث.

-ولا من النِّفاس.

-وامرأته جنب لا تطهر من الحيض.

-ويأكل لحم الخنزير.

-ولا يغتسل من الجنابة.

-لأنّه أقلف.

-فإنّ باطنه ألأم وأقذر وأسمج.

-وأقلّ مساخةً.

-وأحسن صناعةً.

-وإن كان أنظف ثوباً.

إنّ المَحجوج الذي يتأمّل الحجج الواردة في هذا السّلّم الحِجاجيّ، لا ينتهي إلاّ إلى ما أراده الجاحظ، وهو: إنّ النّصرانيّ قذر.

مسألة كلام عيسى في المهد: يذكر القرآن أنّ معجزة عيسى عليه السّلام هي كلامه في المهد صبيّا، وهي من العلامات الّتي تشفع له بالنّبوّة إلاّ أنّ النّصارى يقدحون في هذا، مع رغبتهم للدّفاع عن مكانته في الأنبياء بما توفّر لديه من معجزات، ودليلهم أنّ: المسلمين رووا هذا الادّعاء من غير الثقاة، وقصدهم الطّعن في القرآن ونبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، ودليلهم هذا السّلّم الحِجاجيّ:

إنكار كلام عيسى في المهد

-أنّ اليهود لا يعرفونه.

-وكذلك المجوس.

-وكذلك الهند.

-وكذلك الخزر.

-وكذلك الدّيلم.

يستدلّ النّصارى في هذا السّلّم بـ **آلية الجهل بالدّليل** لدى أقوام، سبقوا المسلمين، وتقدّمهم على أنّهم مرجعيّة معرفيّة كسلطة لها مشروعيّتها، وتبدأ باليهود: وهم أهل الكتاب، ولهم معرفة بالأنبياء من خلال التّوراة وموضوعاتها، وفي المعرفة عن اليهود بالموضوع هي حجّة أقوى ممّا دونها من الأقوام؛ فجهل اليهود بالموضوع يستلزم جهل من دونهم، وإذا كانت النّتيجة الّتي ترمي إليها هذه الحجج تتوقّف عند حدّ: إنكار كلام عيسى في المهد صبيّا فإنّ الوجهة الحِجاجيّة للحجج نفسها تتجاوز النّتيجة المُعلَنة إلى الطّعن في **نبوّة محمّد** وفساد ما جاء به في القرآن؛ ولهذا ليس وحيّا بسبب ما تَقوَّله النّصارى.

لنر الآن كيف يردّ **الجاحظ** على النّصارى بخصوص هذه المسألة؟ فهل سيَثبُت ذلك الاستدلال أمام السّلالم الحِجاجيّة الّتي يبنيها الجاحظ أم لا؟، فبخصوص اليهود يقول ما يلي:

زعم النّصارى (كان للنّصارى مقال وطعن)

لعمري أن لو
- أ-اليهود تقرّ لكم بإحياء الأربعة الّذين تزعمون.
- ب-وإقامة المُقعَد الّذي تزعمون.
- جـ- وإطعام الجمع الكثير من الأرغفة اليسيرة.
- د - وتصيّير الماء جَمَدا.
- هـ- والمشي على الماء.

إنّ ورود الحجج من "أ إلى هـ " مجرّدة من العامل الحجاجيّ "لو" وهو حرف التّمنّي لامتناع الوجود، كمعجزات حقيقيّة، يدّعيها النّصارى لإثبات نبوّة عيسى عليه السّلام، ويستبعدون ما ذكره القرآن الكريم بشأن كلامه في المهد، وربط الجاحظ تلك الحجج بأداة حِجاجيّة وهي "لو" القادحة في كل موضع من مواضع الحجج؛ إذ هي نافية لما يدّعيه النّصارى؛ فاليهود لا تقرّ بكلام عيسى في المهد فحسب، بل لا تقرّ بكلّ معجزة ممّا ذكرناه

في السّلّم، وتقودنا "لو" إلى وجهة حِجاجيّة، يقصدها الجاحظ وهي مضمَرة: الطّعن في الاستشهاد باليهود ومشروعيّتهم المعرفيّة؛ فاستدلالهم باليهود هو دليل عليهم وليس لهم.

إنّ جَحْد اليهود لجميع ما قدّمه النّصارى كمعجزات لعيسى عليه السّلام، يرافقه مطاعن وادّعاءات، تطعن في نبوّته، ونوردها في هذا السّلّم:

نفي معجزات عيسى عليه السّلام(نفي نبوّة عيسى)

أكثر ما يقال عنه أنّه: ساحر.
- إنّه صاحب رقًى ونيرجات.
- مداوي مجانين.
- مُتطبِّب.
- هو مخادِع.
  - صاحب حيل.
  - تربّص خدع.
  - قراءة كتب.
- صاحب مهنة بسيطة
  - كان لَسِنا مسكينا.
  - كان مقتولا مرحوما.
  - وصاحب شبك.
  - كان قبل ذلك صياد سمك.

إنّ اليهود لم يتوقّفوا إلى حدّ ما ادّعاه النّصارى من معجزات لعيسى وإنّما ينسبون إليه أعمالا تتدرَّج من امتهان صيد الأسماك كأيّ عامل يوميّ عادي، وما أظهره من معجزات ادّعاها النّصارى ما هي إلاّ خدع وحيل، وفي أحسن الأحوال فهو ساحر وصاحب رقًى، وليس بطبيب وإنّما هو متطبِّب لا يعرف الطّبّ.

يتّجه هذا السّلّم بإثباته صفات وأعمالا قام بها المسيح عليه السّلام إلى نفي نبوّته أساسا، وللقارئ أن يُسائِل النّصارى: كيف استدللتم باليهود وهم لا يقولون في المسيح إلاّ ما لا يُرضيكم؟ وتستشهدون بهم علينا؟.

ثمّ إنّ اليهود يقولون في إقامته للمُقعَد: إنّها حيلة وخدعة، وفق هذا السّلّم:

إقامة المُقعَد حيلة.

- مرّ به في جمع من النّاس كأنّه لا يريده.
- وعُرف موضعه في الزّمنى.
- حتّى إذا شهرَه بالقِعدة.
- قد كان واطأ ذلك المُقعَد قبل إقامته بسنين.

وسلالم آخرى تختصّ بنفي اليهود الإيمان بأن يكون المسيح قد أحيا ميِّتا، وفيها نتدرّج الحجج التّالية:

نفي إحياء المسيح للموتى

- إذ أغمي عليه يوما وليلة.
- وإنّما كان داوى رجلا يقال له "لاعازَر".
- أنّه لم يحي ميِّتا.

(01)

علاج المسيح للمَغمي عليه

- حتّى أقامه.
- فداواه.
- فرأى فيه علامة الحياة.
- وجسّ عرقه.

(02)

أمّ"لاعازَر" أصل الغلط

- وتتحدّث به.
- ولفرحها بحياته تثني عليه بذلك.
- فكانت لقلّة معرفتها لا تشكّ أنّه قد مات.
- قليلة المعرفة.
- كانت أمّه ضعيفة العقل.

(03)

ممّا هو متعارَف عليه عند النّصارى وغيرهم أنّ المسيح من معجزاته أنّه: **يُحي الموتى**، إلاّ أنّ اليهود لا يسلِّمون لهم بهذه المعجزة كما لا يسلِّمون بغيرها من المعجزات؛ ففي السّلالم الحِجاجيّة السّابقة، يعرض الجاحظ رواية اليهود لواقعة إحياء الموتى عبر سلالم حِجاجيّة ثلاثة؛ ففي السّلّم الحجاجي(01) يقدح في الموضع الّذي يقرّ بـ "من يحي ميّتا فهو نبيّ" ، وتوسّل في قدح ذلك الموضع أداة الجزم "لم" كحجّة أولى ضروريّة، ثمّ يوجّه المَحجوج إلى الحقيقة

الواقعة، ويحصره فيها بأداة الحصر "إنّما"، ويُسقط أيّ تأويل آخر؛ فالعمل المحصور يقضي بأنّ المسيح داوى رجلا مريضا، ولم يحي ميّتا، وفي أسوأ الحالات المرضية أنّه كان مُغمى عليه، وتُحدِّد المؤشّرات الزّمنيّة استمرار الإغماء عبر السّلّم الزّمني وقياس مدّته، وهي يوم وليلة؛ وهي مدّة كافية لاعتقاد أنّ "لاعازَر" قد مات فعلا.

ويتوسّل الجاحظ آلية النّفي أولا حين يعرض رواية اليهود بشأن مسألة إحياء الموتى، ثمّ في السّلّم(02) يعرض الواقعة الحقيقيّة كما يرويها اليهود، ويحاججون بها النّصارى ويثبتون على لسان الجاحظ حججا، تسفر عمّا قام به المسيح لـ "لاعازَر"، وتتساند الحجج من: جسّ نبضه فعرف فيه علامة الحياة، ثمّ قدّم له العلاج، وبعد هذه الحجج الثلاثة يربط العامل الحِجاجيّ "حتّى" بينها وبين النّتيجة وهي الشّفاء من المرض، وقد عبّر عنه الجاحظ بفعل "أقامه"، والنتيجة الّتي يريدها اليهود هي أنّ المسيح متطبِّب وليس صاحب معجزات مثل الأنبياء، والوجهة الحِجاجيّة الّتي تتّجه نحوها الحجج وتلك السّلالم الحِجاجيّة تكمن في رفض اليهود لنبوة عيسى عليه السّلام؛ فهم لا يقرّون بمعجزاته ونبوَّته مطلقا، ويخطِّئون النّصارى، وما يقصده الجاحظ من هذه الرّواية اليهوديّة هي: القدح في استدلال النّصارى واستشهادهم باليهود.

ويحدّد السّلّم الحِجاجيّ(03) أصل المغالطة ونشأتها كما يرويها اليهود، وهي مغالَطة تأويليّة، قامت بها أمّ "لاعازَر" حين اعتقدت أنّ ابنها قد مات، وسبب المغالطة تحدِّدها الحجج في السّلّم، وهي: ضعف العقل وقلّة المعرفة ثمّ إنّها أمّ، وهذا ابنها مضرّجٌ أمامها يوما وليلة، فحين أقامه بالدواء، اعتقدت أنّ المسيح أحيا ولَدها، وأخذت تُشهِر هذا في أوساط النّاس، وأصبحت قضية "إحياء المسيح للموتى" صورة نمطيّة، يتناقلها المخيال الجماعيّ النّصرانيّ، فإذن هو ليس نبيّا، وهذه نتيجة يريد اليهود تأكيدها، والسّؤال الّذي سيطرحه المتلقي المَحجوج هو: أيّة مشروعيّة لاستدلال النّصارى باليهود؟ وأمّا السّؤال التعجبيّ الّذي

يطرحه الجاحظ هو: كيف تستشهدون قوما هذا قولهم في صاحبكم؟، وخصوصا أنّهم لا يصدِّقون كل ما جاءت به النّصارى من أقوال وأخبار عن المسيح ومعجزاته، فما بالكم بكلام الصّبيّ في المهد مولودا، ويستثمر اليهود آلية الجهل لدى الأولياء والأعداء هكذا في السّلّم:

كلام عيسى في المهد.

أ- يجهله الأولياء.

ب- يجهله الأعداء.

جـ- كيف يجوز أن يتكلّم صبيّ في المهد مولودا.

يبرز هذا السّلم بوضوح أنّ اليهود تعدّ كلام الصّبي في المهد معجزة، لا تكون إلاّ لنبي؛ فطالما أنّها لا تقرّ بنبوّة المسيح فهي تنفي معجزاته، وتطرح سؤالا تعجبيّا في قاعدة السّلّم الحِجاجيّ، يتضمّن معنى النّفي، وفحواه التّكذيب، بل إنّ أعداء النّصارى يجهلون هذه المعجزة، وحتّى الأولياء يجهلون ذلك، رغم أنّهم يبحثون عن كلّ معجزة، يمكن لها أن تؤكّد معجزات نبيِّهم؛ فالنّتيجة إذن هي: كلام عيسى في المهد صبيّا أكذوبة، ومن يقول بها فهو كذّاب ليس صاحب ثقة، لا يؤخذ برأيه ولا بمصدر معارفه وأخباره.

وينتقل الجاحظ إلى استشهاد النّصارى بالمجوس وآرائهم، وينزع الشّرعيّة عنهم مثل اليهود، هكذا:

الاستشهاد بالمجوس مغالَطة. **الاستشهاد بالمجوس مغالَطة**

جواب التّمنّي المستحيل. لو: امتناع الوجود
- وتستعينوا بإنكارهم.
- لكان لكم أن تُنكروا علينا بهم.
- وبأدنى أعجوبة.
- ولو كانت المجوس تُقرّ لعيسى بعلامة واحدة.

(01)

سؤال إنكاريّ
- وتعلّقهم في إنكارهم؟
- فما اعتلالهم بهم.

مركّب تشبيهيّ
- كحال زَرادشت عند النّصارى.
- فأمّا حال عيسى في جميع أمره عند المجوس(02)

يتّجه هذا السّلم(01) نحو تأكيد نتيجة ترمي إلى تفنيد الاستشهاد بالمجوس الّذين يعوِّل عليهم النّصارى في طعنهم في القرآن والمسلمين واستغلال شهادتهم، إلاّ أنّ الجاحظ يعترض على مشروعيّة الإشهاديّة للمجوس؛ صحيح أنّ للأنبياء علامات وأعاجيب لا يقوى على الإتيان بها بشر غيرهم، فهل المجوس تقرّ لعيسى ولو بعلامة واحدة وبأدنى أعجوبة على الأقل؟ الجواب: لا، ومؤشّر هذا الجواب النّافي يظهر في العامل الحِجاجيّ "لو"؛ وهو حرف تمني لامتناع الوجود كما أسلفنا، ووظيفته الحِجاجيّة هي القدح في إقرار المجوس بعلامات النّبوّة عند عيسى.

ويُدرج الجاحظ حججه بالوصل الحِجاجيّ "الواو" و"الفاء"؛ ووظيفتهما ليس الوصل الإضافي للمعلومات فحسب، وإنّما لهما وظيفة حِجاجيّة، تدرِج الحجج الواحدة تلو الأخرى، فينمو النّصّ سلّما حِجاجيّا، يربط بين حججه مبدأ الاستلزام، وهو مبدأ أساس من المبادئ المُنشِئة للسّلالم الحِجاجيّة، كما يظهر في أسلوب التّمنّي، بين حرف التّمنّي "لو" وجوابه؛ فتحقّق موضوع التّمنّي يستلزم تحقّق موضوع جوابه.

وأمّا السّلم(02) كصنوه في الوجهة والنّتيجة، غير أنّ الأسلوب يختلف؛ فيبدأ الجاحظ بالمركّب التّشبيهيّ، يشبِّه فيه حال عيسى بحال زَرَادُشت ونظرة النّصارى والمجوس إلى أحدهما، فيستثمر الجاحظ في تبادل الأدوار، ويطالب ضمنيّا بتطبيق قاعدة العدل؛ فمن العدل ألاّ يستشهد النّصارى بالمجوس لأنّهم لا يعترفون لعيسى بعلامة واحدة ولو كانت يسيرة، ثمّ بعد هذا المنطلَق يقود الجاحظ محجوجَه إلى دائرة السّؤال الإنكاريّ التّعجّبيّ، بانيّا به في ذهن محجوجه مفارقة ومسافة نقديّة، تُقرِّبه بسلاسة نحو تأكيد السّلّم وهي: إنّ الاستشهاد بالمجوس شهادة مزوَّرة ومغالَطة واضحة.

بعد أن احتجّ الجاحظ على النّصارى بأن أسقط شهادة اليهود والمجوس بشأن كلام عيسى في المهد، ها هو ذا أيضا يُسقط شهادة الهند والخزَر والتُّرك، ولا بأس أن نذكِّر

القارئ بالحجّة الّتي يتوسّلها النّصارى، وصاغها الجاحظ في شكل سؤال تعجبيّ إنكاريّ، تقول النّصارى: وكيف لم تعرف الهند والخَزَر والتّرك ذلك؟[1]، يفنّد الجاحظ فحوى هذا السّؤال بأن طرح هو الآخر أسئلة موازيّة، وندرِجها في السّلم الموالي:

الاستشهاد بالهند مغالطة

- حتّى تستشهدوا الهند على كلام عيسى في المهد؟.
- أو روت له سيرة.
- ومتى أقرّت لنبيّ بآية.
- فضلا عن عيسى.
- متى أقرّت الهند لموسى بأعجوبة واحدة.

يضع الجاحظ علامة الكلام في المهد صبيّا في أعلى السّلم لأنّها العلامة الأقوى على نبوّة عيسى، فهل تقرّ الهند بهذه العلامة الأعلى؟، يشرع الجاحظ في بناء سلّمه الحِجاجيّ المتدرِّج من الأدنى إلى الأعلى؛ تظهر أداة الاستفهام "متى" كمؤشّر زمانيّ يستوعب تاريخ الهند وعلاقته بالأنبياء، ويتضمّن "متى" الاستفهام والنّفي لإقرار الهند بأدنى آية لموسى، وتأتي الحجّة الثانية بالعامل الحِجاجيّ "فضلا عن"، وتظهر وظيفته الحِجاجيّة في التّرتيب والتّصنيف الدّرجيّ؛ فكون موسى جاء بمعجزات في زمن فرعون ولم تعترف بنبوّته، فهل ستعترف بنبوّة عيسى؟.

إنّ اعترافهم بنبوّة موسى يستلزم أنّهم سيعترفون بنبوةّ عيسى، ويتجاوز الجاحظ التّخصيص والحصر إلى التّعميم والإطلاق، ويعود اسم الاستفهام "متى" مرّة أخرى، ووظيفته الحِجاجيّة تنفي إقرار الهند لأيّ نبيّ بأية أو تروي له سيرة.

وهذه الحجج الّتي أتينا على ذكرها حجج بسيطة، يراها الجاحظ كمواضع كافية على الاستشهاد بأقوال الهند في مسألة كلام عيسى في المهد صبيّا، فأمّا وهم لا يقرّون بما هو

[1]-الرّد على النّصارى، مرجع سابق، ص327.

أدنى فكيف نأمل منهم أن يقرّوا بما هو أعلى، ويربط الجاحظ تلك الحجج بالحجّة العليا عبر العامل الحِجاجيّ "حتّى".

وهكذا يردّ الجاحظ اعتراض الخصم واستدلاله بالهند، ويُسقِط مشروعيّة الهند ومصداقيّتها الحِجاجيّة؛ إذ لا علاقة للهند بالموضوع لأنّها لا تستوعب الأدنى فالأدنى، فكيف بها تستوعب الأعلى فالأعلى؟؛ فالإقرار بالأعلى يستلزم الإقرار بما دونه أوّلا، وهذا الاستلزام كشرط من شروط بناء السّلم الحِجاجي لم يتحقّق؛ ولهذا ينتهي بنا الجاحظ مرة أخرى إلى تأكيد نتيجة مفادها: إنّ استشهاد النّصارى بالهند شهادة مزوَّرة ومغالَطة واضحة.

هذا، ويُخرِج الجاحظ التّرك والدَّيلم والخَزَر والبَبْر والطّيلسان من دائرة الموضوع أساسا؛ لأنّها أمم غير مذكورة في مثل هذه الموضوعات، وليست حجّة في هذا الباب[1].

يضيف النّصارى إلى احتجاجهم حجّة تُدعى: **حجّة الجهل**، ونتمثّلها في هذا السّلّم:

نفي كلام عيسى في المهد صبيّا.

- ما لنا لا نعرف ذلك؟.
- ولم يبلُغنا عن أحد بتّة.

استشهد النّصارى قبل قليل بحجّة الجهل لدى اليهود والمجوس والتّرك والخَزَر وغيرهم، وها هم الآن يتوسّلون حجّة الجهل لديهم، ويتضمّن السّلّم حجّتين سلبيّتين، ترافعان لنفي كلام عيسى في المهد، إنّهم يتجاهلون أو يدّعون الجهل، ويتساءلون سؤالا إنكاريّا، تدعمه أداة النّفي "لا"؛ حيث تنفي الحجّة المضادّة الأقوى، وهي: **حجّة المعرفة** بالموضوع، ويأتي نفيها في صدارة السّلّم المضادّ، ويستلزم ما دونه من الحجج الضّعيفة؛ ففي الدّرجة الثّانية، تنفي "لم" الجازمة حجّة مضادّة أقلّ قوّة، وهي: **تواتر الخبر من الأسلاف**.

إنّ القارئ المَحجوج ليترقّب: كيف سيردّ الجاحظ يا ترى؟.

[1]-الرّد على النّصارى، مصدر سابق، ص327.

هاهو ذا يردّ على النّصارى والخصوم ردّا صريحا على السّلّم السّالف بالسّلالم الحِجاجيّة الآتية:

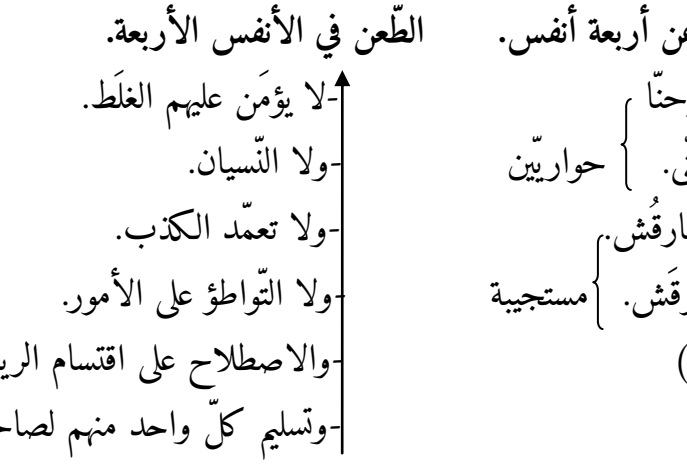

يبيّن السّلم الحِجاجيّ(01) الروّاة واختلافهم بشأن روايتهم للإنجيل، ويُضيف السّلّم رقم(02) قصدا حِجاجيّا مفاده: الطّعن في الروّاة الأربعة ورواياتهم؛ فهم في أحسن حالهم لا يُؤمَن عليهم الغلَط؛ والغلَط إمّا سببه النّسيان أو تعمّد الكذب أو التواطؤ على الأمور لاقتسام الرياسة أو اشتراط حصّة.

إنّ هذه الصّفات إذا ما توفّرت في راوٍ من الروّاة تُسقِط أهليّته، ويفترض الجاحظ اعتراضا من صوت خارجيّ، يتكلّم على لسان النّصارى، ويردّ على مطاعن الجاحظ في هذا السّلّم:

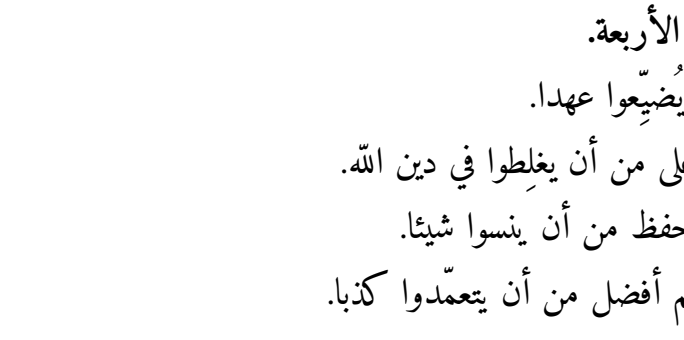

هذا السّلّم(03) الّذي يفترضه الجاحظ لكلّ محاجج كي يبني نصَّه الحِجاجيّ بشكل تداوليّ حواريّ وجدليّ، فنراه يعرض تارة، ويعترض تارة أخرى؛ فسلّم يُسقط أهلية الروّاة

وشرعيتهم، وسلّم آخر يُزكّيهم، وترد الصّيغ الصّرفيّة على وزن "أفعل" التّفضيل (أفضل من، أحفظ من، أعلى من)؛ وهي صيغة صرفيّة تُفيد المقارَنة بين الأعلى والأدنى، الأسوأ والأفضل..إلخ، وتُنشِئ السّلالم الحِجاجيّة، وتُعيد وضع الروّاة الأربعة في أعلى سلّم المصداقية والحفظ والتّنزيه عن الخطأ في دين الله، وحفظ العهود؛ فهذا الصّوت الخارجيّ المُناوِئ يُعيد الاعتبار للروّاة الأربعة، ووضعهم في أعلى السّلّم بما أثبته من صفات إيجابية بعد أن أنزلهم الجاحظ إلى الحضيض في أدنى السّلّم، إلاّ أنّ الجاحظ يضيف هدما آخر لهذا الرّدّ المُحتمَل في هذا السَّلم:

دليل صحّة قولنا وغفلتكم عنهم (سلّم الاختلاف).

-مع اختلاف شرائعهم.
-واختلافهم في نفس المسيح.
-وتضادّها في كتبهم.
-إنّ اختلاف رواياتهم في الإنجيل.

(04)

طعن الجاحظ من خلال السّلّم الآنف (02) في شخصيّة الروّاة، ويطعن في هذا السّلّم (04) في مرويّاتهم؛ ويُرافع الجاحظ لبناء دليل على صحّة قوله وغفلة خصومه من النّصارى، ويركّز على حجج تتدرّج عبر السّلّم من الحجّة القويّة إلى الحجّة الأقوى فالأقوى؛ تشير الحجّة الأولى في أدنى السّلّم إلى اختلاف الروّاة الأربعة في رواية الإنجيل، ثمّ تقرّ الحجّة الثانية أنّ الرِّوايات لم تكن مختلفة فحسب بل نجدها متضادّة في كتبهم، وفي الحجّة الثالثة نقرأ اختلافهم في نفس المسيح، فلم يتّفقوا على هويّته؛ وهذا ما أدى بهم إلى اختلاف شرائعهم، وهذه الأخيرة حجّة رابعة أقوى الحجج تأكيدا لصحّة قول الجاحظ.

الفصلُ الثَّالث

-الأفعالُ الكلاميَّة

- **تمهيد:**

يُجمع الباحثون التَّداوليّون المعاصرون على أنّ أصول الأفعال الكلاميّة (pragmatique) تعود إلى فيلسوف اللّغة البريطاني جون أوستين (John Austin1970) حين تنبّه إلى ظاهرة أفعال الكلام من خلال:"محاضرات وليام جيمس William Jemes luctures"التي قدّمها سنة 1955م في جامعة هارفرد (Harvard)، ونُشرت بعد سبع سنوات بعنوان:" how to do things with words"عام 1962م، وتُرجمت إلى اللّغة الفرنسيّة بعنوان:" Quand dire c'est faire" سنة 1970م، ومن الجدير بالذكر أنّ تلك الظَّاهرة تمّت ملاحظتها قبل أوستين -مطلع القرن العشرين- من قبل رينانش (Reinach) صاحب **الأعمال الإجتماعيّة** (les actes sociaux)؛ ويصطلح عليها أوستين بـ"أفعال لغويّة متضمَّنة في القول"،إلى جانب ملاحظات اللّساني غاردنر (Gardiner) حول أنماط الجمل الكبرى وهي:الجمل الخبريّة، الجمل الإستفهاميّة، الجمل الطلبيّة والجمل التَّعجبيّة، وهذا التَّنميط للجمل يتأسّس على العلاقة الإسناديّة وقصديّة المتكلّم، وهذا التَّقسيم موافق لعدد من الأفعال اللّغويّة عند أوستين، وأيضا أعمال الفيلسوف الألماني لدفيدج فتغنشتاين(Wittgenstein) "ألعاب اللّغة"، مثل الإثبات والاستفهام والإخبار والطَّلب..إلخ، وكلّ هذه الأعمال والملاحظات مهّدت **لنظريّة الأفعال الكلاميّة** الأوستينيّة **ونظريّة قوانين الخِطاب** الغرايسيّة[1].

[1]-نظريّة الأعمال اللّغويّة، آن ريبول،القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، جاك موشلر وآن ريبول، مرجع سابق،ص46 ومابعدها. وانظر: -التّداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبول وجاك موشلر، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،2003.ص28، 29. -التداوليّة عند العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللّسانيّ، مسعود صحراويّ، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،2008، ص08. -الخطاب والتخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة، عبد الرحمن الحاج صالح،سلسلة علوم اللّسان عن العرب، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 2012م، ص243. -الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفيّ، عمارة ناصر، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2009.ص70. -آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعيّة، 2002م، ص60.

أوّلاً- مفهوم الفعل اللّغويّ وإجراءات النَّمْذَجة: عرف الوسط الفلسفيّ الأنجلوساكسونيّ مسلّمة مفادها: أنّ وظيفة اللّغة تنحصر في وصف حالة الأشياء والإخبار عنها كما هي في الواقع، والحكم المنطقيّ اللّصيق بالخبر هو الزّوج المتقابل: إمّا أن يكون صادقا أو كاذبا، ولهذا فالأقوال اللّغويّة تتأرجح بين الصِّدق والكذب، بيد أنّ أوستين فنّد هذه المسلّمة المنطقيّة الاختزاليّة للأقوال، فسمّى هذا الإجراء الوصفيّ بـ:"**الوهم/المغالطة الوصفيّ**"discriptive fallacy، وصنّف الأقول إلى: **وصفيّة وإنشائيّة،** وقام بعزل الفعل الإنشائيّ تمهيدا لنَمْذَجته، فدرس في بداية أعماله أقوالا تتضمّن فعلا مضارعا مبنيّا للمعلوم يستند إلى المتكلّم المفرد ويدلّ على الحال، ويصطلح عليها بـ"أقوال إنشائيّة"،وتمتاز بسمتين، وهما[1]:

أ)-ليست وصفيّة فهي إذن لا كاذبة ولا صادقة.

ب)-تستدعي إنجاز عمل موافق لها، متضمّن فيها، وحتّى يُنجَز العمل واقعيّا يستلزم إلقاؤها في ظروف مناسبة للإنجاز، وإلاّ صارت غير موفَّقة والعمل فارغا أو مُخفَقا، وتكون إمّا صريحة أو مضمَرة.

وعليه يقدّم أوستين "**شروط التَّوفيق**"[2] للأقوال الإنشائيّة، وهي:

أ.1 يجب قول كلمات معيَّنة من طرف أشخاص معيَّنين في ظروف معيّنة.

أ.2 يُنجَز العمل المخصوص حين يتناسب الأشخاص مع ظروف إلقاء الإنشاء.

ب.1 يجب أن ينفّذ كلّ المتفاعلين العمل بصورة سليمة.

[1]-نظريّة الأعمال اللّغويّة، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، مرجع سابق، ص56،57.

[2]-المرجع نفسه،ص57 وما بعدها.

ب.2 يجب أن يُتمّ جمع المتفاعلين العمل إلى آخره.

ج.1 العمل مرتبط بأشخاص لهم أفكار ونوايا ومشاعر لأنّهم يشرِّعون لسلوكيّات يجب عليهم أن تكون لهم نيّة إنجاز السلوك وإتمامه.

ج.2 يجب على المتفاعلين أن ينجزوا العمل وما يترتّب عليه من أحداث.

د.1 يجب أن يكون للمتكلّم مخاطَب واقعي يسمع قوله؛وعليه تُقصى من الأقوال الإنشائيّة الموفَّقة الأعمال التي توافق أقوالا يتلفّظ بها الممثِّل على خشبة المسرح أو في فيلم أو شريط سنمائي أو أيّ عمل تخييليّ...إلخ لأنّها ذات طابع تمثيليّ وغير جادّة.

د.2 يشترط في المخاطَب أن يفهم الإنشاء ويعرف العمل المراد.

وعلى الرّغم من الانتقادات التي وجّهها أوستين لفلاسفة اللّغة المنشغلين بشروط الصِّدق، والجهود الَّتي بذلها ليضع فروقا بين الأقوال الوصفيّة والأقوال الإنشائيّة، فإنّنا نلحظ اضطرابا منهجيّا أصاب إجراءات العزل للأقوال الإنشائية لديه في المرحلة الأولى من نظريّته، فقد اعتمد مقولات تقيّد الأقوال الإنشائيّة، وكلّما عالج أوصافا وإنشاءات استنادا إلى مقولة محددّة سرعان ما يراها غير كافية فيتوسّل مقولة غيرها؛ وبإمكاننا أن نحصرها في: مقولة الاسناد، الشَّخص، التَّواضع، المخاطَب المستمِع الواقعي، الزَّمن، الصِّيغة، المناسبة، الصَّريح والضّمنيّ(الأوليّ)، العمل، القصديّة، المقتضى والاستلزام، التَّفاعل، التَّوفيق والإخفاق، فهم القول وقيمته الإنجازيّة، التَّأويل(الصِّيغ كالأمر مثلا، التَّنغيم، العوامل والرَّوابط، ظروف إلقاء القول...إلخ) للإنشاء الضمنيّ.

ثانيّاً- طبقات الفعل الكلاميّ:

وفي المرحلة الثانيّة من النظريّة تخلّى أوستين عن تمييز الجمل الوصفيّة عن الجمل الإنشائيّة، واقترح ثلاث طبقات تشكل أنموذج الفعل الكلاميّ(الإنشائيّ) النّهائيّ وهي[1]:

1- الفعل القوليّ التعبيريّ أو التصويتيّ (acte locutoire): يعني به النّشاط اللّغويّ كتركيب لعناصر الكلام الذي يقوم به المتكلّم أثناء التواصل، ويكون في شكل ملفوظات سليمة المعنى والمبنى، ويحقّقه **حين** يقول شيئا ما.

2- الفعل الإنجازيّ الغرضيّ أو المتضمّن في القول (acte illocutoire): ويحقّقه المتكلّم **في** قوله شيئا ما، مثل: الإخبار، الاستفهام، الأمر، التحذير، التأكيد، الوعد، الإشهاد...إلخ، وهذه الوظائف اللّسانيّة المتضمَّنة في الأقوال يسمّيها أوستين"القوة الإنجازيّة" (force de l'acte).

3- الفعل التأثيريّ (acte perlocutoire): ويحقّقه المتكلّم **بواسطة** قوله شيئا ما، فقد يخبر مخاطَبه بخبر يريد من خلاله أن يثير لديه حالة نفسيّة معيّنة كالفرح أو الحزن أو الإعجاب ونحو ذلك،أو يريد به اقتناعا لدى المخاطَب...إلخ. وعلى المخاطَب أن يفهم معنى القول وقيمته الإنجازيّة وما يترتّب عليها من أحداث كي يكون موفَّقا.

---

[1]-نظريّة الأعمال اللّغويّة، آن ريبول، القاموي الموسوعيّ للتّداوليّة، مرجع سابق، ص65. وانظر:
-الخطاب الحجاجيّ عند ابن تيميّة، مقاربة لغويّة، عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، مؤسّسة الانتشار العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص283. -التّداوليّة، جورج يول، ترجمة قصي العتّابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص83،82.-البعد التّداوليّ والحجاجيّ في الخطاب القرآنيّ، قدور عمران، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص54 ومابعدها. -التداولية اليوم، آن ريبول وجاك موشلر، ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،2003،ص32. -الخطاب والتخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة، عبد الرحمن الحاج صالح، مرجع سابق، ص244.

ثالثاً- تصنيف أفعال الكلام عند جون أوستين: وفي المحاضرة الأخيرة من محاضراته"كيف ننجز الأشياء بالكلمات" حاول تصنيف الأفعال الكلاميّة إلى خمسة أصناف تبعا لقوّة فعل الكلام كما يلي[1]:

1- **صنف الحُكميّات/القرار**(verdictives): تتمثّل في الأعمال الكلاميّة القضائيّة والقرارات الإداريّة نحو:(إصدار الأحكام في المحكمة، فالأحكام التشريعيّة رسميّة أو غير رسميّة بناء على شهادة الغير وأدلّته بشأن الوقائع والأحداث والأشخاص والقيم)، والحكم في الملعب يعلن:أنت مطرود، يعني:انتهى دورك أو توقف، فهذا عقاب لخرق قواعد اللّعب، ومن بين الأفعال التي جمعها أوستين وصنّفها ضمن الحكميّات نذكر:أدان، اعترَف، خصّص، تأوّل، حكم بأنّ، شخّص، أحصى، قدّر السعر...إلخ، وتشترك عموما في أنّها تُصدر حُكما حول شيء ما(أحكام واقعيّة أو أحكام قيميّة).

2- **الممارسات التشريعيّة** (exercitives): يتعلّق هذا الصنف بممارسة السلطة، القانون، النفوذ، نحو: التعيّين في المناصب، التصويت في الانتخابات، إعطاء التوجيهات التنفيذيّة القريبة من النّصح والتحذير وغيرها...إلخ، ويمثّل أوستين بهذه العيّنة من الأفعال: عيَّن، أمر، قضى بالأمر، اختار، أورث، أنقص، أعلى، كرَّس، حطَّ من رتبته، فرض غرامة، رشَّح في المنصب، فسخ، استقال، منح،وجَّه...إلخ؛ ويرتبط هذا الصنف بما ينبغي أن يكون.

---

[1]-كيف ننجز الأشياء بالكلمات، جون أوستين،ترجمة عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص174 ومابعدها. وانظر:

-القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، آن ريبول وجاك موشلر، مرجع سابق، ص66،67. -البعد التداوليّ والحجاجي في الخطاب القرآنيّ، قدور عمران، مرجع سابق، ص59،60.

3- **الالتزاميّات/الوعديّات** (commissives): وتتلخّص في أن يلتزم الفرد بعمل ما أو يتبنّى موقفا، نحو: الوعد، التّكفُّل، الضمان، التّعهُّد، التصريح،إعلان النيّة والقصد، خطبة الزواج والتّواعد به، مناصرة رأي معيَّن، ومن أمثلته: إنّي أصرّح بالحرب، أتبرّأ منك، ناصر قضية، وعد، تعهَّد ، نوى، استعدّ،انتصر له، تعاقد، راهن، اعتنق مذهبا...إلخ.

4- **الأوضاع السلوكيّة/السلوكيّات**(behabitives): تندرج تحت المواقف الّتي يتّخذها الأفراد وردود أفعالهم إزاء سلوكيّات الآخرين، نحو:الاعتذارات، التّهاني، التّعازي، الشتم، القذف، التّحديّ،...إلخ.

5- **المعروضات الموصوفة/التبيّنيّات**(expositives): يصلُح هذا الصنف لأعمال العرض والوصف نحو: أوضّح، أفترِض، أضع كمسلَّمة، أصف، ألاحظ، أخبر، انخرط، اعترَف، راجع، استنتج، شرح...إلخ، تقديم عريضة، الالتماس المكتوب، طلب التوظيف...إلخ.

وبعد أن شرح أوستين تلك الأصناف الخمسة في محاضرته الأخيرة، خلُص إلى أنّه:"يجوز أن نقول بأنّ القرار هو ممارسة إصدار الحكم، أمّا الممارسة التّشريعيّة فهي إثبات النفوذ ومزاولة السلطة، والإباحة هي تحمُّل الالتزام،(أمّا) السّلوكي فهو اتّخاذ موقف معيَّن، وأمّا العرض الوصفيّ فهو حال وصف الأسباب والدّواعيّ، والمحاجّة، وضروب التواصل"[1].

رابعاً- صنافة الأفعال الكلام عند"سيرل": انتقد سيرل صنافة أوستين للأفعال الكلاميّة، وعاب عليها غياب مقاييّس واضحة للتّصنيف، وتداخل الأصناف بحيث تنتمي بعض الأفعال إلى أكثر من صنف، وعمد إلى مراجعتها وترتيبها، فاهتمّ بجانبين في صياغة مشروعه التّداوليّ: اهتمّ الجانب الأول بشروط توفيق العمل اللّغويّ ومثاله التطبيقيّ هو"الوعد" أيضا مثل سابقيه "ريناتش وأوستين"، والجانب الثاني بصنافة الأفعال الكلاميّة.

[1]-كيف ننجز الأشياء بالكلمات، جون أوستين، مرجع سابق، ص186.

1- شروط توفيق العمل اللغويّ:

إنّ إنتاج ملفوظ ما هو **عمل لغويّ**، وإلقاء جملة معيّنة ذات دلالة يحقّق -حسب سيرل- الأعمال الأربعة التاليّة[1]:

أ-العمل القوليّ (التصويتيّ) يقوم على النطق بالكلمات والجمل.

ب-العملان القضويان (العمل الإحاليّ:يوافق المركّب الاسميّ والعمل الحمليّ:يوافق المركّب الفعليّ أو مسند نحويّ)؛ ويرتبطان بالصورة اللّغويّة.

ج-الأعمال الإنجازيّة المتضمَّنة في القول، وتوافق جملة تامّة نحو:"استفهامات، أوامر، وعود...إلخ.

د- عمل التأثير بالقول نحو: الإقناع، الخوف، الفرح، الحزن...إلخ.

وندرج الأمثلة التالية لتوضيح الفرق بين القضية وهي نتاج العملين القضويَّين، والأعمال المتضمَّنة في القول:

1-يدخِّن زيد كثيرا.

2-هل يدخِّن زيد كثيرا؟.

3-زيد،دخِّن كثيرا.

4-إلهي ما أكثر ما دخَّن زيد.

نلاحظ في هذه الأمثلة أنّ التعبير عن قضيّة (المحتوى القضويّ):"زيد مدخِّن" أو"زيد يدخِّن" هو عمل قضويّ يشير إلى القضية الثابتة نفسها، ولكنّ الأعمال المتضمَّنة في

[1]-نظريّة الأعمال اللّغويّة، آن ريبول، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، مرجع سابق، ص67 ومابعدها.

الأقوال مختلفة فهي على التوالي:"الإثبات، الاستفهام، الأمر، التعجّب". وفي إطار البنية الجمليّة نميّز -حسب سيرل- بين **واسم المحتوى القضوي**(القضية المعبَّر عنها) و **واسم القوّة المتضمَّنة في القول**، نلاحظ الأمثلة التالية:

1-آمرك بأن تغلق النافذة.

2-أعدك بأن أغلق النافذة.

في المثالين السابقين الاسناد الأصليّ (المتكلّم الآمر والواعد)؛ يمثّل "**واسم قوّة القول**" والاسناد الفرعيّ (غلق النافذة)؛ هو"**واسم المحتوى القضويّ**"، وفي حالة النّفي يمكن التمّييز بين:**النّفي القضوي ونفي قوة القول**، نورد المثالين التاليّين:

1- لا أعدك بأن أجيء غدا؛ نفي قوّة القول، ونمثّل له بالرمزيّة: نفي**ق**(ض)؛ حيث **ق** يوافق واسم قوة القول **وض** يوافق واسم المحتوى القضويّ.

2- أعدك بألاّ أجيء غدا؛ نفي قضويّ ونمثّل له بالرمزيّة: **ق**(نفي ض).

2- **القواعد المعياريّة والقواعد الدّلاليّة والمواضعات:** قاد اهتمام سيرل بشروط التّوفيق للأعمال المتضمَّنة في الأقوال إلى التمّييز بين القواعد المعياريّة والقواعد الدلاليّة والمواضعات والقواعد التّكوينيّة، وعزل هذه الأخيرة وصاغها في شروط تؤطِّر الأفعال الكلاميّة، ونوجزها كما يلي[1]:

أ-القواعد المعياريّة: قواعد اللّباقة والتّأدّب، وتتّخذ صيغة أوامر مُلزِمة، وتختصّ بتسيّير العلاقات الاجتماعيّة بين الأفراد.

[1]-العقل واللّغة والمجتمع،الفلسفة في العالم الواقعيّ،جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006م، ص181 ومابعدها. وانظر: -التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشي، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007م، ص80 ومابعدها.

ب-المواضعات: تحدّد دلالة الجمل والكلمات التي نستعملها (دلالة حرفيّة/الدّلالة الطبيعيّة) في مقابل (الدلالة غير الطبيعيّة)؛ أي ما يريد المتكلّم أن يُفهِمه لمخاطَبه وهو العمل المتضمَّن في القول، وهو مايُصطلح عليه بـ: **قصدية المتكلّم**.

ج-القواعد الدّلاليّة: تتحكّم في استعمال واسم القوّة المتضمَّنة في القول فقط.

د-القواعد التّكوينيّة: تحكم قواعد اللّعبة الوجوديّة (كرة القدم لها قواعد تكوّنها، بدونها لا يكون لها وجود)، وتتّخذ صيغة: تعريفات أو قيود أو مقولات، وتمتاز القواعد التّكوينيّة لهذا العمل اللّغويّ أو ذاك بأنها كليّة تتجاوز الألسنة، فهي تمكّن من تحقيق العمل المتضمَّن في هذا القول أو ذاك، وترتبط ارتباطا مباشرا به وتكوّنه، وإخفاق العمل أو توفيقه مرهونان بمدى احترام هذه القواعد، فإذا تمّ خرقها كلّها أو بعضها فإنّ العمل المعني سيخفق.

خامساً- بديل "سيرل" عن صنافة "أوستين": اعتمد سيرل في صنافته للأعمال المتضمَّنة في الأقوال على أربعة مقاييس، وهي: الهدف من العمل، اتّجاه علاقة الملاءمة بين الكلمات والعالم، الحالات النفسيّة المعبَّر عنها (توافق شرط النزاهة أو الصدق النفسيّ)، الاختلافات في المحتوى القضويّ الّتي تحدّدها آليات مرتبطة بالقوّة المتضمّنة في القول، وقدّم الأعمال اللّغويّة في خمسة أصناف وهي[1]:

1- **التمثيليّات/الإثباتيّات** (representatives): ويشترط سيرل-وفق معايّير التّصنيف الأربعة لديه- أن يتعهّد المتكلِّم لمخاطَبه من خلال هذا الصنف بإثبات صدق المحتوى الخبريّ المعبَّر عنه أو كذبه من حيث أنّه يمثِّل حالة موجودة في الواقع، ومن

[1]-نظريّة الأعمال اللّغويّة، آن ريبول، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، مرجع سابق، ص76. وانظر: -العقل واللّغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعيّ، جون سيرل، مرجع سابق، ص217 ومابعدها.

نماذجها:الأحكام التّقريريّة، الوصفات الطبيّة، التفسيرات، التمثيلات؛ ولهذا فالعمل المتضمّن في الأقوال التمثيليّة هو **الإثبات**؛ واتّجاه الملاءمة للتمثيليّات من الكلمات إلى العالم، وشرط النزاهة في الحالة النفسيّة هو: **الاعتقاد**؛ فلا يمكن للمتكلّم أن يثبت شيئا وهو لا يعتقده، وتستمدّ التّمثيليّات قوّتها الإنجازيّة من الفعل المستعمل، والذي يحدّد -بدوره- درجات التعهّد لدى المتكلّم؛ ويمكن عزلها بأن نحدّد ما إذا كان الملفوظ صادقا أو كاذبا(زائفا)، ويجعل سيرل بنيتها العميقة على هذا الشكل: **أنا+فعل متضمَّن في القول** أنَّ+ج(ج=المحتوى القضويّ).

2- **التَّوجيهيّات**(directives): يهدف المتكلّم -من خلال إنجازه للأعمال التوجيهيّة المتضمَّنة في الأقوال- إلى أن يجعل مخاطَبه يُنجز المحتوى القضويّ للتّوجيه؛ ومن أصنافها: الأوامر،النّواهيّ، الطلبات، التّعليمات وهو بذلك القصد يغيِّر العالَمَ بكلماته؛ فيصير العالمُ مطابقا لكلماته، وهنا يتّجه سهم الملاءمة من العالَم إلى الكلمات، وأمّا شرط الصدق النفسيّ يتحقَّق -تلقائيّا- في **الرغبة**، وكلّ توجيه هو تعبير عن رغبة؛ فالأوامر أو النواهي أو الطلبيّات يمكن أن تُطاع(موفَّقة) أوتُهمل(مخفَقة)، يخضَع لها المخاطَب أو يستنكرها، ويمكن أن نتصوّر البنية العميقة للتوجيهيّات وفق الشكل التالي:**أنا**(إليك)+**فعل متضمَّن في القول** أنّ+ج م ف(في المستقبل)؛ حيث يوافق(ج=المحتوى القضويّ و م=المخاطَب وف=الفعل).

3- **الوعديّات/الإلزاميّات**(commissives): مدار القصد المتضمَّن في القول بخصوص الوعديّات هو أن يلتزم المتكلِّم بإنجاز عمل أو أعمال في المستقبل، ومن نماذجها:المواعيد، النّذور، الرهون، العقود، الضمانات والتّهديد، ويتّجه شرط الملاءمة من العالَم إلى الكلمات؛ فهو يغيِّر العالَم بجعله يتناغم والكلمات، وتتعلّق الحالة النفسيّة بتحقيق شرط النزاهة في القصد، فالقصد من الوعد أو التّهديد أو النذر هو القيام بعمل ما في المستقبل، وصدقها

مرهون بتنفيذها (صادقة) أو عدمها(زائفة)، وأمّا البنية التّركيبيّة العميقة للوعديّات فهي: **أنا**(إليك)+**فعل متضمَّن في القول أنَّ أنا م ف**(في المستقبل).

4- التَّعبيريّات(expressives): القصديّة الّتي يتضمَّنها القول في مستوى التّعبيريّات تتحدَّد في أنّ: المتكلِّم يعبِّر عن حالته أو حالاته النفسيّة(مشاعره وانفعالاته وعواطفه) المُعلَنة في المحتوى القضويّ؛ ومن نماذجها:الاعتذارات والتّشكّرات، والتّهاني، والتّرحيبات والتّعزيّات...إلخ، وتخلو من اتّجاه الملاءمة لأنّ حقيقة المحتوى القضوي يُسلَّم بها فحسب؛ فإذا قلت: أعتذر لضربك أو تهانينا على فوزك بالجائزة؛ فأنا **أسلّم** بأنّني ضربتك، أو أنّك فزت بالجائزة؛ ولذلك أفترض قبليّا تطابقا بين المحتوى القضويّ والواقع، ويُقاس شرط النّزاهة في التعبيريّات بالنظرإلى حالة الأشياء الّتي تتضمَّنها القضية، وصدقها هو صدق مقتَضى؛ وبالتالي فالاعتذار صادق إذا كان المعتذِر يحسّ إحساسا صادقا بالندم، والمهنيء يبتهج بتهنئة المستمِع، وأمّا البنية التّركيبيّة العميقة فهي:**أنا**(إليك)+**فعل متضمَّن في القول أنّ أنا/أنت م ف.**

5- **الإيقاعيّات/التَّصريحيّات**(declaratives): يتوسّلها المتكلّم لتغيّير العالَم بتمثيله وكأنّه قد تغيَّر،نحو:القائد العسكري:لذلك أعلن اندلاع الحرب، الموظف:أنا مستقيل،القسيس:الآن أعلنكما زوجا وزوجة، حكم المباراة:أنت مطرود، ونجاح التصريحيّات مرهون بنجاح أداء العمل؛أي إذا نجحت في إشهاركما زوجا وزوجة أو أصبحت الحرب فعليّة وانتهت علاقة الموظف بوظيفته واللاعب محروم من مواصلة اللّعب؛ ويُشترط فيها أن يتقلّد المتكلّم والمخاطب دورا مؤسّساتيّا وظروفا مخصوصة لإنجاز الإيقاعيّات بشكل تامّ وصحيح، واتّجاه الملاءمة مزدوج في الإيقاعيّات من الكلمات إلى العالَم (إحداث التغيّير:إيجاد حالة لم تكن من قبل) ومن العالَم إلى الكلمات(تمثيله كما لو كان متغيِّرا)، والبنية التركيبيّة العميقة هي:**أنا+فعل متضمَّن في القول م س**$_1$**+ م س**$_2$.

سادساً- الحجاجُ فعلٌ كلاميٌّ نصّيّ:

عالج كلاوس برينكر الأفعال الكلاميّة من حيث هي ظاهرة نصّيّة فتجاوز المنظور الجمليّ التقليديّ(جون أوستين وجون سيرل)، تحت ما نسمّيه بـ"الأفعال الكلاميّة النّصيّة"؛ ونلاحظ التطابق بين تقسيم (أوستين، جون سيرل) و (كلاوس برينكر) للفعل الكلامي - رغم اختلاف المنهجين- في التقسيم الثلاثي التالي:

أوستين وسيرل **الأفعال الكلاميّة البسيطة**	كلاوس برينكر **الأفعال النّصّيّة المركّبة**
الفعل التصويتيّ (الجانب التعبيريّ للملفوظ: أصوات، كلمات، جمل)؛وهي موضوعات للنحو التقليديّ، واللّسانيّات البنويّة ومجالاتها البحثيّة: الصوتيّات، التركيبيّات، المعجميّات)	البناء النحويّ التركيبيّ (نحو النّص:الاتّساق)
الفعل القضويّ (الجانب الدلاليّ والمنطقي للملفوظ)؛ وهي موضوعات للدَّلاليّات التّوليديّة ومابعدها.	البناء الموضوعيّ (الدَّلاليّات النّصيّة:الانسجام)
الفعل التّأثيريّ (نظريّة أفعال الكلام المعيار عند أوستين وسيرل)	البناء الوظيفيّ (التّداوليّات:السِّياق)

يحدّ كلاوس برينكر وظيفة النّص بأنّها: معنى النّص في التوّاصل أو الغرض الّذي يحقّقه في موقف تفاعليّ معيّن (situation interactionnelle)، وتتعدّد وظائف النّص بتعدّد سياقات وروده ومجالات تداوله؛ فوصفة الطَّبخ هي نصّ يؤدّي وظيفتين: **معلوماتيّة وإرشاديّة**؛ لأنّها تمنح للمتلقّي معلومات حول الحلويّات والأكلات، وتُرشِده إلى طريقة صُنعها، إلاّ أنّ الوظيفة المهيمنة على هذا النَّمط النَّصّي هي: **الوظيفة الإرشاديّة**؛ إذ يتجاوز صاحبها تقديمَ المعلومات إلى الإرشاد، وعلاماتها على سبيل المثال: صيغ الأمر والنّهي،

صيغ التّأدّب، قوانين الخطاب، التّعليمات...إلخ، وتهيمن **الوظيفة المعلوماتيّة** على الأخبار الإذاعية والتّلفزيّة بالإضافة إلى الإمتاع، لأنّ الصحافيّين يحرصون على تقديم الأخبار بشكل جذّاب وممتِع للتّأثير في المتلقّي[1].

ويصرّح كلاوس برينكر أنّ تحليله للوظيفة الإنجازيّة للنّصوص تتأسّس على نظريّة الأفعال الكلاميّة، يقول:"نعُدُّ أساسا نظريّا ومفهوميّا لإيضاح كاف لمفهوم وظيفة النّص نظريّة الفعل الكلامي (لدى ج، أوستين، و ج، سيرل، و د، فرندليش وغيرهم)...وبذلك يمكن الحصول على تعريف لوظيفة النّص قائم على أساس نظريّة الفعل"[2]. ومن خصائص الأفعال الكلاميّة -حسب برينكر- أنّها[3]:

أ- **قصديّة:** فالمتكلِّم يتوجّه بملفوظاته إلى المتلقي قصد التّأثير فيه.

ب- **عرفيّة:** تتواضع الجماعة اللّغويّة على جملة من القواعد والشّروط للأفعال الكلاميّة والإجتماعيّة، تضبط سيرورتها الإنجازيّة والتّأويليّة والتّفاعليّة، ويتعلّمها المتكلم-المستمّع في أطوار تنشئته الإجتماعيّة، ويتسنّى للمتكلِّم -وفقها- أن يُفهم مستمِعَه قصدَه من ملفوظه: استفهاما كان أم إخبارا أم طلبا...إلخ. وللمستمِع أن يُؤوّلها بصورة ملائمة.

جـ- **تأثيريّة:** القصد التّأثيريّ في الأفعال الكلاميّة ليس عرفيّا مثل: المستوى الإنجازيّ (نحو: الوعد، الطلب، الإثبات...إلخ) والمستوى القضويّ (محتويّات: الوعد، الطّلب والإثبات)، فالتّأثير يرتبط بسياق ورودها في موقف اجتماعيّ محدّد، وهنا نميّز بين

[1]-التّحليل اللّغوي للنّص، مدخل إلى المفاهيم الأساسيّة والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة سعيدي بحيري، مؤسّسة المختار، القاهرة، 2010م، ط2، ص121، 122.

[2]-المرجع نفسه، ص123.

[3]-نفسه، ص125.

المعنى الاستعماليّ الحقيقيّ للأفعال الكلاميّة؛ أي قصديّة المتكلِّم من جهة، والمعنى الوضعيّ للألفاظ والجمل من جهة ثانية.

أ- مؤشِّرات وظيفة النّص:

تُعرِّف الدِّراسات النَّصّيّة -المهتمّة بتحليل الأبنية الإنجازيّة- النّصَّ بأنّه: متواليّات من الأفعال الكلاميّة البسيطة (الأساسيّة)، تقوم بينها علاقات نصّيّة متنوّعة: شكليّة ودلاليّة وسياقيّة، وعادة ما يُهيمن فعل إنجازيّ واحد على الأفعال الإنجازيّة الأخرى داخل النّصّ؛ وهذا الفعل المهيمن يحدّد: القصد الإنجازيّ الكلّي للنصّ، فيما تدعمه الأفعال الإنجازيّة الثَّانويّة وتؤكِّد نجاحه؛ فـ"المتكلِّم يجب...أن يبني فعله الكلّي على نحو تُتجنّب فيه أشكال سوء الفهم والرَّفض وردود الفعل غير المرغوب فيها من جانب السَّامع...من خلال دعمه فعلا إنجازيّا مهيمنا بفعل إنجازيّ مساعد...ويحدث ذلك على أساس معارف نظام أفعال إنجازيّة"[1]؛ وتستغل المقولات النحويّة (الصيغة والزمن، العدد والشَّخص..إلخ) ونماذج الجمل(الخبريّة، الاستفهاميّة، الأمريّة) وأنماط الأفعال الكلاميّة (الوعديّات، التَّوجيهيّات، الإخباريّات ...إلخ) والمحتوى القضويّ وعلاقته بمؤشّرات السِّياق (أدوار المتخاطبين، الإطار المؤسّساتي لهما، المعرفة الخلفيّة، الخِطاطات...إلخ) والمؤشِّرات الخِطابيّة (لكن، بالتَّأكيد، حقا، بلا شك، بادئ ذي بدء، فضلا عن ذلك، ومن ثمّ...إلخ)، وتلك الدَّعائم حين تندمج في "النَّصّ" فإنّها لا تقوم بوظائف إنجازيّة مباشرة؛ فالخاصِّيَّة الإنجازيّة تُعزى للنّص ككلّ[2].

وعليه يميِّز **كلاوس برينكر** ثلاثة أنماط من المؤشِّرات الإنجازيّة للنّصوص، وهي[3]:

[1]-التّحليل اللّغوي للنّص، كلاوس برينكر، مرجع سابق، ص134.

[2]-المرجع نفسه، ص136.

[3]-نفسه، ص143، 144.

أ- من خلال الصّيغ والأبنية اللّغويّة الّتي يؤشّر بها المتكلِّم إلى الوظيفة المقصودة بصورة صريحة، ويُعلن عن قصديّته من التّواصل.

ب- من خلال الصّيغ والأبنية اللّغويّة التي يؤشِّر بها المتكلِّم إلى موقفه من محتوى النّصّ وموضوعه؛ فقد يعبِّر عن المحتوى بمؤشّرات صدقيّة أو احتماليّة، فيستعمل عبارات نحو: أعتقد، أظنّ، أؤكّد، حقّا، مطلقا...إلخ، وبمؤشّرات عن موقفه التّقويمي (يستحسن: إيجابي، يستهجن: سلبي)، كما قد يعبِّر عن اهتمامه، فيوظّف كلمات نحو: أتمنّى، أقصد، أوثر...إلخ، وموقفه النّفسيّ (أحزن، أسعد، أحبّ، أكره...إلخ).

جـ- المؤشّرات السّياقيّة: ونقصد بها الإطار الموقفيّ والمؤسّساتيّ والمجالات الاجتماعيّة للفعل النّصّي، ونعتمد عليها حين غياب الصّيغ والأبنيّة اللّغويّة الصّريحة أو التباسها.

ب- صنافة " كلاوس برينكر" للوظائف النّصّيّة:

اعتمد **برينكر** في تصنيفه للوظائف النَّصّية على صنافة **جون سيرل**، إلاَّ أنّه عدّل المقولتين: الإخباريّات والتَّعبيريّات، بسبب عدم ارتباطهما بالجانب التَّفاعليّ بين المتخاطبين، ووضع بدلا منهما على التَّوالي: وظيفة الإبلاغ ووظيفة الاتّصال، واتّخذ من نوع العلاقة التَّواصليّة بين الأشخاص معيارا وحيدا لصنافته، وقسّم الوظائف النّصّيّة إلى:

1- **الابلاغيّات:** وتسمّى كذلك الإخباريّات أو الإعلاميّات، ويؤدّي ملفوظ ما هذه الوظيفة التَّواصليّة حين يتوجّه المتكلِّم بملفوظه إلى مخاطَبه ليقدّم إليه محتوى إخباريّ معيّن، يريد أن يعرِّفه له؛ ومقتضى هذه الوظيفة -حسب **برينكر**- هو"**أنا(الباث) أبلِغُك(المتلقي) الحالة/الواقعة س(مضمون النّصّ)**"[1]، ومن المؤشّرات الصَّريحة لهذه الوظيفة أفعال نحو: أخبر، أعلم، نشر تقريرا عن حالة، أذاع خبرا عن حادثة...إلخ، كما ترتبط بالمواقف

[1]-التّحليل اللّغوي للنّص، كلاوس برينكر، مرجع سابق، ص154.

الموضوعيّة الَّتي يتبنّاها صاحب النّص، وتعبِّر عن آرائه في موضوع النّص وتقويمه له، ويُبرِز مدى صدقيَّتِها أو إحتماليّتها أو زيفها، حيث يستخدم في ملفوظاته العبارات المفسِّرة(معروف أنّ، من المؤكّد أنّ، من المحتمل أنّ، لا يقول بهذا عاقل، اختلف العلماء...إلخ) والعبارات التَّقويميّة(إنّه أمر إيجابي/سلبي أن، أفتخر بـ، أرحّب بـ...إلخ)، وتظهر الموقف الموضوعيّة في نمط من النّصوص كـ: تقارير الخبرة، المراجعات النّقديّة، الأخبار الإذاعيّة والتّلفزيّة، التَّقارير العلميّة حول مذكّرات التّخرّج...)؛ ويستغلّ المتكلّم هذه الوظيفة الَّتي تسخّرها اللّغة للتَّأثير في متلقّيه، فيتجاوز مجرّد الإخبار إلى القصد الحِجاجيّ، وتنشأ الوظيفة الحِجاجيّة عبر التَّفاعل بين المتكلّم والمستمِع أو الكاتب والقارئ[1].

2- **الاستثاريّات:** تهيمن الوظيفة الاستثاريّة في ملفوظ ما عندما يقصد المتكلِّم إلى استثارة المتلقّي لأن يتّخذ موقفا ويعبّر عن رأيّ تجاه موضوع معيّن(التَّأثير في الرَّأي)، أو ينجز عملا؛ وتكون استثارة سلوكيّة، ومقتضى هذه الوظيفة هو:"**أنا(الباث) أطلب منك(المتلقي) أن تتّخذ موقفا (رأيّا)س/ أن تُنجِز الفعل س**"[2]، ويظهر هذا المقتضى في"الأنواع النّصّيّة الَّتي لها وظيفة استثارة أساسيّة هو: الإعلان، ونصّ الدعايّة، والتّعليق(الصّحفي، والتّلفزيونيّ، والإذاعيّ)، والإرشاد إلى العمل، والإرشاد إلى الاستعمال، والوصفة، ونصّ القانون، والعريضة، والطَّلب، والالتماس والخُطبة...إلخ"[3]، ومن المؤشّرات اللّغويّة والصِّياغيّة للاستثاريّات:الأفعال الصَّريحة(نحو: رجا، نصح، دعا إلى، اقترح...إلخ) والجمل الطلبيّة(نحو:استمتع، اكتشف...إلخ) والجمل الاستفهاميّة، وترتبط تلك الوظيفة بالمواقف

[1]-التّحليل اللّغوي للنّص، كلاوس برينكر، مرجع سابق، ص154 ومابعدها.
[2]-المرجع نفسه، ص159.
[3]-نفسه، ص160.

المعياريّة والتَّقويميّة التي يُلزِم المتكلِّم بها المتلقّي بإنجاز المحتوى الموضوعيّ(نحو: أمنيّات المتكلِّم، حاجاته، أولويّاته...إلخ) [1].

3- **الالتزاميّات:** يُفهِم المتكلِّم المتلقّي من خلالها أنّه يلتزم بإنجاز فعل معيّن، ومقتضاها هو:"**أنا(الباث) ملزَم(تجاه المتلقّي) بعمل الفعل س**"[2]، وتُهيمن وظيفة الالتزام في: العقود والاتِّفاقيّات، النّذور، العهود، شهادات الضّمان، اليمين الدّستوريّ، أداء اليمين في المحكمة...إلخ، وترتبط بالمواقف الموضوعيّة ذات الطَّابع المقصديّ(نحو: أنوي، أخطّط، أعتزم، ألتزم، أتعهّد...إلخ) [3].

4- **وظيفة الاتّصال:** يُفهِم المتكلِّم المتلقّي من خلال ملفوظاته ذات الوظيفة الاتّصاليّة أنّ الأمر يتعلّق بإقامة العلاقات الاجتماعيّة والمحافظة على استمرارها، ويؤشِّر إليها بصيغ أدائية (نحو: الشُّكر، الاعتذار، تقديم التَّهاني، الفرح، المواساة، التّعزية، أحاديث السَّمر...إلخ)، وتهيمن هذه الوظيفة في الأنماط النّصّيّة مثل: رسائل/بطاقات التّهنئة أو التّعزيّة، الرّسائل الغراميّة....إلخ، ولمّا كانت الأحداث متكرِّرة اتّخذت شكلا لغويّا ودلاليّا، وتصميما متداولا[4].

5- الإعلانيّات: يُفهم المتكلّم المتلقّي أنّ ملفوظه يُوجِد واقعا جديدا، ومقتضى الوظيفة الإعلانيّة هو:"أنا(الباث) أجعل بذلك"س يُنظَر إليه على أنّه ص"[5]، ومن أنواع النّصوص الَّتي تهيمن فيها الوظيفة الإعلانيّة على سبيل المثال: التّعيّين في المنصب، الوكالة،

---

[1]- التّحليل اللغوي للنّص، كلاوس برينكر، مرجع سابق، ص161 ومابعدها.

[2]-المرجع نفسه، ص171.

[3]-نفسه، ص172.

[4]-نفسه، ص173، 174.

[5]-نفسه، ص174.

الشّهادة، الحكم القضائيّ...إلخ، وهي ذات طابع مؤسّساتيّ، وصياغتها اللّغويّة ثابتة وصريحة، ويمكن أن ترد كعناوين للنّصوص، نحو:توصية، توكيل، شهادة ....إلخ[1].

سابعاً- الحِجاج، فعل لغويّ مركَّب:

استلهم أعضاء جماعة أمستردام من التّداوليّات مفهوم الحجاج الّذي يعتمد على "نظرية أفعال الكلام" لأوستين(Austin) في كتابه"how to do things with words"حيث القول يشكّل عملا، آخذين في حسبانهم مفهوم "القوة الإنجازية"(force illocutoire) الّذي يعيّن عملا كـ: الوعد، الاستفهام، الحكميات...إلخ، و" الحجاج -حسبهم- يتألّف من فعل كلاميّ مركّب (un acte de langage complexe)، يتربّع على جملة من الملفوظات، ولا يقتصر على فعل من أفعال اللّغة العليا-أفعال الكلام الأوليّة- ولكن يحتويها في الوظيفة التّواصليّة الّتي تنشأ في مستوى أعلى-فعل كلامي مركّب-، التّداولية الجدلية تحلّل بنية هذا الفعل الكلامي المركّب وامتداده، في إطار حوار يهدف إلى حلّ نزاعات الرّأي، وفي ذلك فهي وصفيّة"[2]

يترتّب عن الفعل اللّغويّ الحِجاجيّ الّذي ينطق به المتكلّم في سياق تفاعليّ ما، أثران اثنان وهما:

- ✓ **الأثر التّواصليّ**: يتضمّن الفعل اللّغويّ بنية لغوية وقوة إنجازية ومحتوى قضويّا؛ وعلى المتلقي أن يتعرَّف إلى مكوّناته تلك ليتحقّق الأثر التواصليّ أو الفعل التواصليّ للمنطوق، ونقصد به: **الفهم**، وتتميّز الجوانب التواصليّة للأفعال الكلاميّة عن الجوانب التفاعليّة

[1]-التّحليل اللّغويّ للنّص، كلاوس برينكر، مرجع سابق، ص174 ومابعدها.

[2]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p30,31.

باستعمال رائز"**بهذه الكلمات**"، وصيغته -حسب فان إيمرين و روب غروتندورست- كما يلي:

"صرِّف الفعل الأنسب للوظيفة التّواصليّة المقصودة في المضارع المرفوع، وأدرج العبارة "بهذه الكلمات" بين ضمير المتكلّم وبين الفعل، وتحقّق من صحة العبارة المحصَّلة؛ فإن صحَّت كانت للفعل وظيفة تواصليّة"[1]؛ فحين يرد هذا الملفوظ "أعدك **بهذه الكلمات** أن آتي إليك غدا" في سياق تواصلي معيّن، تكون له وظيفة تواصليّة بسبب موافقته للرائز الذي أورده فان إيمرين و روب غروتندورست كشرط إنجازيّ للفعل التواصليّ؛ فقد صرّفنا الفعل "أعدك" المناسب للوظيفة التواصليّة من نمط "الوعديّات" في الزمن المضارع المرفوع، وأدرجنا بعد ذلك العبارة المقيِّدة"**بهذه الكلمات**" بين ضمير المتكلّم"أنا" المضمَر في فعل الوعد وبين الفعل"آتي"؛ وبعدها نتأكّد من صحّة العبارة كلّها؛ فإن تحصَّلنا على منطوق منسجم كان له أثر تواصليّ، وإن كان غير منسجم نحو قول القائل:"أقنعك بهذه الكلمات أنّني محق" لم يكن له أثر تواصليّ؛ لأنّ الفعل "أقنع" يُشير إلى الجوانب التفاعليّة بين المتكلِّم والمتلقّي في إطار تحاوريّ وتشاركيّ، إقناعيّ واقتناعيّ؛ وليس فعلا خارجيّا يفرضه المتكلّم على المتلقّي بصورة مستقلّة؛ ويمكن ملاحظة مثل هذه العبارات التي يرد فيها رائز"**بهذه الكلمات**" في الحياة اليوميّة، نحو:"أعلن بهذه الكلمات أنّ..."، "نشعركم بهذه الرسالة أنّ..."، وتُستعمل هذه التراكيب في العقود والاتفاقيّات والمراسلات الإدارية على سبيل المثال...إلخ[2].

- ✓ **الأثر التّفاعليّ:** يتجاوز المتكلِّم بخطابه الفعل التّواصليّ إلى الفعل التّفاعليّ؛ ويترقَّب من متلقي خطابه أن يتقبّله ويتفاعل معه، فإذا تفاعل مع مقصديّته، معلَنة كانت أو مضمَرة

[1]-الحجاج:فعل لغويّ مركّب، فان إيمرين و روب غروتندورست،ترجمة ياسين ساوير المنصوريّ، ضمن كتاب:الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ج5، ص198.

[2]-الحِجاج فعل كلاميّ مركّب، فان إيمرن وروب غروتندورس، مرجع سابق،ص198.

نحو: فرح، حزن، اقتناع، جواب...إلخ؛ نتحدّث حينها عن: أثر تفاعليّ أو فعل تفاعليّ، ونميِّزه بالاستعانة برائز"**بهذا الفعل**"، وصيغته:

"أتبِع المنطوق الإبتدائيّ بالعبارة "بهذا الفعل...ني" واستبدل بنقاط الحذف الفعل الأنسب للأثر التفاعليّ المراد تحقيقه مصرَّفا في الماضي. ثمّ تحقّق من صحة العبارة، فإن صحّت كانت للفعل وظيفة تفاعليّة"[1]؛ ومثاله:"بهذا الفعل وافقني"،"بهذا الفعل أرضاني"، ونلاحظ الاختلاف بين الأثر التفاعليّ والأثر التواصليّ في الجدول الموالي:

الفعل التّواصليّ	الفعل التّفاعليّ
رائزه "بهذه الكلمات"	رائزه"بهذا الفعل...ني"
يتحقّق بالتعرّف والفهم فحسب	يتحقّق بإنجاز الفعل
يُصاغ في الزمن المضارع	يُصاغ في الزمن الماضي

ومن الجدير بالالماع أنّ فهم الفعل الكلامي لا يعني تقبّله الآليّ؛ فإذا كانت درجات فهمه تختلف فإنّ درجات تقبّله من لدن المتلقّي تختلف أيضا، كما أنّ الفهم الكليّ قد يقابله التقبّل الكلّي أو الجزئيّ، أو الرفض الكليّ أو الجزئي؛ وفي كلّ الحالات يَفترِض الحصول على التقبّل الفهمَ سواء كان كليّا أو جزئيّا؛ إذ لا تفاعل بلا تواصل، ولا تقبّل بلا فهم[2].

أ- الفروق بين الأفعال الكلاميّة البسيطة والمركَّبة:

يختلف الفعل الحِجاجيّ عن الأفعال الكلاميّة البسيطة الّتي وصفتها نظريّة الأفعال الكلاميّة المعيار(أوستين وسيرل)، نحو: الوعد، الإخبار، والإعلان، والتوجيه...إلخ، وتظهر الفروق الأساسيّة في[3]:

---

[1]- الحِجاج: فعل كلاميّ مركَّب، فان إيمرن وروب غروتندورس، مرجع سابق ،ص199.

[2]-المرجع نفسه،ص197.

[3]-نفسه،ص199 ،200.

أ- الأفعال الكلاميّة البسيطة تتكوّن من ملفوظ واحد، والفعل الحِجاجيّ يتكوّن من سلسلة من الملفوظات المتتاليّة.

ب- تؤدي الملفوظات الّتي تبني الفعل الحِجاجيّ وظيفة تواصليّة مزدوَجة، فالأولى **بسيطة** وتعود إلى الأثر التّواصليّ لكلّ ملفوظ على انفراد كالإلتزام، والجزم، والإثبات...إلخ، والثّانيّة **مركَّبة** وترتدُّ إلى الأثر الحِجاجيّ حين تكون متَّصلة، ويشترك فعل الحِجاج في درجة تركيبه مع أفعال كلاميّة مركَّبة أخرى نحو أفعال: التَّفسير، التَّخيّيل، السَّرد، التَّوضيح، التَّصوير...إلخ.

ج- فعل الحِجاج ليس مستقلاّ بذاته شأن الأفعال الكلاميّة البسيطة، وإنّما يرتبط بفعل الإدِّعاء، فلا حِجاج بلا إدِّعاء، ولا إدِّعاء بلا حِجاج.

د-الأفعال الكلاميّة البسيطة تقوم وظيفتها التَّواصليّة داخل **الجملة**، وأمّا الأفعال الكلاميّة المركَّبة -ومنها الحِجاج- فتتحقّق وظيفتها داخل **النّص**، ويتميّز الفعل الحِجاجيّ عن كلّ الأفعال المركّبة بطلب القبول والإقتناع، فهو يتأسّس على الاختلاف لا على المسلّمات والاتّفاق المسبق، فهدفه هو السَّعي إلى تحصيل **القبول** ولا كذلك الأفعال الكلاميّة المركَّبة النّصّيّة الأخرى، فالتَّفسير والتَّوضيح والتَّصوير تقتضي التَّسليم المسبق من لدن المتلقي، بالإضافة إلى أنّ فعل الحِجاج يستلهِم من الأفعال الكلاميّة البسيطة والمركّبة طاقتها الحِجاجيّة.

ب- شروط التَّحديد (الهويّة) والتّصحيح (السّلامة):

يُميِّز **فان إيمرين وروب غروتندورست** بين صنفين من شروط نجاح الحِجاج كفعل لغويّ مركّب، وهي[1]:

أ- **شروط التّحديد:** لكي يكون الحِجاج فعلا كلاميّا مركّبا يقتضي أن يتوافر فيه الشّرطان التّحديديّان التّاليان:

"**1-شروط المضمون القضويّ**: إنّ كلّ واحد من المنطوقات 1، 2،...ن يحقّق فعلا لغويّا بسيطا 1 أو2...أو ن يفيد التزاما تجاه القضايا المعبَّر عنها.

2-الشَّرط الجوهريّ: إنّ تحقيق مجموع أفعال اللّغة البسيطة؛ يعني أنّ المتكلِّم يسعى إلى تعليل "ب"؛ أي إلى جعل المتلقي يَعقل بأنّ إدّعاءه لـ"ب" مقبول"[2].

ب-**شروط التَّصحيح**: لكي يكون الحجاج فعلا كلاميّا صحيحا لا بدّ من أن يتوافر فيه الشّرطان التّصحيحيّان التّاليان:

"1- **الشّروط الابتدائيّة**:

أ- أن يعتقد المتكلِّم أنّ المستمع لا يقبل ادّعاءه لـ"ب" أو على الأقل لا يقبل تلقائيّا أو كلّيّا ذلك الإدّعاء.

ب- يعتقد المتكلِّم أنّ المستمِع مستعدّ لقبول كلّ قضية من القضايا التي تعبِّر عنها الأفعال البسيطة 1، 2...ن.

---

[1]-الحِجاج: فعل لغويّ مركّب، فان إيمرين و روب غروتندورست،ترجمة ياسين ساوير المنصوريّ، ضمن كتاب:الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ج5، ص200 ومابعدها.

[2]-المرجع نفسه ، ص201.

ج- يعتقد المتكلِّم أنّ المستمِع مستعدّ لقبول مجموع الأفعال البسيطة2،1...ن من حيث هي تعليل مقبول لـ"ب".

2- **الشّروط الالتزاميّة**

أ- يعتقد المتكلِّم أنّ ادّعاءه لـ"ب" مقبول.

ب- يعتقد المتكلِّم أنّ القضايا التي تعبّر عنها الأفعال البسيطة 1، 2...ن مقبولة.

ج- يعتقد المتكلّم أنّ مجموع الأفعال الكلاميّة البسيطة 1، 2...ن تعليل مقبول لـ "ب""[1].

ونظرا لأهمّية الآثار التّواصليّة والتّفاعليّة للفعل الحِجاجيّ وشروط نجاحه، يمثّل **فان إيمرين وروب غروتندورست** بقول القائل:"ستُحسِن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة، فعمرها يقارب الواحد والستّين وقلبها يفرق بسهولة وتقاعدها لا يؤهّلها لابتياع سيارة"[2]، ويُحلّلان هذا المنطوق عبر الجدول الموالي[3]:

المستوى الجمليّ	الأفعال اللّغويّة البسيطة	1-عمرها 61 سنة 2-قلبها يفرُق بسهولة 3-ليست لها الإمكانيّات لابتياع سيّارة	ستُحسِن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السِّياقة
المستوى النّصّي	الفعل اللّغويّ المركّب	الحِجاج	الدّعوى
شروط المضمون القضويّ	تعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا 1- عمرها 61 سنة. 2- يفرُق قلبها بسهولة 3- ليست لها الإمكانيّات لشراء سيّارة		

[1]-الحِجاج، فعل كلاميّ مركّب، فان إيمرين وروب غروتندورست، مرجع سابق،ص201 ، 202.

[2]-المرجع نفسه، ص199.

[3]-نفسه، ص203.

الشَّرط الجوهريّ	إنّ تحقيق (1)-(3) يُعتبر محاولة يقوم بها المتكلِّم(م) لكي يُعقِل المتلقي(ق) بأنّ دعواه مقبولة والتي هي: ستُحسِن صنعا بعدم تلقّيها دروسا في السِّياقة"
الشَّروط الابتدائيّة	1-يعتقد(م) أنّ(ق) لا يقبل دعواه"ستُحسِن صنعا بعدم تلقّيها دروسا في السِّياقة" 2-يعتقد(م) أنّ(ق)سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1)-(3). 3-يعتقد(م) أنّ(ق) سيقبل جملة القضايا(1)-(3) كتعليل للقضية"ستُحسِن صنعا بعدم تلقّيها دروسا في السِّياقة"
الشَّروط الالتزاميّة	1-يعتقد(م) أنّ الدّعوى"ستُحسِن صنعا بعدم تلقّيها دروسا في السِّياقة"مقبولة 2-يعتقد(م) أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1)-(3) مقبولة 3-يعتقد(م) أنّ جملة القضايا(1)-(3) تشكّل تعليلا مقبولا للقضية "ستُحسِن صنعا بعدم تلقّيها دروسا في السِّياقة".
الأثر التَّواصليّ(الفهم)	يفهم(ق) أنّ(1)-(3) تشكّل حِجاجا عن الدّعوى "ستُحسِن صنعا بعدم تلقّيها دروسا في السِّياقة"
الأثر التَّفاعليّ(القبول)	يقبل(ق) (1)-(3) كتعليل للقضيَّة "ستكون قد أحسنت صنعا بعدم تلقّيها دروسا في السِّياقة"

جـ- الخطوات التّداوليّة في سيرورة الحلّ:

توفِّر نظريّة الأفعال الكلاميّة أدوات للتّبادل الحِجاجيّ والنّقاش النّقديّ كسيرورة لحلّ الخلاف في الرّأي، ونبسطها فيما يلي[1]:

1- **الأفعال الكلاميّة الإقراريّة** (الإقراريّات assertives): وهي أفعال كلاميّة ذات طابع إقراريّ، يُقرُّ بواسطتها المتكلِّم أو الكاتب بقضية ما بغضّ النّظر عن صدقها أو كذبها، وإنجازها يَشترِط أنّ المُقرَّ قد تعهَّد بمقبوليَّة قضية من القضايا.

[1]-نظريّة نسقيّة في الحِجاج، المقاربة الذّريعيّة-الجدليّة، فان إيمرين وروب غروتندورست، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2016، ص82 وما بعدها.

✓ **نموذجها النّمطيّ:** أن يُخبِر المتكلِّم أو الكاتب، بالفعل، عن صدق قضية ما أو درجة مقبوليّتها، أو يُخبِر بتقديم رأيّه حول حدث ما أو وضع ما معيَّن، يتضمَّنه محتوى القضية.

✓ **قصديّتُها:** يرمي المتكلِّم أو الكاتب إلى التّعبير عن إيمانه بقضية ما أوعن وجهة نظره في سيرورة النّقاش النّقديّ، أوإنشاء نتيجة النّقاش، أو تأّييد وجهة النّظر في الخاتمة أو التّراجع عنها، وقد يقدّمها كحجَّة في ذاتها مثل: الإقرار كشهادة في المحكمة.

✓ **أدواتها:** من أدوات الإقراريّات: إصدار الأحكام، الدّعاوى، التّأكيدات، الافتراضات، الإنكارات، ويمكن للمتكلِّم أن يتوسّلها للتّعبير عن درجات التّعهّد، مثل: الإقرار الثّابت(تعهّد قويّ)، أو الافتراض (تعهّد ضعيف).

2- الأفعال الكلاميّة التّوجيهيّة (التّوجيهيّات directives): وهي أفعال كلاميّة يسعى المتكلِّم أو الكاتب من خلالها إلى جعل السّامع أو القارئ يفعل شيئا ما أو يُحجِم عن فعله، وتتأرجح بين الطلب أو المنع.

✓ **نموذجها النّمطيّ:** يكون عبارة عن أمر (order)، ويقتضي وصفا خاصّا للمتكلِّم أو الكاتب بالنّظر إلى السّامع أو القارئ لأنّه يتعلّق بممارسة السّلطة على المتلقّي، وإلاّ كان: طلبا أو دعوة.

✓ **قصديّتها:** يستعملها المتكلِّم أو الكاتب في النّقاش النّقدي كتحدّي للمناوِئ المُعتَرِض، أو لدعوة الطّرف المناوِئ لتقديم الاستدلال لوجهة نظره، أو لمطالبة الطّرف الآخر بالإتيان بـ: تعريف، تفسير، شرح، توسيع، تسهيل، تأويل...إلخ.

✓ **أدواتها:** يُوجّه المتكلِّم أو الكاتب مخاطَبه بأدوات الأمر والنّهي، شرط ألاّ تكون مقصودة لذاتها حرفيّا، لأنّها من المحرّمات في النّقاش النّقديّ، ولا يمكن لأيّ طرف أن يطلب من الطّرف الآخر سوى إيجاد الحُجج؛ فبعض التّوجيهيّات غير مقبولة في النّقاش النّقديّ كالدّعوة إلى المبارزة مثلا.

3- الأفعال الكلاميّة التّعهّديّة (التّعهّديّات commissives): وهي أفعال كلاميّة مقتضاها أن: يتعهَّد فيها المتكلِّم أو الكاتب لسامعه أو قارئه بأن يقوم بشيء أو يمتنع عنه؛ فإذا كانت التّوجيهيّات (directives) تتّجه نحو المتلقّي فإنّ التّعهّديّات (commissives) تتّجه نحو الذّات المتكلِّمة، لأنّها تعبير المتكلِّم عن التزامه.

✓ **نموذجها النّمطيّ:** أن يَعِد المتكلِّم أو الكاتب مخاطَبه بشيء، سواء كان ضمنيّا أو صريحا؛ كالتّعهّد بالقبول أو الاتّفاق أو النّقد...إلخ، بغضّ النّظر عن مدى اهتمام المناوِئ بهذا التّعهّد، مثلا: قول المناصِر لمناوِئه: "سأُبيِّن لك أنّ كلامك خاطئ"، فمثل هذا التّعهّد لا يتحمّس إليه المناوِئ كثيرا.

✓ **قصديّتها:** الالتزامات الّتي يقطعها المتكلِّم أو الكاتب على نفسه أمام مخاطَبه خلال النّقاش النّقدي، تتمحوَر حول الأدوار التّالية:

- يلتزم بقبوله لوجهة نظر أو رفضها.
- يلتزم بقبوله اعتراض مخاطَبه على دفاعه عن وجهة نظره.
- يلتزم بقرار الشّروع في النّقاش النّقديّ.
- يوافق على لعب أحد الدّورين؛ إمّا مناصرا وإمّا مناوِئا.
- يوافق على قبول الحِجاج أو رفضه.
- يكون لديه استعداد البدء في نقاش جديد متى كان ذلك واردا.
- أن يوافق على قواعد النّقاش المتّفق عليها، ويحترمها إلى نهاية الحِجاج؛ وهذا الفعل التّعهّديّ الأخير لا يمكن إنجازها إلاّ بموافقة الطّرفين معا.

4- الأفعال الكلاميّة التّعبيريّة (التّعبيريّات expressives): وهي أفعال كلاميّة يعبِّر بها المتكلِّم أو الكاتب عمّا يختلج في نفسه من أحاسيس وعواطف.

✓ **نموذجها النّمطيّ:** أن يعبِّر المتكلِّم أو الكاتب بالأساليب الإنشائيّة نحو: التّمنّي، التّهنِئة، التّأسّف، الفرح، التّعزية، السّأم، السّخط.

✓ **قصديّتها:** يكون لها دوران اثنان: أثر إيجابيّ عندما يستخدم المتكلِّم عبارات تحفِّز المخاطَب على السّير قُدُما نحو الحلّ، وأثر سلبيّ يظهر على عبارات التّأسّف أو التذمّر من موضوع النّقاش، وهي تُعطِّل سيرورة النّقاش النّقديّ، لأنّه لا يفضي إلى حلّ.

5- الأفعال الكلاميّة التّصريحيّة (التّصريحيّات déclaratives**):** وهي أفعال كلاميّة يأتيها المتكلِّم أو الكاتب، يستدعي بواسطتها وضعيّة مخصوصة.

✓ **نموذجها النّمطيّ:** يوافقها "**الإعلان**" بشرط أن يتمّ في الظّروف الصّحيحة، فيخلق واقعا معيَّنا، ومن أمثلتها: الإعلان عن افتتاح الجلسة أو رفعها من قبل مدير أو رئيس في اجتماع رسميّ داخل المؤسّسة، وطرد العامل من قِبَل ربّ العمل قائلا:"أنت مطرود"؛ فهذه التّصريحات لا تصف الواقع الموجود أو تخلقه فحسب، بل تتجاوزه إلى أن تمنحه شرعيّة الوجود لهذا الوضع، وترتبط التّصريحيّات (declaratives) بالمؤسّسات الرّسميّة عموما.

✓ **قصديّتها:** إنّ ارتباط انجازيّتها بالمؤسّسة الرّسميّة، يجعلها تعتمد على السّلطة؛ والسّلطة قد تؤدّي دورا سلبيّا إن قصد المتكلِّم أو الكاتب إلى استخدامها استخداما تسلُّطيّا وقهريّا لمحاصرة مخاطَبه، ومصادرة حقّه في الرّدّ أو النّقاش أو المُحاجَجة أو النّقض أو النّقد...إلخ؛ فاستغلال النّفوذ أو السّلطة في نقاش نقديّ يؤدّي إلى ترسيخ الخلاف واستمراريّته.

✓ **أدواتها:** تقتضي سياقات مؤسّسيّة رسميّة مخصوصة لإنجازها، ومتكلِّما مخصوصا، وتتجلّى في العبارات اللّفظية الّتي تقال في: اللّقاءات الرّسميّة، الاجتماعات، المراسيم الدّينيّة والوطنيّة، استقبال الوفود، تدشين انطلاق المشاريع الحكوميّة، افتتاح السّنة الجامعيّة...إلخ.

وتتفرّع من التّصريحيّات ما يسمّيه **فان إيمرين وروب غروتندورست** بـ تصريحيّات العادة؛ وهي أفعال كلاميّة تصريحيّة إلاّ أنّها لا ترتبط بالسّياق الرّسميّ المؤسّسيّ، وتتمثّل قصديّتها في أن يأتي المتكلِّم أو الكاتب بـ: تعريفات، تخصيصات، إفاضات، اسهابات، تفسيرات، شروحات، توسيعات، تأويلات، تسهيلات لفهم أفعال كلاميّة أخرى وتوضيحها أكثر لدى المتلقي...إلخ، وينجزها المتكلِّم أو الكاتب في نقاش نقديّ لكي يبيّن كيف يجب تأويل فعل كلاميّ أو أفعال كلاميّة أخرى واردة في نقاش نقديّ.

وتظهر قصديّة "تصريحيّات العادة" في كلّ مرحلة من مراحل سيرورة النّقاش؛ ففي:

- **المواجهة:** قد تقصِد إلى كشف خلاف زائف في الرّأي.
- **الافتتاح:** قد توضِّح قاعدة نقاشٍ أو جزءا مبهَما من مقدّمة.
- **المُحاجَجة:** قد يفضَح القبول المُسبَق لحُجَّة ما أو يرفضها.
- **الاختتام:** قد تُجنِّبُنا الوصول إلى حلّ خادع؛ فهي أداة نافعة، تمنع ظهور خطوات النّقاش غير الضّروريّة أو غير المُبرَّرة أو الضّارة للسّيرورة الحِجاجيّة.

ثامناً- جدول الخطوات الجدليّة والتّداوليّة لحلّ الخلاف في نقاش نقديّ[1]:

مراحل تداوليّة / مراحل جدليّة	توزيع الأفعال الكلاميّة	ودروها في حلّ الخلاف
	توزيعها	دورها
المُواجَهة	- الإقراريّات assertives - التّعهُّديّات أو الالتزاميّات - التّوجيهيّات - تصريحيّات عادةٍ	- التّعبير عن وجهة النّظر. - قبول أو عدم قبول وجهة نظر؛ تأييد عدم قبول وجهة نظر. - التماس تصريحيّ عادةٍ. - تعريف، تخصيص، توسيع...إلخ

[1]-نظريّة نسقيّة في الحِجاج، فان إيمرين وروب غروتندورست، مرجع سابق ، ص87، 88.

الافتتاح	- التّوجيهيّات - التّعهُّديّات	- تحدّي الدّفاع عن وجهة النّظر. - قبول تحدّي الدّفاع عن وجهة نظر. - الاتّفاق على المقدّمات وقواعد النّقاش. - اتّخاذ قرار الشّروع في النّقاش.
	- التّوجيهيّات - تصريحيّات عادةٍ	- التماس تصريحيّ عادةٍ. - تعريف، تخصيص، توسيع..إلخ.
المُحاجَجة	- التّوجيهيّات - الإقراريّات - التّعهُّديّات - التّوجيهيّات - تصريحيّات عادةٍ	- التماس الحِجاج. - التّقدّم بالحِجاج. - قبول أو عدم قبول الحِجاج. - التماس تصريحيّ عادةٍ. - تعريف، تخصيص، توسيع..إلخ.
الاختتام	- تعهّديّات - الإقراريّات - التّوجيهيّات - تصريحيّات عادةٍ	- قبول أو عدم قبول وجهة نظر. - تأييد وجهة نظر أو سحبها. - إقامة نتيجة النّقاش. - التماس تصريحيّ عادةٍ. - تعريف، تخصيص، توسيع..إلخ.

1- النّموذج التّداوليّ-الجدليّ (pragma-dialectique):

وروّاد هذا الاتّجاه التّداوليّ جماعة أمستردام (**فان إيميرن** Frans Hans Van Eemeren **وروب غروتندورست** Rob Grootendorst)، ويقترح هذا الاتّجاه نموذجا قواعديّا للحوارات والمناظرات الحِجاجيّة المعقلنة، وقد أطلقوا مصطلح التّداوليات-الجدليّة على: **نظريّة الحِجاج كسيرورة لحلّ النّزاعات.**

يرمي نموذج المدرسة الهولنديّة إلى تطوير مقاربة نسقيّة للنّظريّة التّداوليّة-الجدليّة (pragma-dialectique) لتحليل الخِطاب الحجاجيّ، وتعتمد على نموذج مثاليّ للنّقاش النّقدي بهدف حلّ الخلافات في الرّأي وفق معايير موضوعيّة معقولة، تتوسّل الخِطاب الحجاجيّ

المُعقلَن، وقد وضعت المدرسة الهولنديّة مشروعا فلسفيّا ونظريّا وعمليّا لدرس الواقع الحجاجيّ عبر مصنّفات باللّغة الانجليزيّة، وهي[1]:

-الأفعال الكلاميّة في النّقاشات الحِجاجيّة(1984): ألّفه **فان إيمرن** رفقة زميله **روب غروتندورست** عام 1984م، عرَضا فيه الأسس النّظريّة للجدل الذّريعيّ والأسس الميتا-نظريّة (التّداوليّة) للمقاربة التّداوليّة-الجدليّة.

-الحِجاج، التّواصل والمغالطات(1992): بسطا في هذا الكتاب أدوات تحليليّة وتقويميّة للخطاب الحِجاجيّ من خلال ضبط "قواعد للنّقاش النّقديّ/مدوَّنة السّلوك"، يلتزم بها المتحاجّون لحلّ الخلافات في الرّأي بشكل معقول ومقبول.

-إعادة بناء الخطاب الحِجاجيّ (1993): تضمّن هذا الكتاب المنهج الجدليّ للتّحليل بوصفه "إعادة بناء" نسقيّ وتقويميّ، واستعانا بأمثلة تطبيقيّة من الخطابات الحجاجيّة اليوميّة.

-نظريّة نسقيّة في الحِجاج(2004): يَعُدُّ **فان إيمرن** هذا الكتاب بمثابة الصّيغة النّهائيّة للمقاربة الذّريعيّة-الجدليّة للخطاب الحِجاجيّ، تضمّن رؤى حول المعقوليّة في الحِجاج والتّحاجج وفق نموذج تداوليّ-جدليّ لنقاش نقديّ، يرسم خطاطات تحليليّة كإعادة بناء وإنتاج لوجهات النّظر، واستبعاد المغالطات الّتي تخرق قواعد النّقاش الموضوعيّ والمعقول، إلى جانب مدوّنة السّلوكات الّتي يلتزم بها المناقشون المعقولون، وهذه المقاربة التّداوليّة-الجدليّة: برنامج تحليليّ ومعياريّ وتقويميّ ونقديّ، يحيط بالخطاب الحِجاجيّ من جوانب مختلفة، فيما يُطلق عليه **فان إيمرن "المناورة الستراتيجيّة"** في كتابه المعنون بـ**"المناورة الستراتيجيّة في الخطاب الحِجاجيّ"** (2010)؛ وهذا المصطلح يراد من خلاله إحداث التّوازن بين التّأثير البلاغيّ مع الحفاظ على المعقوليّة الجدليّة.

[1]-نظرية نسقية في الحجاج، فان إيمرن و روب غروتندورست، مرجع سابق، مقدمة فان إيمرن للترجمة العربيّة، أمستردام، 7 فبراير 2015.

2- النّموذج التّداوليّ-الجدليّ للحجاج عند روب غروتندورست وفرانز هانز فان ايمرين:

حسبهما فـ:" الحجاج نشاط **كلاميّ** و **اجتماعيّ** و**عقليّ** الغرض منه إقناع ناقد معقول (reasonable critic) بمقبولية وجهة النظر (stand point) عن طريق تقديم كوكبة من القضايا المبرِّرة أو المفنِّدة للقضية المعبَّر عنها في وجهة النظر"[1]. ويندرج هذا التعريف في إطار التّحليل اللّسانيّ الّذي يقدّم وصف الإجراءات اللّسانيّة، وينتهي بالمعايير التي تسمح بتقويم مدى نجاعة(validité)الحجج: الوصف كتداوليّة للخطاب الحِجاجيّ، وكمعياريّة للمناقشة النقديّة القريبة من التّفكير النقديّ الأمريكي(americain critical thinking)[2].

يضع هذا التّعريف لأول وهلة حدودا تقنيّة فاصلة، تميّز الحجاج التقنيّ من الحجاج العاديّ كجملة الخِطاطات التي يتوسّلها المُحاجِج لإقناع المتلقّي أثناء المحادثات اليوميّة العادية، وأمّا المفهوم التّقني للحجاج فيضع أمامنا القيود الآتية[3]:

-الحجاج **تعاقديّ وتشارطيّ** بين المتحاورين المتخالفين في وجهات النّظر.

-الحجاج **مُنجَز لسانيّ** يتمُّ باستعمال اللّغة كي يتحقّق، وقد يكون غير لفظيّ أيضا (ميتا-لساني).

-الحجاج **نشاط اجتماعيّ** بطبيعته؛ فهو يصنعه فرد مع الآخرين، وحتّى الحجاج الأحاديّ (المونولوج) طبيعته اجتماعيّة لأنّنا نستعمله في التّحدث مع الذّات بوسائل اجتماعيّة ومنها: **اللّغة**.

---

[1]-نظرية نسقية في الحجاج، فان ايمرين وروب غروتندورست، مرجع سابق، ص11. وانظر

-l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p30.

[2] -voir: ibid, p30.

[3]-نظرية نسقية في الحجاج، فان ايمرين وروب غروتندورست، مرجع سابق، ص11 ومابعدها.

-الحجاج **نشاط عقليّ**؛ يرتكز على اعتبارات فكريّة ومنطقيّة واستدلالات وقياسات واستنتاجات وبرهنات وحسابات، وهذا لا يعني أن العواطف لا دور لها في الفعل الحجاجيّ، نستعملها كحجج أحيانا قصد التغليط أو التصويب(الخطأ والصواب).

-الحجاج **رؤية**؛ يرتبط بوجهة نظر (منطلق/فرضية) معيّنة، يدافع عنها المحاجج بحجاجه أمام متلقي شاك، ناقد، مخالف، له وجهات نظر مختلفة.

-الحجاج **فعل قصديّ**؛ يرمي إلى إقناع المتلقي بمقبوليّة وجهة النّظر(منطلقات) المُحاجِج.

-الحجاج **فعل تبريريٌّ**؛ يراد به تبرير وجهة النّظر(المنطلق، القضية، الدّعوى، المقترَح) حين يكون ايجابيّا نحو الإثبات: الحال أنَّ....، وقد يرمي إلى تفنيد تلك الوجهة حين يكون سلبيّا نحو: النّفي : ليس الحال أنَّ...

-الحجاج **فعل إلتزاميٌّ وإلزاميّ**؛ يُلزِم المُحاجِج تركيب حججه وتجنيدها واللّجوء إلى **المعقوليّة والمقبوليّة** لإقناع متلقيه الّذي سيتصرّف إزاء مُحاجِجِه كما لو كان ناقدا متمرِّسا؛ فمن اللاّزم بذل مجهود ليتقدَّم الحجاج وينمو.

-الحجاج **نتاج شفويّ** (خطاب) **وتحريريّ** (نصّ) أيضا، ولا يمكننا أن نعتبر العبارات اللّفظية ذات طبيعة حجاجيّة مطلقا إلاّ إذا ارتبطت بوجهة نظر، تعبّر عن موقف إيجابيّ أو سلبيّ إزاء مقترح؛ يترتّب على هذا أنَّ: المُحاجِج يضع نفسه أمام اعتراض الرّأي المخالف (وجهة نظر مضادّة).

-الحجاج **فعل نصّيٌّ**؛ ولا يكون نصّيا إلاّ إذا تساندت سلسلة من الأقوال والعبارات اللّفظيّة لصالح نتيجة ما، تبريرا أو تفنيدا، نفيا أو إثباتا لها.

-الحجاج **فعل تداوليٌّ**؛ يتأسّس على مقدّمة تكون هي منطلق الاستدلال الحجاجيّ، وتظلّ حاضرة طوال النّمو الحجاجيّ للنصّ أو الخطاب، بشكل ضمنيّ أو صريح؛ ولهذا

فالتّحليل المنطقيّ الصّوريّ الّذي يعتمد على السلامة المنطقيّة غير كاف، ممّا يدفعنا إلى إدراج المعطيات السياقيّة والخلفيّات المعرفيّة والثقافيّة المُضمَرة في التّحليل.

-الحجاج **فعل بسيط ومركّب**؛ بسيط حين يتكوّن من سبب واحد ويرِد لصالح وجهة نظر أو نقدها، ويكون مُتعدِّدا حين يتشكل في بنية حجاجيّة نصّية معقدة، وهو ما ندعوه بـ "**الحجاج المُتعدِّد**"، ومن أمثلته: الحجاج المعطوف على بعضه، سلسة الأسباب المتساندة (الحجاج الإدماجيّ)، ولا يقف تعقيد الحجاج في البنية اللّفظيّة فحسب، بل يتعدّاها إلى المعطيات السّياقيّة والتّداوليّة في عمومها.

-الحجاج **فعل مغالِطيّ**؛ هو خطوة في نقاش خاطيء ضمن سياق تواصليّ وتفاعليّ ينبغي أخذه في الحسبان أثناء التّحليل التّداولي للحجاج.

3- نموذج النّقاش النّقدي (الحِجاجيّ): نذكّر القارئ أنّ المدرسة الهولنديّة تطرح الحِجاج كحوار للنّقاش النّقديّ، الغرض منه **حلّ الخلاف في الرّأي**، وترجع أصول هذا التّصوّر للنّقاش النّقديّ المعقول، وصياغته في إطار تداوليّ-جدليّ إلى مرجعيّات: **جدليّة صوريّة**؛ تمثّلت في أعمال الثّنائيّ إلس بارت (Else Barth) وإيريك كراب (Erik Krabbe)، وخصوصا في كتابهما "**من المصادرة إلى الحوار** from axiom to dialogue، 1982"، أين طرحا إجراءات صوريّة، تحدِّد قابليّة أطروحة معيّنة للدِّفاع عنها، والأطروحة باعتبارها حوارا بين مناصر ومناوِئ. **عقلانيّة نقديّة**؛ استلهمت أعمال الفيلسوف كارل بوبر(1972- 1974). **تداوليّة**؛ ولا سيّما نظريّة الأفعال الكلاميّة لـ جون أوستين(1969) وجون سيرل(1969-1979)، وتداوليّة بول غرايس(Paul Grice) للحوارات والتّبادلات اللّفظيّة العقلانيّة(1975-1989).[1]

[1]-نظريّة نسقيّة في الحِجاج، مقاربة ذريعيّة-جدليّة، فان إيمرن وروب غروتندورست، مرجع سابق، ص69، 70.

وتبحث التّداوليّات-الجدليّة في وضع أنموذج مثاليّ انطلاقا من النّصوص الحِجاجيّة الملموسة الّتي تستهدف الموافقة، وقد لا تكون موصوفة فحسب، بل مقوَّمة أيضا، فاستبعدت مفاهيم الحِجاج الّتي: بدلا من أن تفرض أثناء المناقشة غاية توافقيّة، تقبل أن ترى مساحة من النّزاعات غير المحلولة، ومجادلات حول وضعيّات غير متجانسة غالبا، أو خلافات خصبة، وفي الوقت نفسه تركّز على السّيرورة الموجّهة بحتميّة الحلّ، وبذلك ترمي إلى تيسير الحوار العقلي الهادف إلى حلّ النِّزاعات بإصدار سلسلة من القواعد، تتعلّق بأخلاق حقيقيّة للتّبادل الحِجاجيّ المؤسَّس على معايير تداوليّة وجدليّة، يجب أن يكون خرقها باطلا، القواعد التي تخطّط أدبيّات المناقشة النّقديّة، مستلهَمة من مبادئ التّعاون لـ بول غرايس[1]. ومن بين "القواعد العشرة (dix commandements) للمناقشة كسيرورة للحل: يجب أن تمتنع عن منع الشّريك من عرض رأيه"[2]، وبناء على القواعد المقترحة فـ" كلّ خرق لهذه القواعد يشكّل مغالطة، ومحدّد أيضا بالمصطلحات المنطقيّة نخرق لمعايير المناقشة النّقديّة، وفي ذلك فالتّداوليّة-الجدليّة معياريّة"[3].

وننطلق من هذا الشّكل لإبراز عوامل ومراحل النّقاش النّقدي كما يلي:

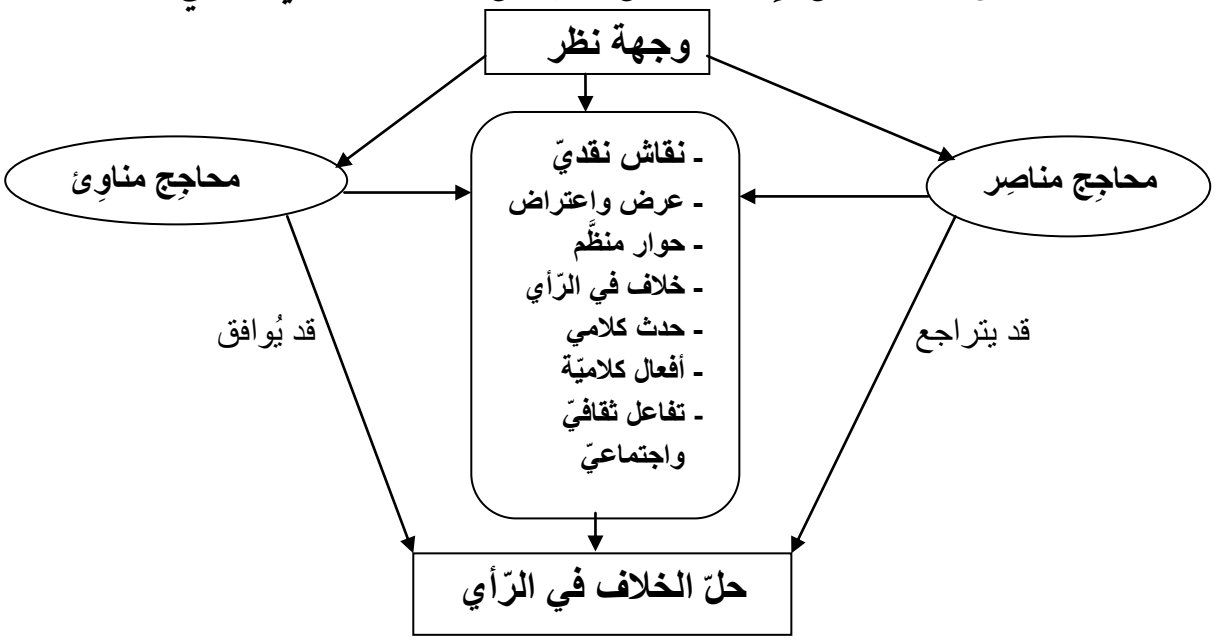

[1]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, p31.

[2]-voir: -ibid, p31

[3]-voir: -ibid, p31.

يُبرِز هذا المخطّط النّموذج المعيار للنّقاش النّقديّ، ويمكن تفسير معطياته من جانبين اثنين[1]:

أ- **جدليّ:** المقاربة الجدليّة تركّز اهتمامها في الوعيّ النّقديّ والتقيّيميّ لـ **وجهة النّظر** وتقويمها، ومدى وجاهتها؛ أي متى ترقى إلى مستوى الأطروحة الّتي يمكن الدّفاع عنها كلّما اعترضها شكٌّ أو نقدٌ أو نقضٌ؛ فالمتحاجّان المتنازعان يرافعان لصالح مقبوليّة الحلّ المقدَّم ودرجة معقوليّته، يتوسّلان حوارا منظَّما وتبادلا نسقيّا للأفكار ونقاشا نقديّا، والهدف الّذي ينتهي إليه الحِجاج بينهما هو: **حلّ الخلاف القائم في الرّأي**، وليس هو: الإذعان والاستمالة والتّطويع (شايم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا)؛ فإذا كان متلقي الخطاب الحِجاجي -حسب بيرلمان- متلقيّا سلبيّا، لا يشارك في بناء الحِجاج ولا يأخذه المتكلّم في الحسبان، فإنّ متلقي الخطاب الحِجاجيّ -كما يتصوّره فان إيمرن وروب غروتندورست- هو متلقي إيجابي، متمرّس وناقد، ومشارك في صناعة الخطاب الحِجاجيّ من أوّله إلى آخره؛ فالمتلقي -إذن- مكوّن أساس من مكوّنات بناء الحِجاج وسيرورته، يُدرِجه المتكلِّم ضمن مهمّته.

ب-**تداوليّ:** المتحاجّان المتنازعان يُنجزان الحِجاج كحدث كلاميّ (شكل مخصوص)، وأفعال كلاميّة مخصوصة وفق ترتيب نسقيّ معيّن، يجري في سياق ثقافيّ واجتماعيّ، تاريخيّ وتداوليّ.

ومن هنا تُدمِج المقاربة الذّريعيّة-الجدليّة التّصوّرين معا، وتُحلِّل الوقائع الحِجاجيّة بإجراءات جدليّة وأخرى تداوليّة، ونُوجِزها في التّرسيمة التّالية (**شكل2**):

[1]-نظريّة نسقيّة في الحِجاج ، مقاربة ذريعيّة-جدليّة، فان إيمرن وروب غروتندورست، مرجع سابق، ص70، 71.

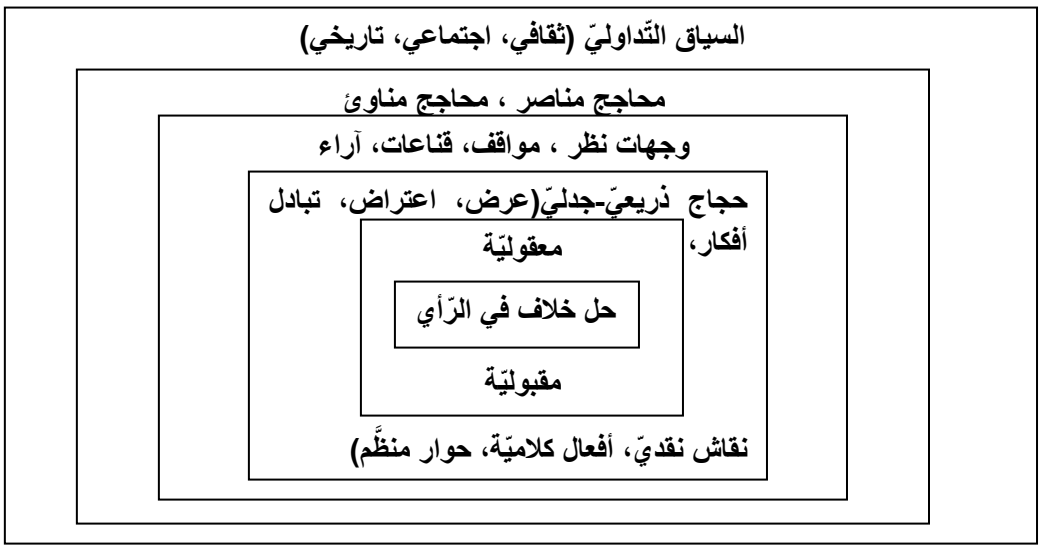

4- مبادئ ميتا-نظريّة للمقاربة الذّريعيّة-الجدليّة: يذكر **فان إيمرن** أربعة مبادئ ميتا-نظريّة للمنهجيّة الذّريعيّة-الجدليّة في دراسة الحِجاج ووصفه ومَعْيَرَتِه، وهي[1]:

أ- التّوظيف (functionalizing)**:** أي دراسة كلّ نشاط لغويّ كـ **فعل قصديّ** (التّغريض أو القصديّة)، ويُنظر إلى العبارات اللّفظيّة بوصفها أفعالا كلاميّة، وتحليل هذه الأخيرة يبيّن ردّ المُحاجِج على التّعارض في إنجاز الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ المُركَّب، الصّريح والضِّمنيّ، ويحدِّد المقاصد التّواصليّة والتّفاعليّة في سيرها نحو **حلّ الخلاف في الرّأي**؛ ويتأتّى هذا بوعي المواقف المعبَّر عنها فعلا -صراحة أو ضمنا- في الأفعال الكلاميّة داخل الملفوظ (الخطاب أو النَّصّ) كما تظهر في التَّعهُّدات الّتي يلتزم بها المُتحاجّون إزاء غيرهم.

ب- الإخراج (externalizing)**:** تستهدِف المقاربة الذّريعيّة-الجدليّة التّعهُّدات العموميّة الّتي يتطلّبها إنجاز أنشطة لغويّة مخصوصة، ويتمّ استقصاء تلك التّعهُّدات بالنّظر إلى الالتزامات المترتّبة عن الأفعال الكلاميّة الصّريحة أوالضِّمنيّة في سياق معيَّن من الحِجاج، نحو: ألفاظ "**قبِل**" و"**عارَض**"؛ فهذان الفعلان الكلاميّان حين يُنجِزُهما متكلِّم مُحاجِج فإنّه لا يعبِّر عن حالة ذهنيّة أو نفسيّة مجانيّة فحسب، بل يُعلن عن تعهُّداته العموميّة إزاء خلاف في الرّأي،

[1]-نظريّة نسقيّة في الحِجاج، مقاربة ذريعيّة-جدليّة، فان إيمرن وروب غروتندورست، مرجع سابق، ص72 ومابعدها.

وفعل "**القبول**" يتجلّى إخراجه في الملفوظ (الخطاب أو النّصّ) كتعهُّد إيجابيّ، يعبِّر عن المقبوليّة لدى المتكلِّم لوجهة النّظر المطروحة للنّقاش، و"**عدم الاتّفاق**" يُخرَج في الملفوظ (الخطاب أو النّصّ) حين يسير صوتان لمتكلِّمين متنازعين، يعبِّران عن تعهُّداتهما إزاء فعلين كلاميّين متعارضين، وأمّا إخراج حالة "**كون المتكلِّم مقتنعا**" في الملفوظ (الخطاب أو النّصّ) يكون بالتّعبير عن تعهُّد إيجابيّ بفعل كلاميّ لشخصٍ كان معترضا في البدء لهذا الفعل الكلاميّ الّذي قبله في آخر النّقاش النّقديّ؛ وهذا ما يؤدّي إلى **حل الخلاف في الرّأي**.

جـ- **إضفاء البعد الاجتماعيّ** (socializing)**:** ونعني به ربط التَّعهُّدات بالتّفاعل بين المتحاوِرين من خلال تبادل أفعال كلاميّة مخصوصة في سياق اجتماعيّ مخصوص، وتركيز الاهتمام على الدّور الذّي يؤدّيه كلّ محاجِج أثناء التّواصل وتبادل الآراء وإنجاز الأفعال الكلاميّة والتّفاعل لـ **حلّ الخلاف في الرّأي**، وعلاقة كلّ دور بالمواقف ووجهات النّظر، ومدى التزام كلّ محاجِج بأفعاله الكلاميّة المُعبَّر عنها في تعهُّداته إزاء الأفعال الكلاميّة الصادرة عن معارِضه/معارضِيه.

د- **التّجديل** (dialectifing): نقصد به أنّ: الأنشطة اللّغويّة هي جزء من سيرورة حلّ خلاف في الرّأي حسب ما تقتضيه المعايير النّقديّة للمعقوليّة؛ فاستثمار هذا المفهوم يُوصِلنا إلى أن نعتبر الأفعال الكلاميّة المنجَزَة في التّحاجُج، تجري وفق نسق قواعديّ يفرضها النّقاش النّقديّ لغرض حلّ الخلاف في الرّأي؛ أي النّظر إلى الحِجاج كـ **سيرورة مرحليّة**، ترافقها أفعال كلاميّة مخصوصة في مرحلة مخصوصة، بصورة جدليّة، ومرتَّبة ترتيبا نسقيّا.

5- المراحل الجدليّة في سيرورة حل خلاف في الرّأي:

وضع **فان إيمرن** و **روب غروتندورست** نموذجا للنِّقاش النّقديّ من حيث هو سيرورة لحلّ الخلاف في الرّأي، وفق جانبين مهمّين للاستعمال الحِجاجيّ للّغة، وهما: الأول جدليّ والثاني تداوليّ، ويتكوّن من مراحل أربعة وهي: **المواجهة، الافتتاح، المُحاجَجة والاختتام**، وكلّ مرحلة تقتضي أفعالا كلاميّة مخصوصة، ومن شروط حلّ الخلاف: أن يتوصّل الطرفان إلى اتّفاق وقبول وجهات النّظر، والاقتناع باستدلال أحدهما، بالإضافة إلى تراجع أحد المُحاجِجين عن وجهة نظره بسبب تهاوي حُجَجِه أمام النّقاش النّقديّ[1]، يقول **فان إيمرين**:" إنّ حلّ خلاف في الرّأي بهذه الوجه أو ذاك، بموافقة متبادلة، أو بإجراء تصويت، مثلا، أو بتدخّل طرف خارجيّ يقوم بدور القاضي أو الحَكَم، فإنّ التّوصّل إلى تسوية لا يعني أنّ الخلاف في الرّأي قد حُلّ فعلا، فالخلاف في الرّأي لا يُحلّ إلاّ إذا تمّ بلوغ اتّفاق مشترك بصدد مقبوليّة وجهات النّظر المطروحة بناء على تبادل مضبوط مُضعِف للحُجج وللنّقد"[2]، ونضع المخطط التّاليّ لسيرورة حلّ الخلاف في الرّأي:

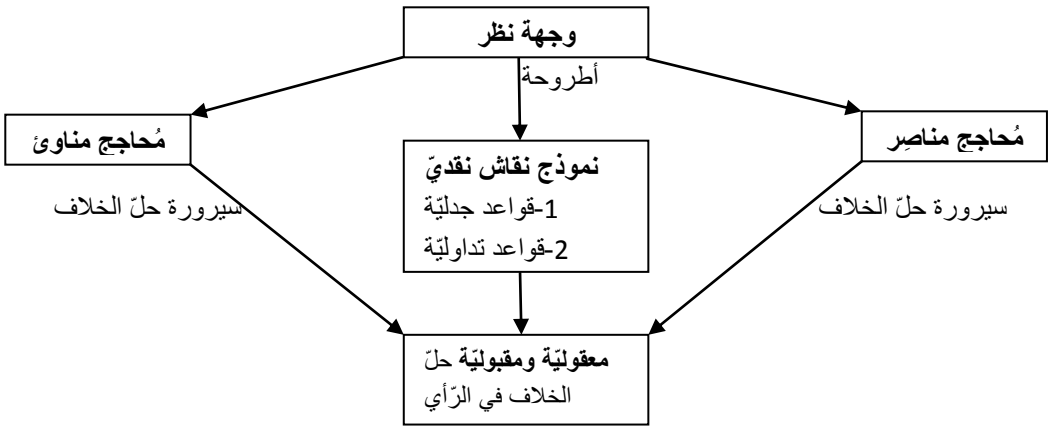

تنطلق النّظريّة الحِجاجيّة التّداوليّة-الجدليّة من فرضيّة مفادها أنّ: الاستعمال الحِجاجيّ للّغة، هو جزء لا يتجزّأ من تبادل الآراء بين المتنازعين، أحدهما: مناصِر والآخَر مناوِئ،

[1]-نظريّة نسقيّة في الحِجاج، فان إيمرين وروب غروتندورست، مرجع سابق ، ص77.
[2]-المرجع نفسه، ص77، 78.

ولهما وجهة نظر مختلفة حول موضوع ما، ومن الأهمّية بمكان التّأكيد هنا أنّ: النّصوص الّتي يكتبها الكتّاب دون أن يكون مناوِئ مباشر، بحيث يُنتَج النّصّ أو الخطاب كحوار يتمّ فيه بناء النّقاش النّقديّ لطرفين متخاصِمين، هي نصوص -يعتبرها **فان إيمرين وروب غروتندورست**- حِجاجيّة، "وإن اتّخذ تبادل الآراء شكل مونولوغ، وهنا يُعتَبَر المونولوغ نوعا خاصّا من النّقاش النّقديّ حيث يتكلّم (أو يكتب) المناصِر لوجهة النّظر، ويبقى الدّور الّذي يقوم به المناوِئ ضمنيّا، حتّى وإن لم يكن دور المناوِئ مُنجَزا بفعاليّة وبشكل صريح، فإنّ خطاب المناصِر يمكن تحليله رغم ذلك بوصفه مساهمة في نقاش نقديّ: المناصِر يقوم بمحاوَلة التّصدّي للتّشكيك أو النّقد (الكامن) عند متلقّين أو قرّاء مخصوصين أو غير مخصوصين"[1].

ويحصر **فان إيمرين وروب غروتندورست** المراحل الجدليّة في أربع مراحل، وهي[2]:

1-مرحلة المواجَهة(confirmatoin): وهي أوّل مرحلة من مراحل النّقاش النّقديّ، وتتبيَّنها في وجهة نظر غير مقبولة أو مشكوكة أو عرضة للتّكذيب والنّقض، ويترتّب على هذا خلاف في الرّأي، قد يكون بسيطا أو مركَّبا (متعدِّدا)؛ فقد يحتاج خلاف معيَّن إلى أكثر من وجهة نظر، بالإضافة إلى أنّ التّعبير عن الخلاف في الرّأي مع مناوِئ، يكون صريحا ومباشرا وقد يكون ضمنيّا وغير مباشر، وحين لا يتمثَّل المحلِّل الخلاف في الرّأي، وخصوصا الضّمنيّ منه، لا يقوم وعيٌّ تحليليٌّ لنقاش نقديّ ولا تبادلٍ حِجاجيّ ولا مواجَهة مفترَضة بين طرفين متنازِعين.

[1]-نظريّة نسقيّة في الحِجاج، فان إيمرين وروب غروتندورست، مرجع سابق، ص79.
[2]-المرجع نفسه، ص 79، 81.

2- مرحلة الافتتاح(ouverture): بعد تحديد وجهات النّظر والخلاف حول موضوع ما، تأتي مرحلة افتتاح النّقاش النّقديّ، حيث يلجأ الطرفان إلى البحث -خلالها- عن النّقاط المشترَكة بينهما نحو:(شكل النّقاش، الخلفيّات الثقافيّة والمعرفيّة، المنظومة القيميّة،...إلخ)، الاتّفاق على إجراء نقاش نقديّ مثمِر، نقطة انطلاق مشترَكة، **اتّخاذ الدّور**: إمّا مناصِر يتعهَّد بالتزام الدِّفاع عن وجهة نظره، وإمّا مناوِئ يتعهّد بالتزام الرّدّ النّقديّ والدِّفاع عن رأيه، وعادةً ما تكون مرحلة الافتتاح ضمنيَّة، ونعرفها من خلال افتراض وجود أرضيّة افتتاحيّة مشترَكة، يتّفق عليها المتحاجِجان.

3- مرحلة المُحاجَجة(argumentative): بعد مرحلة الافتتاح، تأتي مرحلة المُحاجَجة الّتي تعني تقديم الحُجَج، يقدِّم المناصِر حُجَجه الدَّاعِمة لوجهة نظره، ومتماسِكة بصورة نسقيّة مفترِضا مناوئا شاكّا وناقدا، معترِضا ومُفنِّدا، ومخطِّئا للحِجاج المقدَّم إليه أو لأجزاء منه، فإذا اعترَض المناوِئ على مقبوليّة الحُجج المساندة لوجهة نظر المناصِر، فإنّ هذا الأخير يحتفظ بحقّ الرّدّ، وإنشاء بنية حِجاجيّة أخرى إلى أن يقتنع المُناوِئ ويوافق، أو يتراجع المُناصِر عن وجهة نظره بسبب أنّ: حُجَجه لا تصمد أمام النّقد، وهكذا يتقدّم الخطاب الحِجاجيّ ويتوالد بفعل الحُجج المُهاجِمة تارة والمُدافِعة تارة أخرى، فنقول بذلك: نحن في نقاش نقديّ إذا وفقط إذا قمنا بنشاطين، وهما: تقديم الحِجاج ونقده.

4- مرحلة الاختتام(conclusion): تتميَّز هذه المرحلة الأخيرة باعتبارها خاتمة الحِجاج بأنّها مرحلة: النّقاش النّقديّ وتقيّيم النّتيجة الّتي توصّل إليها الطّرفان المتنازعان لحلّ الخلاف القائم، وهي مرحلة اتّفاق الطّرفين على كلّ مكوّن من مكوِّنات الحِجاج الموافِقة لحلّ الخلاف، فالتّبادل الحِجاجي لا ينتهي إلاّ إذا اتّفق الطّرفان، وحينها تنتهي السّيرورة الحِجاجيّة لحلّ الخلاف، فالمناصِر العارِض للحُجج يؤكّد وجهة نظره ومقبوليّتها، وتهافت شكّ المناوِئ

ووجهة نظره، فإذا قبِل أحد الطّرفين حُجج الآخر، يكون الخلاف قد حُلَّ لصالح المناصِر أو المناوِئ.

ويعتمد التّطوّر الحديث على دمج المكوّن البلاغيّ في التّداوليّات-الجدليّة، بمعنى إصلاح محاولة الإقناع بصورة عقلانيّة، بحيث تتناسق الرّغبة في النّجاعة (efficacité) البلاغيّة والهدف من إجراء مناقشة نقديّة معقولة في إطار جدليّ، إلى جانب الضّوابط السّتراتيجيّة (ajustements stratigiques)نحو: الانسجام(la conciliation)، الكناية (la métonymie)، السّؤال البلاغيّ(a question rhétorique)، التّعريض؛ أي التّصريح بعد الإبهام (la preterition)، تستطيع أن تخدم متطلبات النّجاعة دون المساس بعقلانيّة المناقشة/المجادلة (débat)، وقد بنيت مدرسة أمستردام (l'école d'Amsterdam) -في البداية- على دعامة مزدوجة: المنطق غير الشّكليّ (la logique informelle) والتّداوليّات اللّسانيّة (pragmatique linguistique)، وتسعى أيضا -في داخلها- إلى توفيق المقاربات: الجدليّة والبلاغيّة[1].

[1]-voir: -l'argumentation dans le discours, Ruth Amossy, op cit, pp31,32.

تاسعاً- الإطار التّطبيقيّ: تحليل تداوليّ-جدليّ لـ"حُجج النّبوّة" للجاحظ.

نحلّل فيما يلي فصلاً من صدر كتاب الجاحظ "**حُجَج النّبوّة**"[1] من منظور الحِجاج كفعل كلاميّ نصّيّ، يختلف عن غيره من الأفعال الكلاميّة المركّبة، كونه يرتبط بمبادئ: الإدّعاء، العرض والاعتراض، المناصَرة والمُناوَئة، ويَنشُد وراءها القبول لدى المتلقّي واقتناعه؛ فهو يتجاوز مجرَّد التّسوية إلى حلّ النّزاع القائم بين المتحاجِجين؛ ولهذا فالحوار بين الأطراف المُتحاجِجة صيغة من صيغ النّشاط النّقديّ والتّقويميّ.

وسنُدمج كافّة المفاهيم الّتي أوردناها في الإطار النّظريّ نحو: القوّة الإنجازيّة، الأفعال الكلاميّة البسيطة والمركّبة، والآثار الّتي يُخلّفها فعلُ التّحْجِية على المستويين: التّواصليّ والتّفاعليّ ورائزَيهما الّذين قدّمهما **روب غروتندورست وفان إيميرين** وشروط نجاحه، والمراحل الجدليّة والتّداوليّة اللاّزمة لبناء النّص الحِجاجيّ لدى الجاحظ والمبادئ الميتا-نظريّة لوصف الحِجاج ومَعْيَرَته، وهي أربعة: التّوظيف، الإخراج، إضفاء البعد الاجتماعي والتّجديل.

إنّ اعتمادَنا على المراحل الجدليّة الأربعة، يمنحنا معايير جدليّة لتقسيم مقتطفات من المدوَّنة المُختارة تقسيما جدليّا، ثمّ نرجع بتحليلنا إلى كلّ مرحلة، ونُعالج ما تحويه من أفعال كلاميّة بسيطة ومركّبة، تتناغم فيما بينها، وتتّجه نحو وِجهة حِجاجيّة واحدة.

ونشرع في تحليل المدوَّنة المختارة وفق الخطّة التّالية:

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3.

▪ **فصل منه في أمر الأخبار:** يبدأ من :"إنّما ذكر هذا أنّ الخبر قد يكون أصله ضعيفا ثمّ يعود قويّا..."[1] وينتهي إلى قوله:"...فعلِمنا عند ذلك أنّ حجَّتَه ستتمُّ إلى مدَّتها، وبلوغ أمر اللّه عزّ وجلّ"[2].

لكلّ نقاشٍ نقديٍّ موضوعٌ ومشكلةٌ، يتمحور عليهما الحِجاج، وموضوع هذا الفصل: الأخبار، وأمّا مشكلته فتطرح أسئلةً عدّة، وهي: ما الأخبار؟ وكيف تنطوي على الشُّبهات أو الحجج؟، وكيف تشيع الأخبار وتنتشر، وتدرُس وتختفي؟، وهل الأخبار هي حجّة في ذاتها أم أنّ ورودها-أساسا- هو الحجّة؟، وما علاقة النّاس بالأخبار؟، هل هناك إلحاحٌ إلى سماعها وروايتها وحفظها؟، وهل وراء روايتها فائدة ما؟، وماذا نجني من رواية سِيَر الأمم السّالفة والحوادث المتقادمة، وشرائع الأنبياء والمرسلين؟، وهل جملة الأخبار تستدعي الإذاعة والنّشر جيلا بعد جيلٍ؟، أم أنّ الأخبار تستدعي الكتمان مهما كانت أهميّتها؟.

وينطلق الجاحظ من مبدأ: إنّ الأخبار في ذاتها ليست حجّة لأنّها قد تكون صادقة أو كاذبة، وإنّما ورودها هو حجّة في ذاته، فما عسى الجاحظ يقول في الأخبار؟، وكيف يستثمر القول فيها ليُثبِت نبوَّة محمّد صلّى اللّه عليه وسلَّم؟.

ونقسم هذا الفصل وفق النّموذج التّداوليّ-الجدليّ إلى المراحل الأربعة الآتية:

1-مرحلة المواجَهة: تبدأ هذه المرحلة من قول الجاحظ:"إنّما ذكرتُ هذا لتعلَم أنّ الخبر قد يكون أصله ضعيفا..."[3] إلى قوله:"...وغاية التّدبير فيه، والمصلحة عليه"[4].

---

[1]- رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة،ج3، مصدر سابق، ص256.

[2]-المصدر نفسه، ص257.

[3]-نفسه، ص256.

[4]-نفسه، ص256.

يضعنا الجاحظ خلال هذه المرحلة أمام وجهة نظره بخصوص أمر الأخبار، ونتبيّنها من الدّعوى التّأسيسيّة للسّيرورة الحِجاجيّة، وشرعيّة الدّعوى ومبرّرات مواجهتها، وجعلها وضعيّة حِجاجيّة للانطلاق في هندسة الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ الكلّي والأفعال الكلاميّة البسيطة، وهي:

المستوى الجمليّ.	**-الأفعال الكلاميّة البسيطة.** تصريحيّات عادة.	1-للّذي يعتريه من الأسباب. 2-ويُحُلُّ به من الأعراض من لدن مخرَجه، إلى أن يبلغ مدَّته، ومنتهى أجله، وغاية التّدبير فيه، والمصلحة عليه.	-وإنّما ذكرت هذا لِتعْلَم أنّ الخبر قد يكون أصله ضعيفاً ثمّ يعود قويّاً، ويكون أصله قويّاً ويعود ضعيفاً.
المستوى النّصيّ.	**الفعل الكلاميّ المركّب.**	**الحِجاج.**	**الدّعوى.** الإقراريّات، التّوجيهيّات إنّما، تصريحيّات عادة(تخصيص).
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة(1، 2).	
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعواه مقبولة، والّتي هي: إنّما ذكرتُ هذا لِتَعْلَم أنّ الخبر قد يكون أصله ضعيفاً ثمّ يعود قويّاً، ويكون أصلُه قويّاً فيعود ضعيفاً.	

شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعواه:"إنّما ذكرت...ضعيفاً". 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2) كتعليل للدعوى-القضيّة:"إنّما ذكرت...ضعيفاً".
	الشّروط الالتزاميّة.	-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعوى:"إنّما ذكرت...فيعود ضعيفاً" مقبولة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2) تشكّل تعليلا مقبولا للدّعوى-القضيّة :"إنّما ذكرت...ضعيفاً".
أثر الفعل الكلامي الحجاجي.	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2)تُشكّل حِجاجاً عن الدّعوى"إنّما ذكرتُ...ضعيفاً".
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2) كتعليل للدّعوى-القضيّة "إنّما ذكرتُ...ضعيفاً".

نتعرّف من خلال هذا الجدول الّذي صنّفنا فيه العناصر التّكوينيّة لمرحلة المواجهة إلى أنّ الجاحظ يقدّم لنا وجهة نظره بخصوص ما يعتري الخبر من حالات الضّعف والقوّة، وقسّمنا وجهتَه إلى قسمين:

أ-الدّعوى: تتضمّن ثلاث أفعال كلاميّة متداخلة، وهي:

-التوجيهيّات: نذكّر القارئ بأنّ نموذج التّوجيهيّات النّمطيّ هو: الأمر والنّهي، ولكنّ هذين النّمطين غير مقبولين في سيرورة الحِجاج المقبولة والمعقولة؛ لأنّهما يعبّران عن سلطة يمارسها المتكلّم على مخاطَبه، وهذا مُضرّ بسيرورة حلّ النّزاع في الرّأي؛ ولهذا يجب أن تكون

التّوجيهيّات أحيانا ضمنيّة بوسائل لغويّة، تأمر وتنهى دون الإفصاح عن كَنهها الصَّريح؛ وقد انتبه الجاحظ إلى هذا الإلحاح التّوجيهيّ فتوسّل أداة الحصر "إنّما" ولام التّعليل"لـ تعلم"؛ فقد وجَّه محجوجَه دون أن يُصدر أمراً أو نهياً.

-**تصريحيّات عادة:** بواسطة هذا الفعل الكلاميّ، يقصد الجاحظ إلى تخصيص حالتين تعرضان للخبر، وهما: إمّا القوّة وإمّا الضَّعف، ويُصرِّح الجاحظ بأنّ ثبات حال الخبر على شكل واحد وحالة واحدة من المحال، ويقصد الجاحظ بتصريحيّات عادة إلى كشف مقدِّمة النّقاش، وحصر مخاطبه بين حالتين لا ثالث لهما.

-**الإقراريّات:** يظهر توظيف الجاحظ للفعل الإقراريّ هنا في إقراره بحالتي الخبر، وتحمل أداة التّوكيد "أنّ" مضمون الفعل الإقراريّ الصَّريح، وتُؤطِّر دعوى الجاحظ ووجهة نظره.

ب-**الحِجاج:** يتكوَّن هذا الرّكن الأساس في السّيرورة الحِجاجيّة من الحجج والأدلّة، لأنّ الإدّعاء وحده لا يكفي، فلا بدّ من إيراد الحجج الأوّليّة الّتي تكرِّس الدّعوى، وتُقرُّها ليتمكّن المتحاجِجان من المضي قُدُماً نحو حلّ الخلاف القائم، وقد جاءنا الجاحظ بعبارتين(1و2) تداوليتين، كفعلين كلاميّين بسيطين، وندعوهما بتصريحيّات عادة، وترمي مقصديّتها إلى تفسير الدّعوى، وتعليل وجهتها الحِجاجيّة.

إنّ تركيب تلك المكوّنات الأوّليّة على مستوى وجهة النّظر والدّعوى والحجج، وعلى المستوى الجمليّ والنّصيّ، تنصهر في بؤرة، نسمّيها: المكوّن النّصّي للفعل الكلاميّ الحِجاجيّ المركَّب، ويتّجه نحو وجهة حِجاجيّة هي: الإثبات المُضادّ لِما عسى أن يُضادّه.

إنّ إلقاء الجاحظ لهذا الفعل الحِجاجيّ منذ البداية، قد عبَّر عن فعل ضمنيّ غير صريح، وهو: التّعهّديّات؛ فبمجرّد التّصريح والإقرار والتّوجيه والدّفاع عن وجهة النّظر، يُعبِّر هذا النّشاط الحِجاجيّ عن تعهّد ضمنيّ للدّفاع عن الوِجهة وما يتفرّع عنها من مشكلات.

إنّ تشكيل الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ، يمرّ عبر محطّات ضروريّة حتّى تكون له قوّة إنجازيّة فعليّة مُوفَّقة، تدفع المَحجوج إلى الإقتناع، ولا يتأتّى له هذا إلاّ بتوفّر الشّروط الإنجازيّة التّالية:

1-شروط التّحديد: هل يكفي أن يدّعي الجاحظ أمراً أو رأيّاً أو موقفاً أو معتقَداً، ويقدّم له حججاً، يعبِّر عنها بفعل كلاميّ حِجاجيّ معيَّن(دعوى، حجج، أفعال كلاميّة بسيطة) دون مراعاة شروط معيَّنة؟، أم أنّ للفعل الحِجاجيّ شروطاً ينبغي أن يلتزم بها الجاحظ تجاه محجوجه وفعله الحِجاجيّ الّذي ألقاه؟.

أجل، إنّ التّداوليّات-الجدليّة تفيدنا بشروط إنجازيّة خاصّة تحكم الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ؟، وهي: **شروط التّحديد**، وتنقسم إلى قسمين، وهما: شروط المضمون القضوي والشّرط الجوهريّ.

والسّؤال الّذي نطرحه هنا: ما مدى استجابة الفعل الحِجاجيّ للجاحظ لهذين الشّرطين؟، وتُعدُّ تلك الاستجابة مرحلة مُهمَّة لنجاح الفعل الحِجاجيّ ونموّه النّصي والتّداوليّ والتّفاعليّ.

أ-شروط المضمون القضويّ: في مستوى الدّعوى(أ)، يعبِّر الجاحظ عن موقفه من الخبر بعبارة، تحمل مضموناً قضويّاً مفاده أنّ: الخبر له حالتان؛ وهذا المضمون يريد أن ينقله إلى محجوجه لِيعتقِدَه، ويقتنع به، ويتفاعل معه؛ ولذا فإنّ الجاحظ عليه أن يلتزم

بصحّة قضاياه ومقبوليّتها، ويَنشُد من ورائها المعقوليّة كي يتسنّى للمحجوج تبنّيها من بداية النِّقاش، ويتعاون معه للمضي قُدُماً نحو إثراء النّص والفعل الحِجاجيّ خصوصاً.

لقد طرح الجاحظ دعواه تلك طرحاً إشكاليّاً وجدليّاً حين أَضاف إليها مضمونين قضويّين، وهما: كون أصل الخبر يكون ضعيفاً ثمّ يصير قويّاً، وكون أصله يكون قويّاً ثمّ يصير ضعيفاً؛ وهذه المفارَقة إشكاليّة في أساسها، تدفع المحجوج إلى البحث عن الأسباب وعِلَّتها.

ب-الشّرط الجوهريّ: ما دام الجاحظ قد تبنّى موقفاً ما، وادّعى دعوى معيَّنة، فعليه أن يُنشئ حِجاجيّتَه المُناصِرة لدعواه وموقفه، وقد امتثل الجاحظ لهذا الشّرط الجوهريّ، وقدَّم(1 و2) كحُجج تُعلِّل دعواه، وتحملان مضموناً قضويّاً، يُفسِّر حالات الخبر، وهو على التّوالي:

1-كون الأسباب تعتري الخبر.

2-كون الأعراض تُحِلُّ بالخبر من أصله إلى منتهاه.

وفي (1 و2) يلتزم الجاحظ مرّةً أخرى بمدى مقبوليّة مضمونهما القضويّ وتعالُقه مع المضمون القضويّ للدّعوى(أ)؛ وهذا ما ندعوه بالتّعالق القضويّ فيما بين قضايا الفعل الحِجاجيّ؛ فالحرص على ذلك التّعالق شرطٌ من شروط نمو الحِجاج واستمراره، لأنّ المحجوج ناقد متمرِّس، ورقيبٌ لا يَفتُر.

إنّ إلحاق الجاحظ(1 و2) إلى دعواه(أ) يكشف عن محاولة يتعهَّدُ بها أمام محجوجه كي يقبل دَعواه ويتعقَّلُها ليُرافقَه نحو مناقشتها والاتّفاق على حلّ نهائيٍّ، يؤسِّسُه الطّرفان تأسيساً تداوليّا وجدليّاً وتفاعليّاً.

وعلى الرّغم من التزام الجاحظ بشروط التّحديد للقضايا المُعبَّر عنها في (1 و2) إلاّ أنّها غير كافية كي يقتنع المَحجوج بالدّعوى، كونها(1 و2) مُجمَلة وتحتاج إلى تفصيل؛ وهذا التّفصيل التزام يُلاحق الجاحظ كلّما ادّعى دعوى حتّى يقتنع محجوجُه.

2-شروط التّصحيح: إنّ التزام الجاحظ بشروط التّحديد لا يكفي لِتَمثُّل الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ؛ وعليه أن يراعي أيضا ما تدعوه التّداوليّات الجدليّة بشروط التّصحيح، وتنقسم بدورها إلى قسمين:

أ-الشّروط الإبتدائيّة: إنّ الفعل الحِجاجيّ الّذي أنشأَه الجاحظ ليس مونولوجاً أحاديَ الحوار، وإنّما هو فعلٌ يُدرِج المتلقّي كطرفٍ في صياغته؛ بل هو مكوَّن أساس من مكوِّنات هذا الفعل، بحيث أنّ الحِجاج بلا متلقٍ كلا حِجاج، كما أنّ الحِجاج بلا مَحجوجٍ ناقدٍ وشاكٍّ ومناوِئٍ كلا حِجاج؛ ولهذا فإنّ إدراج المتلقّي تترتَّب عليه شروطٌ لا بدَّ للجاحظ من اعتبارها، وهي: الشّروط الإبتدائيّة.

وتحكم هذه الشّروط علاقة الجاحظ بمن يُحاجُه على مستوى ما يدَّعيه، والقضايا الّتي يُعبِّر عنها في(1 و2) وجُملتها كتعليل للدّعوى؛ وتلك العلاقة هي علاقة عَقَديّة من أساسها؛ لأنّ الجاحظ يطرحُ دعوى وما يَسنِدها من حجج وهو مُعتَقِدٌ أنّ محجوجَه لا يقبل دعواه، فيلجأ إلى إيراد الحُجج المُساندة لها في (1 و2)؛ وهذا المُعتَقَد ضروريّ لتكوين الفعل الحِجاجيّ ونموِّه، فما الجدوى من حِجاج وراء دعوى يعتقِدُها المتلقّي المَحجوج أصلاً، فاعتقاد الخِلاف بين المتحاجِجين في الدّعوى حافزٌ قويٌّ لإخراج النّص الحِجاجيّ وإلاّ استحال تَذكرةً فحسب.

وفعلا فإنّ الجاحظ يعتقد عدم مقبوليّة مُخاطَبه تجاه دعواه، فيُقدِّم حججاً أوّليّة في (1 و2)، يستهدِف بها مخاطَبَه كي ينتقل به من حالة الرّفض للدّعوى إلى قبولها، وهذا شرطٌ إنجازيٌّ أخر ، التزمه الجاحظ لبناء فعله الحِجاجيّ.

إنّ تقديم الجاحظ لتلك الحجج في (1 و2) لن يكون له جدوى إذا كان المتلقّي لا يقبل ما ورد فيها من قضايا، ولا يقبلها جملة كتعليل لدعوى المقدّمة؛ فاعتقاد الجاحظ بأنّ محجوجه سيقبل القضايا في(1 و2) كتعليل للدّعوى شرطٌ إنجازيٌّ آخر، يكشف عن وعي الجاحظ بالعلاقة العَقَديّة في الحِجاج؛ فليس معقولا أن يُقدِّم المرء قولاً حِجاجيّاً يُرافع لدعوى ما وهو لا يَعتقِدُها أساساً، ويرمي إلى ترسيخها لدى غيره من النّاس.

ب-الشّروط الالتزاميّة: إذا كان تحقّق الشّروط الابتدائيّة للفعل الحِجاجيّ يعني علاقة الجاحظ بمحجوجه، فإنّ الشّروط الالتزاميّة تحكم علاقة الجاحظ بدعواه وحجَجِه، فادّعاء الجاحظ لدعواه(أ) يُنِمّ عن علاقة عَقديَّة بمقبوليّتها لديه وإيمانه بقضيّتها، وهذه المقبوليّة وتلك العلاقة تحكمان أيضاً علاقة الجاحظ بما قدَّمه في (1 و2) من قضايا، كما يعتقِد بأنّها تُشكّل تعليلا كافٍ لدعواه (أ)، وإلاّ انتفَت الشروطُ الإنجازيّة الضّروريّة لماهيّة الفعل الحِجاجيّ وتأسيسه.

3-أثر الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ: بعد تحليلنا للفعل الحِجاجيّ ومكوِّناته وشروط تحقُّقه، ينتهي بنا التّحليل إلى تمثيل أثرين ضروريّين، نقيس بهما مدى نجاعة الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ الّذي قدَّمه الجاحظ، وهما:

أ-الأثر التّواصليّ: لا بأس أن نذكّر القارئ بأنّ الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ يتكوَّن من طبقات ثلاث كغيره من الأفعال الكلاميّة الأخرى، وهي: البنية اللّسانيّة، المحتوى القضويّ، القوّة الإنجازيّة، وترتبط هذه الطَّبقات بمبدأ المقبوليّة اللّسانيّة والقضويّة

والتّداوليّة، وإلاّ استحال الفعل هذْراً؛ ولذا فلغة الفعل تستدعي أن تكون مشترَكة بين المتحاجِجين كي يَحصُل التّفاهم، ثمّ يفهم المَحجوج بأنّ (1 و2) تُمثّلان حِجاجاً عن الدّعوى (أ).

ويمكن أن نعبّر عن هذا الأثر التّواصليّ بتطبيق الرّائز التّواصليّ، هكذا:

-"أُحاجِجُك بهذه الكلمات (1 و2) أنّ دعواي (أ) مقبولة".

فحين يفهم المحجوج أن (1 و2) تُمثّل حِجاجاً عن دعوى الجاحظ (أ)، نقول بأنّ الفعل الحِجاجيّ لحدّ الآن أدّى وظيفة تواصليّة فحسب.

والأثر التّواصليّ شرطٌ إنجازيٌّ آخر من الشّروط التّداوليّة لتحقيق الفعل الحِجاجيّ، والتّواصل يحتاج إلى أن يُجنّد المتلقّي كافّة كفاءاته اللّسانيّة والقَضويّة والتّداوليّة والنّصيّة والحِجاجيّة والتّأويليّة وغيرها.

ب-**الأثر التّفاعليّ:** إنّ الشّروط الإنجازيّة الّتي أتينا على تحليلها، تُمهّد في عمومها لهذا الأثر الأخير الّذي يَنشُدُه كلّ محاجِج يحتجُّ، أو مدَّعٍ يُرافع؛ إذ إنّ تحقّقَه التّام يُؤشّرُ على نجاعة الفعل الحِجاجيّ، لأنّه لا يُقصَد من خلاله إلى جلب الأثر التّواصليّ فحسب، فهو وظيفة رئيسة من وظائف اللّغة وليس الحِجاج؛ ولهذا فالجاحظ يقصِد من فعله الحِجاجيّ إلى أن يقبل محجوجُه ما ورد في (1 و2) كتعليل قويّ لدعواه (أ)، وعندما يتحقّق هذا الشّرط التّفاعليّ، نقول بأنّ المَحجوج قد اقتنع برأي الجاحظ وأذعن له، وهكذا ينتهي التّحاجُج إلى حلّ النّزاع في الرّأي، والشّرط التّفاعليّ شرطٌ إنجازيٌّ آخر من الشّروط التّداوليّة لنجاح الحِجاج، وإلاّ احتاج المتحاجِجان إلى إنشاء فعلٍ حِجاجيٍّ آخر، ونعبّر عن هذا الأثر، ونتمثّل التّفاعل وفق هذا الرّائز:

-بهذا الفعل (القبول) وافَقني في دعواي.

-بهذا الفعل (القَبول) اقتَنَع بدعواي.

في هذه المرحلة الجدليّة المسمَّاة: مرحلة المواجَهة، يؤسِّس الجاحظ دعوى، ويُقدِّم لها حججاً أوّليّة تُبرِّرُها حتّى وإن تفاعَل معها المتلقّي، يُضيف الجاحظ أفعالاً حِجاجيّةً جزئيّةً، ترفع من درجتها الاستدلاليّة للمضي نحو وِجهة حِجاجيّة محدَّدة، كما سنرى في المراحل القادمة: الافتتاح والمُحاجَجة والاختتام.

02-مرحلة الإفتتاح: تبدأ من قول الجاحظ:"...فلمّا كان هذا مخوفاً، وكان غير مأمون على المتقادِم..."[1] إلى قوله:"...ويُحدِّد ما قد همَّ بالدّروس بالأنبياء والمُرسَلين عليهم السّلام أجمعين..."[2].

ويتّخذ الجاحظ خلال هذه المرحلة دورَ المناصر لوجهة نظره، وهي الدّعوى الّتي أشرنا إليها في مرحلة المواجَهة السّابقة، وهنا يبحث الجاحظ عن النّقاط المشترَكة المؤطِّرة للنّقاش النّقديّ وسيرورة حلّ النِّزاع في الرّأي، ونعرض الأفعال الكلاميّة بشأن هذه المرحلة في الجدول الموالي:

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة،ج3، المصدر نفسه، ص256.

[2]-المصدر نفسه، ص256.

المستوى الجمليّ.	-**الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات، التعهّديّات، التّوجيهيّات "لام التّعليل".	1-وضع الله تعالى لنا على رأس كلّ فَترَة علامة. 2-وعلى غاية كلّ مدّة أَمارة. 3-لِيُعيد قوَّة الخبر. 4-ويُجدِّد ما قد همَّ بالدُّروس بالأنبياء والمرسَلين عليهم السّلام أجمعين.	-فلمّا كان هذا مخوفاً، وكان غير مأمون على المتقادِم منه.
المستوى النّصيّ.	**الفعل الكلاميّ المركَّب.**	**المِحاج.**	**الدّعوى (ق).** الإقراريّات، التّوجيهيّات (فلمّا)
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-تُعبِّر عن التزام الجاحظ بصدد مقبوليّة المحتوى القضويّ للأفعال الكلاميّة (1، 2، 3، 4)، المستوى الدّلاليّ والمنطقيّ.	
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق (1، 2، 3، 4) يُعتبَر محاولة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل مَحجوجَه بأنّ دعواه مقبولة، والّتي هي:"فلمّا كان هذا مخوفاً، وكان غير مأمونٍ على المُتقادِم منه".	
شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعواه:"فلمّا كان...المتقادِم منه". 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في (1، 2، 3، 4). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا (1، 2، 3، 4)	

		كتعليل للدعوى-القضيّة:"فلمّا كان...المتقادم منه".
	الشّروط الالتزاميّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعوى:"فلمّا كان...المتقادِم منه" مقبولة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2، 3، 4) تشكّل تعليلا مقبولاً للدّعوى-القضيّة :"فلمّا كان...المتقادِم منه".
أثر الفعل الكلامي الحجاجي	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ(1، 2، 3، 4) تُشكّل حِجاجاً عن الدّعوى"فلمّا كان...المتقادِم منه".
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4) كتعليل للدّعوى-القضيّة "فلمّا كان...المتقادِم منه".

من خلال هذا الجدول نتابع مع الجاحظ دفاعَه عن وجهة نظره، الّتي صاغها في مرحلة المواجهة، حيث أجمل فيها القول التّأسيسيّ للفعل الحجاجيّ ومكوِّناته، ويفرِّع في مرحلة الافتتاح دعوى أخرى، تتفرَّع من الدّعوى الكلّية وتنمّيها، ونظراً لأهمّية الأخبار وما يعتريها من حالات كالتّقادم والدّروس، يطلق الجاحظ دعوى الخوف من تقادم الأخبار وخشية نسيانها، ويقدِّم لهذا حججاً لوجهة نظره الشّارحة، وقسَّمناها هكذا:

أ-الدّعوى: تحتوي فعلاً كلاميّاً واحداً، وهو: الإقراريّات؛ يخبر بها عن وضع الأخبار وما يترتّب عن تقادمها وضعفها وزيادتها ونقصانها، ويعبِّر محتوى هذه الدّعوى عن تعهّد الجاحظ الدّفاع عن وجهته بما يجمعه من حجج.

ب-الحِجاج: تطرح الدّعوى الفرعيّة مضموناً قضويّاً هو: كون تقادم الأخبار مخيفٌ؛ وهذه الواقعة محلّ تساؤل مُحتمَل قد يطرحه المتلقّي ومؤدّاه: ما العمل إذن؟، يُدرِج

الجاحظ حججه، ويُبرِز تبريرَ دعواه الفرعيّة بالحجج (1، 2، 3، 4) في الجدول، وصاغ المضمون القضويّ للحجج(1 و2) في صيغة تصريحيّات عادة، تقصد إلى تخصيص وحصر المحجوج في أنّ: لكلّ فَترَة علامة وغاية كلّ مدّة أَمارة، فيوجِّه هاذين الفعلين التّصريحيّين المَحجوج إلى السّؤال: ما هي العلامات والأمارات الّتي ينبغي أن نتصوَّرها؟، يأتي الفعل الكلاميّ التّوجيهيّ ويربط تصريحيّات عادة بالفعل الإقراريّ، ومؤشّره اللّسانيّ هو"لام التّعليل"، ويقرُّ بأنّ إعادة القوَّة للأخبار المتقادمة يكون بالعلامات والأَمارات، وهي الرّسل والأنبياء وما جاؤوا به من أخبار، فَهمَّتُهم تجديد ما قد همّ بالدّروس منها.

ويمكن للمَحجوج المتمرِّس أن يراقب الأفعال الكلاميّة الّتي يأتيها الجاحظ، ومدى إلتزامه تجاه مضمونها القَضويّ وآثارها التّواصليّة والتّفاعليّة الّتي تُحدِثُها في حركة الفعل الحِجاجيّ ومدى نجاعته، ويمرّ الفعل الحِجاجيّ عبر المراحل الآتية:

أ-شروط التّحديد: تنقسم إلى:

-**شروط المضمون القَضويّ:** يَمَسُّ هذا الشّرط سؤال المقبوليّة والمعقوليّة الخاصّة بالأفعال الكلاميّة الّتي عبَّر عنها الجاحظ في الدّعوى والحجج؛ ففي الدّعوى يُعبِّر المضمون القضويّ عن: المتقادم من الأخبار غير مأمون العواقب؛ وهذا المضمون يُمثِّل معتقَد الجاحظ، ورهانَه الأساس أن ينقله إلى محجوجه، ولكن بواسطة مضامين قَضَويّة وسيطة، وهذه الوَساطة نجدها في مستوى الحِجاج.

-**الشّرط الجوهريّ:** يلتزم الجاحظ مرة أخرى تجاه دعواه الفرعيّة حين يقدِّم حججاً، يكشف عنها مضمون القضايا في(1، 2، 3، 4)، وتوافُقه مع مضمون الدّعوى، ويسعى الجاحظ في بناء فعله الحِجاجيّ إلى إقناع محجوجه بأنّ الأخبار تعتريها حالات الفَترَة، وتجديدها لا يكون إلاّ بواسطة الأنبياء والمرسَلين.

إنّ البنية الحِجاجيّة في مرحلة الافتتاح تُعدُّ تفصيلاً ونموّاً نصّياً لِما ورد في مرحلة المواجَهة، ويلتزم الجاحظ بمواصلة الدّفاع عن وجهة نظره.

ب-شروط التّصحيح: تُراعى هذه الشّروط وفق قسمين وهما:

-**الشّروط الابتدائيّة:** إنّ القضايا الّتي عبَّر عنها الجاحظ في الدّعوى والحِجاج، تربطها بالجاحظ علاقة عَقَديّة معيَّنة كالتزام ينشأ بين الجاحظ ومحجوجه، من حيث:

إنّ الجاحظ وهو يُخرِج نصَّه الحِجاجيّ، يَعتقد:

-أنّ المتلقّي لا يقبل دعواه الفرعيّة، وإلاّ بطُل الحِجاج، ولديه استعداد أن يتقبَّل المَضامين القضويّة الّتي عبَّر عنها الجاحظ في حججه(1، 2، 3، 4)، وسيقبل جملةَ قضاياها كتبرير مقبول ومعقول للدّعوى الفرعيّة.

-**الشّروط الالتزاميّة:** قبل أن يُلزِم الجاحظ متلقّيه بدعواه وحِجاجه وقضاياهما، عليه أن يلتزم هو أمام فعله الحِجاجيّ أوّلاً، ولذا يجب أن يعتقد الجاحظ أنّ دعواه وحججه مقبولة وإلاّ فشلت الخطَّة الحِجاجيّة، ونحن نلاحظ أنّ الجاحظ كلّما إدّعى دعوى كلّية أو فرعيّة إلاّ وقدَّم بين يديها حججاً تعلِّلها، وهذا شرطٌ التزاميٌّ من الجاحظ.

3-أثر الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ: كلّ ما حلّلناه من الفعل الحِجاجيّ وشروط نجاعته، مرهونٌ بهاذين الأثرين كي يكون ناجحاً:

-**الأثر التّواصليّ:** ونتمثَّله بهذا الرّائز التّواصليّ:

-أحاجِجُك بهذه الكلمات(1، 2، 3، 4) بأنّ دعواي الفرعيّة مقبولة ومعقولة.

فإذا تعقَّل المتلقّي هذا الرّائز وفهم المحتويات القَضويّة للدّعوى والحجج، وانتهى إلى أنّ(1، 2، 3، 4) مُقدَّمة كحجج للدّعوى الفرعيّة، قلنا بأنّ الفعل الحِجاجيّ قد أحدث أثرا تواصليّاً فقط.

-**الأثر التّفاعليّ:** أمّا إذا قبل بتلك الحجج واكتفَى بها كتبرير للدّعوى الفرعيّة، نقول حينئذٍ بأنّ الفعل الحِجاجيّ ناجعٌ؛ لأنّه أحدَث أثراً تفاعليّاً، ونلخّصه بالرّائز التّالي:

-بهذا الفعل(القبول) وافقَني دعواي.

-بهذا الفعل(القَبول) اقتنَع بدعواي.

في هذه المرحلة: مرحلة الافتتاح؛ أضاف الجاحظ دعوى فرعيّة، تفرَّعت من الدّعوى الكلّية في مرحلة المواجَهة، وهما يعبِّران معاً عن قضية واحدة وهي: الحالات الّتي تعرِض للأخبار، وتتعالق حججُ الدّعويين في مسار حِجاجيّ متنامي.

03-مرحلة المُحاجَجة: تنطلق من قوله:"...لأنّ نوحاً عليه السّلام هو الّذي جدَّد الأخبار الّتي كانت في الدّهر الّذي بينه وبين آدم عليهما السَّلام حتّى منعها الخلل..."[1] إلى قوله:"...لم يدخلها الخطَل والنّقص والفساد، في الدّهر الّذي كان بين النّبي (إبراهيم) عليه السَّلام وبين عيسى عليه السَّلام..."[2].

وتُسمّى هذه المرحلة بـ **مرحلة المُحاجَجة** لأنّ المُحاجِج مُلزَم بتقديم الحجج دعماً لوجهة نظره، ونُذكّر القارئ هنا بأنّ وجهة النّظر أوسع من الدّعوى؛ فالدّعوى أو الدّعاوَى محتواة في وجهة النّظر، لأنّ هذه الأخيرة يمكن أن تتضمَّن دعوى واحدة أو أكثر، فهي تتعلّق

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة،ج3، مصدر سابق، ص256.

[2]-المصدر نفسه، ص257.

برأي المتحاجِجين في الموضوع المطروح للنِّقاش؛ فكلّ دعوى وما يُناصرها من حُجج، تشكِّل بنية حِجاجيّة قائمة بذاتها دون أن تستقلّ عن وجهة النّظر الكلّية.

إذا كانت المرحلتان السَّابقتان في مستوَييهما: اللّسانيّ والتّداوليّ، تميَّزتا بأسلوب الإثبات إقراراً لوجهة نظر الجاحظ، فإنّ مرحلة المُحاجَجة ستحتوي أفعال التّوجيهيّات والإقراريّات وتصريحيّات عادة، كما سنرى، ومرحلة المواجَهة مرحلة رئيسة لأنّ الجاحظ يضطلع بدور الدّفاع عن دعاويه وإثباتها، ودحض كلّ ما عداها تمهيداً للمرور إلى مرحلة الاختتام تثبيتاً لقصد الجاحظ في هذا النّقاش النّقديّ في ذاكرة المحجوج وسلوكه، لنحلِّل بإيجاز البنى الحِجاجيّة الثّلاث المكوِّنة لمرحلة المُحاجَجة كما يلي.

أشرنا خلال تحليلنا للبنيتين الحِجاجيتين في مرحلة المواجَهة ومرحلة الافتتاح، بشيء من التّفصيل ليتعرَّف القارئ الكريم إلى منهجيّة التَّداوليّات-الجدليّة في تحليل الفعل الكلاميّ الحِجاجيّ من منظور مكوناته: اللّسانيّة والتّداوليّة والتّأثيريّة.

فأمّا **المكوّن اللّسانيّ**: يَطال التّحليل في هذا المستوى"وجهة النّظر"، وتُقسَّم إلى: الدّعوى والحِجاج، ويتمّ التّركيز على تحليل الأفعال الكلاميّة البسيطة فيها، وتلك المعطيات اللّسانيّة تتعالق فيما بينها تعالُقاً لسانيّاً وقَضويّاً حتّى تؤسِّس فعلاً حِجاجيّاً كلّيا.

وأمّا **المكوِّن التّداوليّ**: نحلّل الفعل الحِجاجيّ من المنظور التّداوليّ، ونركّز على جملة من الشّروط التّداوليّة بين المحاجِج والمَحجوج ومحتوى الحِجاج، وهي:

-**شروط التّحديد:** الّتي تُلزِم المحاجِج بمراعاة مدى مقبوليّة المَضامين القَضويّة للأفعال الكلاميّة الواردة في الدّعوى والحِجاج بالإضافة إلى الشّرط الجوهريّ.

-**شروط التّصحيح:** وتنقسم بدورها إلى شروط ابتدائيّة وأخرى إلتزاميّة.

وأمّا **المكوّن التّأثيريّ:** يستهدف التّحليل لهذا المكوّن وظيفتين رئيستين وهما: الوظيفة التّواصليّة، وترمي إلى تحقُّق الفهم لدى المَحجوج، والوظيفة التّفاعليّة، وتستدعي الاقتناع.

لقد اعتمدنا تلك المكوّنات كلَّها سابقاً في صياغة الفعل الحِجاجيّ وتقويمه، وسنركّز فيما يلي التّحليل على وجهة النّظر وأفعالها الكلاميّة دون تكرار الالتفات إلى المكوّن التّداوليّ المعياريّ (شروط التّحديد وشروط التّصحيح)، ونركّز على المستوى التّأثُّريّ التّفاعليّ الّذي يقصد إليه الجاحظ، وبعبارة أوجز سنُعير اهتمامنا لـ: الدّعوى والحجج والأثر التّفاعليّ.

أ-البنية الحِجاجيّة الأولى:

المستوى الحجاجيّ	**-الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات، تصريحيّات عادة، توجيهيّات فعل أمر	1-لأنّ نوحاً عليه السّلام هو الّذي جدّد الأخبار الّتي كانت في الدّهر الّذي بينه وبين آدم عليهما السّلام. 2-حتّى منعها الخلَل. 3-وحَمَاها النّقصان بالشّواهد الصّادقة. 4-بعثه الله عزّ وجلّ بآياته. 5-ولذلك سمّوا آخر الدّهر الفَتْرة. 6-وبين الفَتْرة والقِطعة فرق، فاعرف ذلك.	-وليس أنّ أخبارَهم وحُججهم قد كانت درَست واختلَّت، بل حين همَّت بذلك وكادت.(أ) -لئلاّ تخلو الأرض من حُجه (الله).(ب).

المستوى النّصيّ.	**الفعل الكلاميّ المركّب.**	**المِحاج.**(التّأويل، الشّرح، التّعليل، تصريحيّات عادة، الأمريّات).	**الدّعوى**(أ، ب).
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة(1، 2، 3، 4، 5، 6).	
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2، 3، 4، 5، 6) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعوتيه (أ، ب) مقبولتان.	
شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعوتيه(أ، ب). 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5، 6). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5، 6) كتعليل للدعوتين-القضيّتين(أ، ب).	
	الشّروط الالتزاميّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعوتين(أ، ب) مقبولتان. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5، 6) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5، 6) تشكِّل تعليلا مقبولا للدّعوتين-القضيّتين (أ، ب).	

أثر الفعل الكلامي الحجاجي	الأثر التّواصليّ (الفهم).	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2) تُشكّل حِجاجاً عن الدّعوى "إنّما ذكرتُ...ضعيفاً".
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5، 6) كتعليل للدّعوتين- القضيّتين (أ، ب).

1-الدّعوى: تحتوي هذه البنية الحِجاجيّة دعوَيين اثنتين وهما:

-الدّعوى (أ): توسَّل الجاحظ فعلا توجيهيّاً للمتلقّي نحو وجهة حِجاجيّة محدَّدة، وأدوات التّوجيه هنا هي "النّفي بـ ليس"؛ فأزاح من ذهن المتلقّي بها فكرة دروس الأخبار وحجج الأنبياء والمرسَلين، وأعاد توجيهه بحرف العطف "بل" الّذي يؤدّي وظيفة "الاستدراك"، فقد أثبت الجاحظ به أنّ الأخبار لم تَدرُس تماماً ولم تختلّ، وإنّما كادت، وكلَّما كادت أن تدرُس يُرسِل الله تعالى نبيّاً فيُجدِّدُها، وتجديد أخبار الأنبياء السّابقين علامة من علامات النّبوّة.

-الدّعوى (ب): وهي فعل توجيهيّ بـ"لام التّعليل"، يوجّه المتلقّي نحو قصد الجاحظ، فالله يُرسِل الرّسل والأنبياء لقصد بقاء أخباره وحججه، وبذلك يُلزِم النّاسَ الحجّة يوم الحساب.

2-الحِجاج: تأكيدا للدّعويين قدَّم الجاحظ ستّ حجج، تختلف من حيث صيغتها الكلاميّة، ونجد:

-الإقراريّات: يقدِّم الجاحظ للمتلقّي خبراً عن بعث سيِّدنا "نوح" عليه السَّلام، وهو حجّة تشخيصيّة، وحدَّد له وظيفتَه؛ فقد كان مَبعثُه تجديداً للأخبار الّتي كانت بينه وبين

آدم عليه السّلام، ويهدف هذا التّجديد إلى منع الخلل والنّقصان في الأخبار والحجج، وقد أيّده سبحانه وتعالى بالشّواهد الصّادقة والآيات الدّامغة.

-**تصريحيّات عادة:** استخدمها الجاحظ في قوله:"سمّوا آخر الدّهر الفَترَة"، والقصد منها هو إيراد تعريف للفَترَة، وتوجيه المتلقّي نحو ربط معناها بحالة عَرَضيّة، قد تعرض للأخبار المتقادمة، وهي "الفُتُور"، ويُضيف تصريحيّ عادةٍ آخر، وهو "بين الفَترَة والقِطعة فرق"، والمراد منه تعريف المتلقّي بالفرق بينهما، واستثمار هذا الفرق في وعي الأخبار وعلاقة الأنبياء والرّسل بها.

-**التّوجيهيّات:** يظهر في هذه البنية الحِجاجيّة الأولى الفعل التّوجيهيّ بشكل صريح، وهو فعل الأمر "فاعرف ذلك"، وهذا الأمر هو دعوة إلى اعتبار الحجج ومدى مناسبَتها للدّعويين (أ وب).

-**الأثر التّفاعليّ:** إنّ الأفعال الكلاميّة السّابقة(الإقراريّات، تصريحيّات عادة، التّوجيهيّات) سيقبلها المتلقّي في جملتها كحجج لإثبات الدّعويين بشرط أن يجيب الجاحظ عمّا سمّاه بـ"الشّواهد الصّادقة" وبـ"آياته"؛ فهي ألفاظ عامّة تحتاج التّشخيص بالأمثلة وإلاّ فلن يسلِّم المتلقّي له دعواه، ويطالبه بالمزيد من الحجج، وهذا ما سنراه في البنية الحِجاجيّة الثّانية الموالية.

ب-البنية الحِجاجيّة الثّانيّة:

المستوى الجمليّ.	-**الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات.	1-لأنّ نوحاً كان لبِث في قومه، يحتجّ ويُخبِر. 2-ويؤكّد ويبيّن، ألف سنة إلاّ خمسين عاماً. 3-ولأنّ آخر آياته كانت أعظم الآيات وهي الطّوفان. 4-الّذي أغرق الله تعالى به جميع أهل الأرض غيره وغير شيعته. 5-ليكون أعجب للآية. 6-ليكون أشهر للقصّة. 7-ليكون أثبت للحُجّة.	-ثمّ بعث الله جلّ وعزّ إبراهيم عليه السّلام على رأس الفَتْرة الثانية الّتي كانت بينه وبين دهر نوح، وإنّما جعلها الله تعالى أطول فَتْرة كانت في الأرض (جـ). -وإنّما أفار الماء من جوف تنّور(د).
المستوى النّصيّ.	**الفعل الكلاميّ المركّب.**	**الحِجاج.**	**الدّعوى (جـ، د).** الإقراريّات، التّوجيهيّات إنّما
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7).	
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعوييه (جـ، د) مقبولتان.	

شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه لا يقبل دعويه (جـ، د). 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) كتعليل للدعويين-القضيّتين (جـ، د).
	الشّروط الالتزاميّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعويين (جـ، د) مقبولتان. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) تشكِّل تعليلا مقبولا للدّعويين-القضيّتين (جـ، د).
أثر الفعل الكلامي الحجاجي.	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) تُشكِّل حِجاجاً عن الدّعويين (جـ، د).
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) كتعليل للدّعويين-القضيّتين (جـ، د).

في هذه البنية الحِجاجيّة الثّانية صاغ الجاحظ دعويين اثنتين، وقدّم لهما مبرِّرات يحتجّ بها أمام مخاطبه الّذي طالَبه في البنية الحِجاجيّة الأولى، ولا سيّما في مستوى الأثر التّفاعليّ، التّشخيصَ بالشّواهد الصّادقة، فها هو يصوغ "وجهة نظرٍ" أخرى في دعويين اثنتين، ويقدِّم لهما الحجج، كما يلي:

-**الدّعوى (أ):** تتشكّل هذه الدّعوى بفعلين كلاميَّين هما:

-**الإقراريّات:** يخبر الجاحظ المخاطَب بأنّ الله عزّ وجلّ بعث إبراهيم عليه السّلام، وهذا الإخبار بالاسم تشخيصٌ وتفصيلٌ لِما ورد في الدّعاوَى السّابقة وحججها ولِما ورد فيها من أحكام عامّة، ولولا هذه الشّواهد التّشخيصيّة لَبقيت مجرَّدة من أيّ أثر تفاعليّ؛ فذكر إبراهيم عليه السّلام هنا هو إقرار بدوره التّجديديّ للأخبار على رأس الفَترة الّتي كانت بينه وبين سيّدنا نوح عليه السّلام، والّذي جدَّد أخبار آدم عليه السّلام.

-**التّوجيهيّات:** بعد إقرار الخبر، يُوجِّه الجاحظ مخاطَبَه بمؤشّر لسانيّ هو "إنّما" يُفيد به الجاحظ أن يحصُر مخاطَبَه، ويوجّهه نحو إدّعائه بأنّ الله جعل المدّة طويلة بين الفَترة الأولى "نوح" والفَترة الثّانية "إبراهيم"؛ وهذا الإجراء التّوجيهيّ هو "تصريحيّ عادةٍ" الغاية منه حساب الفارق الزّمنيّ بين الفَترتين.

ويُسائل المَحجوج الجاحظ: ما هي آيات نوح؟، ولماذا كانت المدّة الزّمنيّة بين الفَترتين أطول من المُدَد التّالية لها؟، يجيب الجاحظ عن ذلك في مستوى الحِجاج.

الحِجاج: يُقدّم الجاحظ لمخاطَبه الدّور الّذي قام به سيّدنا نوح في الفَترة الأولى الّتي كانت بينه وبين سيّدنا آدم، ويُقرُّ بأنّ مَهمَّتَه كانت: الاحتجاج والإخبار، التّوكيد والبيان، وامتدَّت عبر مدّة زمنيّة طويلة، يُحدِّدها الجاحظ بفعل كلاميّ هو "تصريحيّ عادةٍ"، ومضمونه: أنّ تلك المدّة الزّمنيّة تساوي:"ألف سنة إلاّ خمسين عاماً"، ويتعالق هذان الفعلان الكلاميّان بفعلين كلاميَّين آخرين بواسطة فعل كلاميّ توجيهيّ أداته "التّعليل بـ لأنّ"، وهما:

-**تقريريّات وتصريحيّات عادةٍ:** يُجيب هنا بتشخيص آيات نوح عليه السّلام، ويذكر أعظَمَها، ويخصّها بـ"تصريحيّ عادةٍ"، وهو التّعريف لأعظم الآيات وهي: "الطّوفان"،

ويشرح عظمتَه بـ "تصريحيّ عادة" آخر، وهو تأويل الطّوفان، فقد أغرق الله تعالى به أهل الأرض جميعاً غير نوح وشيعته.

-**الدّعوى**(ب): يظهر الفعل التّوجيهي بأداة الحصر "إنّما"، يوجّه متلقّيه نحو آية عظيمة من آيات الله الّتي أيَّد بها سيّدنا نوح، فقد أفار الله الماء من جوف تنّور، وهي حقيقة تاريخيّة لا ريب فيها.

-**الحِجاج:** يوجّه الجاحظ مخاطَبَه بأداة التّعليل "لام التّعليل"، ويذكر بأنّ تلك الآية العظيمة كان القصد من ورائها-حسب اعتقاد الجاحظ- أن تكون: أعجب آية، وأشهر قصّة وأثبَت حجّة على الإطلاق باستمرار، وهذا التأويل هو "تصريحيّ عادةٍ" يشرح تأويل الآيات.

-**الأثر التّفاعليّ:** إذا كانت البنية الحِجاجيّة الأولى انتهت إلى تفاعلٍ مشروط بتشخيص الشّواهد والآيات كي يقبل المتلقّي مضمون الدّعوى، فإنّ البنية الحِجاجيّة الثّانية تقدِّم بين رديفتها أعظم الآيات والشّواهد التّاريخيّة الصّادقة، وهي: الطّوفان، وفوَران الماء من جوف تنّور، وتحوّلهما إلى حجج عجيبة على مدى الأزمان.

وهكذا حين يربط المَحجوج على المستوى التّفاعليّ البنيتين الحِجاجيّتين معاً، وما تحتويانه من أفعال كلاميّة، سينتهي إلى قبول وجهة نظر الجاحظ.

جـ-البنية الحِجاجيّة الثّالثة:

المستوى الجمليّ.	-**الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات.	1-ثمّ مازالت الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، بعضهم على إثر بعض في الدّهر الّذي بين إبراهيم وبين عيسى عليهما السّلام. 2-فلِترادف حُججهم. 3-وتظاهُر أعلامهم. 4-وكثرة أخبارهم. 5-واستفاضة أمورهم. 6-ولِشدّة ما تأكَّد ذلك في القلوب. 7-ورَسَخ في النّفوس. 8-وظهر على الألسنة.	-لم يدْخُلها الخَطَل والنّقص والفساد في الدّهر الّذي كان بين النّبي إبراهيم عليه السّلام وبين عيسى عليه السّلام.
المستوى النّصيّ.	**الفعل الكلاميّ المركّب.**	**المِحاج.**	**الدّعوى (هـ).** التّوجيهيّات النّفي
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8).	

	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعواه "هـ" مقبولة.
شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعواه "هـ". 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8) كتعليل للدعوى-القضيّة "هـ".
	الشّروط الالتزاميّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعوى "هـ" مقبولة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8) تشكّل تعليلا مقبولا للدّعوى-القضيّة "هـ".
أثر الفعل الكلاميّ الحجاجيّ.	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8)تُشكّل حِجاجاً عن الدّعوى "هـ".
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) كتعليل للدّعوى-القضيّة "هـ".

البنية الحِجاجيّة الثّالثة: وخلال البنية الحِجاجيّة الثّالثة، يُضيف الجاحظ "وجهة نظر" أخرى تتأسّس على دعوى وحجج داعمة لوجهات النّظر السّابقة، ونحلّلها هكذا:

-**الدّعوى:** يعود الجاحظ إلى النّفي مرةً أخرى في صياغة توجيهاته بحرف الجزم "لم" وهو ردّ على اثبات محتمَل وتصحيح لمسار النّقاش النّقديّ، وتوجيه للمتلقّي نحو اعتبار كون الأخبار لم ينل منها الخطل والنّقص، والفساد في المدّة الزّمنيّة الممتدّة بين إبراهيم عليه السّلام وبين عيسى عليه السّلام، وهنا يتساءل المتلقّي عن مبرّرات ذلك النّفي؟

-**الحِجاج:** يبرّر الجاحظ ذلك النّفي بإيراد حجج تندرج ضمن الإقراريّات، وهو يترادف حجج الأنبياء والمرسَلين في المدّة بين إبراهيم وعيسى عليهما السّلام، وظهور علاماتهم وكثر الأخبار الّتي جاؤوا بها، وحين تأكّدت في عقول النّاس وقلوبهم على مدى الأزمان كان هذا سبب ثبات العلامات والأخبار.

-**الأثر التّفاعليّ:** يظهر هذا الأثر في تفاعل المتلقّي مع معطيات البنية الحِجاجيّة وأفعالها الكلاميّة، وفق هذا الرّائز:

-بهذا الفعل (القبول للحجج في 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8) وافقني دعواي.

-بهذا الفعل (القبول للحجج في 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8) كتعليل للدّعوى، اقتنع بدعواي.

وهكذا فكلّما عبّر الجاحظ عن وجهة نظر معيّنة، وأخرجها في بنية حِجاجيّة مخصوصة، حرص على جلب أثر تفاعليّ وراءها، حتّى يُمهِّد الطّريق نحو الحلّ والاقتناع النّهائيّين.

4-مرحلة الاختتام: تبدأ من قوله:"...فحين همَّت بالضَّعف، وكادت تنقص عن التّمام، وانتهت قوّتها، بعث اللَّه تعالى محمَّداً صلّى اللَّه عليه وسلّم..."[1]، وتنتهي عند قوله:"...فعلِمنا عند ذلك أنّ حجَّتَه ستتمُّ إلى مدَّتها، وبلوغ أمر الله عزّ وجلّ فيها"[1].

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة،ج3، مصدر سابق، ص257.

وتختم هذه المرحلة السّيرورة الحِجاجيّة لحلّ الخلاف في الرّأي، وتتّجه نحو تقييم المكوِّنات الحِجاجيّة وبُناها الواردة في المراحل الثّلاث السّابقة، وهذا ما أكَّده الجاحظ بخصوص مقبوليّة حِجاجه ومعقوليّته، لِننظر في الجدول:

المستوى الجملي.	**-الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات.	1-بعث الله تعالى محمّداً صلّى الله عليه وسلّم. 2-فجدَّد أقاصيص آدم ونوح، وموسى وهارون، وعيسى ويحي، عليهم السّلام، وأموراً بين ذلك. 3-بالشّواهد الصّادقة. 4-وأنّ السّاعة آتية. 5-وأنّه ختم الرّسل عليهم السّلام به.	-فحين همَّت بالضّعف، وكادت تنقص عن التّمام، وانتهت قوّتها"أ". -وهو الصّادق "ب". -فعلِمنا عند ذلك أنّ حجّته ستتمُّ إلى مدّتها، وبلوغ أمر الله عزّ وجلّ فيها "ج".
المستوى النّصي.	**الفعل الكلاميّ المركّب.**	**الحِجاج.**	**الدّعوى (أ، ب، ج).** الإقراريّات، تصريحيّات عادة"فعلمنا"
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة (1، 2، 3، 4، 5).	

[1]-المصدر نفسه، ص257..

	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2، 3، 4، 5) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعاواه "أ، ب، جـ" مقبولة.
شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعاواه "أ، ب، جـ". 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5) كتعليل للدعاوى-القضايا "أ ، ب، جـ".
	الشّروط الالتزاميّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعاوى "أ ، ب، جـ" مقبولة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5) تشكّل تعليلا مقبولا للدّعاوى-القضايا "أ ، ب، جـ".
أثر الفعل الكلامي الحجاجيّ.	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5)تُشكّل حِجاجاً عن الدّعاوى "أ، ب، جـ".
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5) كتعليل للدّعاوى-القضايا "أ، ب، جـ".

نصل مع الجاحظ في مرحلة الاختتام إلى نتيجة النّقاش النّقديّ، وتقيّيم نتيجته النّهائيّة، وتقويم القصد الكلّي للجاحظ من بناء سيرورته الحِجاجيّة في موضوع الأخبار وعلاقتها بحجج النّبوّة المحمّديّة، لقد احتجّ الجاحظ في المراحل الحِجاجيّة السّابقة بما ذكره من أنبياء ورسل والأدوار الّتي قاموا بها والأخبار الّتي جاؤوا بها.

إنّ ترادف أدوار الأنبياء بخصوص إيراد الأخبار الغائبة والغابرة نشاطٌ قاموا به، فمن كان دوره تجديد أخبار الأنبياء ورافقته الآيات والعلامات المُعجزة، فهو نبيّ، وإلى هنا قصد الجاحظ.

-**دعوى(أ):** تحصل أزمةٌ عرضيّة، تعرض للأخبار الّتي جاءت بها الأنبياء وهي: الضّعف والتّناقص عن التّمام بسبب التّقادم وتغيّر الحياة والنّاس، فتتّسع الهوّة بينهم وبين أخبار الأنبياء وحججهم، فيُرسِل الله حججه وهم الأنبياء المرسَلون، وهذا مبدأٌ رافَع لأجله الجاحظ في المراحل السّابقة، وها هو يُقرُّه في المرحلة الحِجاجيّة الأخيرة، وتنتهي إلى نتيجة كلّية مفادها مَن قام بما قام به الأنبياء المرسَلون فهو نبيٌّ، وهذا إقرار بأنّ محمّد نبيٌّ صلّى الله عليه وسلّم مادام قد جدّد أخبار الأنبياء المتقادِمة.

-**الحِجاج:** يُشخِّص الجاحظ دور النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم بإقراره أنّه: جدّد أقاصيص الأنبياء نحو: آدم ونوح، وموسى وهارون، وعيسى ويحي عليهم السّلام، كما جدَّد الأخبار وأنقذها من التحريف والطمس.

-**دعوى(ب):** يظهر فعل التعهُّديّات في قوله:"فعلمنا عند ذلك أنّ حجّته ستتمُّ"؛ وهذه العبارة يتعهَّد بها الجاحظ قبول نتيجة النّقاش، وهي خلاصة حجج الأنبياء، وحين جاء بالشّواهد الصّادقة وختمَ الرّسلَ فكان حجّة للعالَمين.

-**الأثر التّفاعليّ:** نعبِّر عنه بهذا الرّائز:

-بهذا الفعل (القبول للحجج 1، 2، 3، 4، 5) وافقَني دعواي.

-بهذا الفعل (القبول للحجج 1، 2، 3، 4، 5) اقتنع بدعواي.

إنّ تحقّق جملة الآثار التّفاعليّة في كلّ البنى الحِجاجيّة، ومراحل السّيرورة الحِجاجيّة ينتهي بالمَحجوج إلى: الاقتناع النّهائيّ دون أن يضطرّ محاجِجُه إلى بناء حجاج آخر، وبالتّالي كفاية الحجج المقدَّمة كدليل على نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلَّم.

- **فصل منه في ذكر دلائل النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، إخبارُه عمّا سيكون:**

يبدأ من :"وباب آخر يُعرَف به صدقه، وهو إخباره عمّا سيكون، وإخبارُه عن ضمائر النّاس، وما يأكلون وما يدَّخرون..."[1] إلى قوله:"...فإذا الخبر قد أتاه: أنّ شيرويه قد وثب عليه في تلك اللّيلة فقتله، فأسلم وأخلص، ودعا مَن معه بقيّة الفرُس إلى الله عزّ ذكره فأسلوا"[2].

نُجزِّئ دعوى هذا الفصل كما يلي:

1-المواجَهة: تبدأ من قوله:"وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه، وهو إخبارُه عمّا يكون..."[3] إلى قوله:"...ولا خُلفَ له..."[4].

تضعنا مرحلة المواجَهة منذ البداية أمام أدلّة أخرى من دلائل نبوّةَ محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وبها يُعرَف مدى مصداقيّته، ونُدرِجها في الجدول التّالي:

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة،ج3، مصدر سابق، ص266، 267.

[2]-المصدر نفسه، ص269.

[3]-نفسه، ص266.

[4]-نفسه، ص267.

المستوى الجمليّ.	-**الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات، التّوجيهيّات.	1-وهو إخباره عمّا يكون. 2-وإخباره عن ضمائر النّاس. 3-وإخباره عمّا يأكلون ويدَّخرون. 4-ولِدعائه المُستَجاب الّذي لا تأخير فيه، ولا خُلفَ له.	-وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه.
المستوى النّصيّ.	**الفعل الكلاميّ المركَّب.**	**المِحاج.**	**الدّعوى.** الإقراريّات.
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة(1، 2، 3، 4).	
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2، 3، 4) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعواه مقبولة، والّتي هي:"وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه".	
شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعواه:" وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه". 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2، 3، 4) كتعليل للدعوى-القضيّة :"وباب آخر يُعرَف به صدقُه".	
		1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعوى :"وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه"	

	الشّروط الالتزاميّة.	مقبولة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2، 3، 4) تشكّل تعليلا مقبولا للدّعوى-القضيّة :"وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه".
أثر الفعل الكلامي الجاحظي	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4)تُشكّل حِجاجاً عن الدّعوى :"وبابٌ آخر يَعرَف به صدقُه".
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4) كتعليل للدّعوى-القضيّة :"وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه".

2-مرحلة الافتتاح: تبدأ من قوله:"...وذلك أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم حين لقي من قريشٍ والعرب..."[1] إلى قوله:"...فقال صلّى الله عليه وآله:"اللّهمّ سِنين كسِني يوسف، اللّهمّ اشدُد وطأتك على مُضَر"..."[2].

بعد أن قدَّم لنا الجاحظ -في مرحلة المواجَهة الآنفة- دعواه بخصوص **"صدق النّبوّة المحمّديّة"**، ودعَّمها بأدلّة تأسيسيّة مُجمَلة، يتّخذ في مرحلة الافتتاح دورَ المناصِر لِصدقيّة دعواه، ودورَ المُناوِئ لكلّ ما يدحضُها من اعتراض الخصوم وحُجَجهم، ونفصِّلُها في الجدول التّالي:

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة،ج3، مصدر سابق، ص267.
[2]-المصدر نفسه، ص267.

المستوى الجملي.	-**الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات، التّوجيهيّات"الدّعاء".	1-دعا الله عزّ وجلّ أن يُجدِب بلادَهم، وأن يُدخل الفقرَ بيوتهم. 2-فقال صلّى الله عليه وسلّم وآله:"اللّهمّ سِنِينَ كسِني يوسف، اللّهمّ اشدُد وطأتَك على مُضَر".	-أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين لقي من قريش والعرب ما لقي من شدّة أذاهم له، وتكذيبهم إيّاه واستعانتهم بالأموال والرّجال.
المستوى النّصي.	**الفعل الكلاميّ المركّب.**	**الحِجاج.**	**الدّعوى"أ".** الإقراريّات.
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة(1، 2).	
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعواه "أ" مقبولة.	
شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعواه "أ". 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2) كتعليل للدعوى-القضيّة "أ".	
	الشّروط الالتزاميّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعوى "أ" مقبولة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2) مقبولة.	

		3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2) تشكّل تعليلاً مقبولا للدّعوى-القضيّة "أ".
آثار الفعل الكلامي الجاحظي	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2)تُشكّل حِجاجاً عن الدّعوى "أ".
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2) كتعليل للدّعوى-القضيّة "أ".

3-المُحاجَجة: تبدأ من قوله:"...فأمْسَك الله عزّ وجلّ عنهم المطر حتّى مات الشّجرَ..."[1] إلى قوله:"...فلم يرضَ أن أظْهَر دينه حتّى جعل أهلَه الغالِبين بالقدرة، والظّاهرين بالمَنَعة، والآخذين الإتاوة..."[2].

طرحت مرحلة الافتتاح السّابقة إلحاحاتٍ وإشكالاتٍ حول النّزاع الّذي حصَل بين النّبي صلّى الله عليه وسلّم وقريش، وقد قدَّم الجاحظ أفعال قريش المضادّة للنّبي، وهي: الأذى، التّكذيب، الاستعانة بالأموال والرّجال، فما كان من محمّد إلاّ إلتزام الدّعاء بالكلمات، وهنا يترقَّب المَحجوج ما سيحصل في مرحلة المُحاجة، لننظر في الجدول الموالي:

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة،ج3، مصدر سابق، ص267.

[2]- المصدر نفسه، ص268.

المستوى الجملي.	-**الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات، التّوجيهيّات"الدّعاء".	1-فأمسك الله عزّ وجلّ عنهم المطر. 2-حتّى مات الشّجر، وذهب الثّمر. 3-وقلّت المزارع، وماتت المواشي. 4-وحتّى اشتووا القِدَّ والعِلهِز.	-وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه.
المستوى النّصي.	**الفعل الكلاميّ المركّب.**	**الحِجاج.**	**الدّعوى"أ"**، (ضمنيّة) الإقراريّات.
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة(1، 2، 3، 4).	
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2، 3، 4) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعواه "أ" الضِّمنيّة الكلّية مقبولة.	
شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعواه "أ" الأصليّة المُضمَرة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2، 3، 4) كتعليل للدعوى-القضيّة "أ" الأصليّة الكلّية المُضمَرة.	
		1-يعتقد الجاحظ أنّ دعواه "أ" الأصليّة مقبولة.	

	الشّروط الالتزاميّة.	2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2، 3، 4) تشكّل تعليلاً مقبولا للدّعوى-القضيّة "أ" الأصليّة المُضمَرة.
أثر الفعل الكلامي الحجاجي	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4)تُشكّل حِجاجاً عن الدّعوى "أ" الأصليّة المُضمَرة.
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4) كتعليل للدّعوى-القضيّة "أ" الأصليّة المُضمَرة.

ب-البنية الحِجاجيّة (02):

المستوى الجمليّ.	-**الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات، التّوجيهيّات"الدّعاء".	1-فلمّا أصاب مُضر الجهدُ، ونهكهم الأزْل، وبلغَت الحجّة مبلغها، وانتهت الموعِظة منتهاها. 2-عاد بفضله صلّى الله عليه وسلَّم على الّذي بدأهم به. 3-فسأل ربَّه الخصب، وإدرار الغيث. 4-فأتاهم منه ما هَدَم بيوتَهم ومنعهم حوائجَهم. 5-فكلّموه في ذلك. 6-فقال:"اللّهمّ حوالينا ولا علينا". 7-فأمطر الله عزّ وجلّ ما حولهم، وأمسك عنهم.	-وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه.
المستوى النّصيّ.	**الفعل الكلاميّ المركَّب.**	**المِحاج.**	**الدّعوى"أ"(مُضمَرة).** الإقراريّات.
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7).	
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها	

		الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعواه "أ" الأصليّة المُضمَرة مقبولة.
شروط التّصحيح.	الشّروط الابتدائيّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه لا يقبل دعواه "أ" الأصليّة المُضمَرة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) كتعليل للدعوى-القضيّة "أ" الأصليّة المُضمَرة.
	الشّروط الالتزاميّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعوى "أ" الأصليّة المُضمَرة مقبولة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) تشكّل تعليلاً مقبولا للدّعوى-القضيّة "أ" الأصليّة المُضمَرة.
أثر الفعل الكلامي الحجاجي.	الأثر التّواصليّ (الفهم).	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7)تُشكّل حِجاجاً عن الدّعوى "أ" الأصليّة المُضمَرة.
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7) كتعليل للدّعوى-القضيّة "أ" الأصليّة المُضمَرة.

جـ-البنية الحِجاجيّة(03):

المستوى الجملي.	-**الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات، التّوجيهيّات"الدّعاء".	1-فبدأ باسمه على اسمه. 2-فأنِف من ذلك كسرى لِشقوته. 3-وأمَر بتمزيق الكتاب. 4-فلمّا بلَغه صلّى الله عليه وسلّم قال:"اللّهمّ مزِّق مُلكَه كلَّ مُمزّق". 5-فمزَّق الله جلَّ وعزَّ ملكَه، وجدَّ أصلَه، وقطَع دابره.	-كتب إلى كِسرى يدعوه إلى نجاته وتخليصه من كفره.
المستوى النّصي.	**الفعل الكلاميّ المركَّب.**	**المِحاج.**	**الدّعوى"أ".** الإقراريّات.
شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة(1، 2، 3، 4، 5).	
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2، 3، 4، 5) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعواه "أ" مقبولة.	
شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعواه "أ". 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5) كتعليل للدعوى-القضيّة "أ".	

	الشّروط الالتزاميّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعوى "أ" مقبولة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5) تشكّل تعليلاً مقبولا للدّعوى-القضيّة "أ".
أثر الفعل الكلامي الحجاجي	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5)تُشكّل حِجاجاً عن الدّعوى "أ".
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5) كتعليل للدّعوى-القضيّة "أ".

5-مرحلة الاختتام: تبدأ من قوله:"...وكتب كسرى إلى فيروز الدَّيلميّ..."[1]إلى قوله:"...فأسْلَم وأخلَص، ودعا مَن معه من بقيَّة الفُرس إلى الله عزّ ذكره فأسلموا..."[2].

وهذه المرحلة الخِتاميّة، تختِم الحِجاج وتحْسِم النّقاش النّقديّ لصالح حلّ النّزاع في الرّأي بين المتحاجِجين، وإلاّ بقي موضوع النّقاش مفتوحاً على تأسيس سيرورة حِجاجيّة أخرى، حتّى يحصُل اتّفاق بين الطّرفين، ونَعرض في الجدول الموالي البنية الحِجاجيّة الخِتاميّة:

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة،ج3، مصدر سابق، ص269.

[2]-المصدر نفسه، ص269.

المستوى الجملي.	-**الأفعال الكلاميّة البسيطة.** -الإقراريّات، التّوجيهيّات"الدّعا".	1-وكتب كسرى إلى فيروز الدّيلميّ، وهو من بقيّة أصحاب سيف بن ذي يزن: أنْ احمل إليّ هذا العبد الّذي بدأ باسمه قبل اسمي، واجترأ عليّ، ودعاني إلى غير ديني. 2-فأتاه فيروز فقال: إنّ ربّي أمرني أن أحملك إليه. 3-فقال صلّى الله عليه وسلّم:"إنّ ربّي خبَّرني أنّه قتل ربَّك البارحة، فأَمسك عليّ ريثما يأتيك الخبر، فإن تبيّن لك صدقي، وإلاّ فأنت على أمرك". 4-فراع ذلك فيروز وهاله، وكره الإقدام عليه، والاستخفاف به. 5-فإذ الخبر قد أتاه: أنّ شيرويه قد وثب عليه في تلك اللّيلة فقتله. 6-فأسلم وأخلَص، ودعا من معه من بقيّة الفُرس إلى الله عزّ ذكره، فأسلموا.	-وبابٌ آخر يُعرَف به صدقُه.
المستوى النّصي.	**الفعل الكلاميّ المركَّب.**	**الحِجاج.**	**الدّعوى"أ".** الإقراريّات.

شروط التّحديد.	**شروط المضمون القضويّ.**	-يعبِّر عن التزام بصدد مقبوليّة القضايا للأفعال الكلاميّة البسيطة(1، 2، 3، 4، 5، 6).
	الشّرط الجوهريّ.	-إنّ تحقيق(1، 2، 3، 4، 5، 6) يُعتبَر محاوَلة يقوم بها الجاحظ لكي يُعقِل محجوجَه بأنّ دعواه "أ" الأصليّة المُضمَرة مقبولة.
شروط التّصحيح.	**الشّروط الابتدائيّة.**	1-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجه لا يقبل دعواه "أ" الأصليّة المُضمَرة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5، 6). 3-يعتقد الجاحظ أنّ محجوجَه سيقبل جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5، 6) كتعليل للدعوى-القضيّة "أ" الأصليّة المُضمَرة.
	الشّروط الالتزاميّة.	1-يعتقد الجاحظ أنّ الدّعوى "أ" الأصليّة المُضمَرة مقبولة. 2-يعتقد الجاحظ أنّ القضايا المعبَّر عنها في(1، 2، 3، 4، 5، 6) مقبولة. 3-يعتقد الجاحظ أنّ جملة القضايا(1، 2، 3، 4، 5، 6) تشكِّل تعليلاً مقبولا للدّعوى-القضيّة "أ" الأصليّة المُضمَرة.
أثر الفعل الكلاميّ الحجاجيّ.	**الأثر التّواصليّ (الفهم).**	-يفهم المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5، 6)تُشكِّل حِجاجاً عن الدّعوى "أ" الأصليّة المُضمَرة.
	الأثر التّفاعليّ (القبول).	-يقبل المَحجوج أنّ (1، 2، 3، 4، 5، 6) كتعليل للدّعوى-القضيّة "أ" الأصليّة المُضمَرة.

الفصلُ الرَّابع

- مُنطَلَقاتُ الحِجاج وتِقنيَّاتُه

- **تمهيد:**

تُعدُّ التِّقنيّات الحِجاجيّة-حسب بيرلمان وتيتيكا- الّتي يُوظّفها المتكلّم في كلامه هي نفسُها، سواءٌ أكانت في التّلفاز أم حول مائدة عائليّة أم في المحكمة أم في الأعمال...إلخ، وهي موضوع النّظريّة الحِجاجيّة كـ: دراسة التِّقنيّات الخِطابيّة الّتي تجعل المُخاطَب يُذعِن أو يعتقد الدّعوى الّتي يطرحها المتكلّم بين يديه، إلاّ أنّهما لا يُدرجان المتلقّي ضمن مشروعهما الحِجاجيّ، وإنّما يهتمّان بالشّروط التِّقنيّة للخِطاب ذي الوظيفة الحِجاجيّة[1].

ويتضمَّن نموذجهما الحِجاجيّ شقَّين اثنين، وهما:

أوَّلاً- منطلقات الحِجاج (démarches)**:**

وهي مرحلة الإعداد للحِجاج؛ وفيها يضطرّ المتكلّم المُحاجِج إلى تجنيد المقدِّمات والمسلَّمات الّتي تقبلها الجماهير كرصيد جماعيّ مشترك ومتّفق عليه، يتقاسمها المتكلّم مع مخاطَبِه، فيُعوِّل على تسليم السّامعين بها، ويتوسَّلها مُنطَلقا لحِجاجه، بالإضافة إلى انتقاء المقدّمات المناسبة وصياغتها بطرق وجيهة، وترتيبها ترتيبا يضمن لها النّجاعة التّفاعليّة؛ فقد يُصادِف مخاطَبا أو جمهورا مُعترِضا على ما يُعرَض عليه من مقدِّمات، كونها غير مسلَّم بها

[1] -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p31.-l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, p13.

وانظر:

-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سَلمان، مرجع سابق، ص84. -في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص13. -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، في نماذج مُمَثّلة من تفسير سورة البقرة، بحثٌ في الأشكال والاستراتيجيّات، علي الشبعان، تقديم حمّادي صمّود، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص89، 90. -في حِجاج النّص الشّعريّ، محمّد عبد الباسط عيد، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، 2013م، ص13، 14. -بلاغة الخطاب الإقناعيّ، نحو تصوّر نسقيّ لبلاغة الخِطاب، حسن المودن، دار كنوز المعرفة العلميّة للنّشر والتّوزيع، ط1، 2014م، ص23.

وتحتاج إلى برهَنة ودليل على صِدقيَّتها، أو يعترض على نوايا المتكلِّم السيئة مثلا، ومن تلك المنطلقات الإعداديّة ما يلي[1]:

أ- مقدِّمات الحِجاج[2]: وهي مقدِّمات ينطلق منها المتكلِّم في بناء الاستدلال الحِجاجيّ، وهي على أقسام:

1- الوقائع (faits): تنقسم إلى وقائع عينيّة مشاهَدة ومُعاشة ووقائع افتراضيّة(faits supposés)، يُسلِّم بها عدد كبير من الأفراد أو جميعهم، وتحوز إجماعا كونيّا، وهي تفرض نفسها على الجميع، ويصعُب الاعتراض عليها أو الشّكّ فيها أو دحضُها؛ ولهذا فهي تصلُح منطلَقا للحِجاج[3].

2- الحقائق(vérités)**:** تقوم على مبدإ الرّبط السّببيّ بين الوقائع(faits)؛ وهو ما نجده في النّظريّات العلميّة والمفاهيم المنطقيّة والفلسفيّة والدِّينيّة...إلخ، يعتمدها المتكلِّم المُحاجِج فيربط بين الوقائع والحقائق باعتبارها مسلَّمات مقبولة لدى الجميع لإثبات ما يريده؛ بحيث تتساند

---

[1]-أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحِجاج، إشراف حمّادي صمّود، ص308 وما بعدها. وانظر:

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, Chaim Perlman et Lucie Olbrechts-Tyteca, op cit, pp87, 153.

[2]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص24. وانظر:

-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سَلمان، مرجع سابق، ص91، 93.

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique,op cit, pp87, 89. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, Chaim Perlman, librairie philosophique, Paris, 2e, 2012, pp35, 53.

[3]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة،مرجع سابق، ص24. وانظر:

-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص99.

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp89, 93.

الواقعة "أ" والحقيقة العلميّة "ب" لتصديق القضيّة المطروحة "جـ"، فالتّسليم لـ "أ" و"ب" يعني التّسليم لـ"جـ"[1].

3- الافتراضات (les présomptions): وهي افتراضات مُسبَقة، يختلف بناؤها والإذعان لها من جماعة بشريّة إلى أخرى، بالنّظر إلى العاديّ المُعتاد (le normale) والمُحتمَل (le vraisemblable)، وارتباطهما بالمقام (la situation)[2].

4- القيَّم (les valeurs):وتنقسم إلى قيّم مجرَّدة نحو: العدل، الحريّة، الشّرف...إلخ، وقيّم محسوسة نحو: المسجد، الجامعة، المحكمة، المستشفي، الوطن، المدرسة...إلخ؛ يلجأ إليها المتكلّم لتحصيل الإذعان من مخاطَبه، وأمامه رصيد كبير من المنظومات القيميّة: سياسيّة، دينيّة، اقتصاديّة، إعلاميّة، قانونيّة، فلسفيّة، نفسيّة، ثقافيّة، اجتماعيّة، صحّيّة...إلخ[3].

---

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص24، 25. وانظر:
-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص102.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp89, 93.

[2]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص25، 26. وانظر:
-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص102، 103.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp93, 99.

[3]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص26. وانظر:
-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص103، 104.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp99, 107. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p114, 115. -l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, pp55, 57.

5- الهرميّات (les hiérarchies): هي سُلَّميّات تتدرَّج عبرها سلاسل القيّم، من الأسفل إلى الأعلى، ومن الأعلى إلى الأسفل؛ وهي نسبيّة وليست مُطلَقة، وتخضع إلى ترتيب دَرَجيّ، ويختلف التّسليم بها وترتيبها من جماعة بشريّة إلى أخرى[1].

6- المواضع (les lieux/topos/topiques): وهي المبادئ العامّة المُتَّفَق عليها، وتُعتَبَر مخازن الحُجج، وتنقسم إلى: مواضع مشترَكة (les lieux communs) يمكن تطبيقها في ميادين علميّة مختلفة، ومواضع خاصّة (les lieux spécifiques) تخصُّ علما مُعيَّنا أو نمطا خِطابيّا بعينه دون الأنماط الأخرى؛ وهي مُحدِّدات لهُويَّات الأمم والجماعات والمذاهب والتّيارات الفكريّة...إلخ، والمواضع أنواع[2]:

- **مواضع الكَمِّ (les lieux de quantité)**: وهي مواضع تُثبِت أنّ شيئا ما أفضل من شيئ آخر لأسباب كَمِّيّة[3].

---

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص26. وانظر:
-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص104، 105.
- traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp107,111. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, p115, 118. -l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, pp55, 57.

[2]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص27. وانظر:
-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سَلمان، مرجع سابق، ص93، 98.-العامل الحِجاجيّ والمَوضع، عزّالدّين النّاجح، ضمن كتاب: الحِجاج والاستدلال الحِجاجيّ، دراسات في البلاغة الجديدة، مجموعة من الباحثين، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، دار وَرد الأردنيّة النّشر والتّوزيع، ط1، 2011، ص95 وما بعدها. -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص106 وما بعدها.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp112, 132. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p119, 122.-stéréotypes et clichés, langue, discours, société, Ruth Amossy et Anne Herschberg Pierrot, Armond Colin, 2014, Paris, p15, 20.

[3]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص27. وانظر:

• **مواضع الكَيف(les lieux de qualité)**: وهي مواضع تُضادُّ المواضع الكَمِّيّة، ويستثمرها المتكلِّم في مواجَهة الأكثر والجميع والأغلبيّة، فمثلا: الحقيقة الإلهيّة واحدة تقابل الحقائق البشريّة المتكاثرة وآراءها المختلفة[1].

• **مواضع الموجود(les lieux d'existant)**: ومقتضاها أنّ: الموجود والرّاهن والواقع والكائن أفضل ممّا هو مُحتمَل وممكن وغير مضمون مثل قولنا :"عصفور في اليد أفضل من عشرة على الشّجرة"[2].

• **مواضع المُفضَّل(les lieux de préférable)**: تختلف معايِير المأثور أو المُفضَّل من مجتمع إلى آخر، ومن عصر إلى آخر، ومبدأ الأفضليّة هنا يتعلّق بما ينبغي أن يكون من القيّم ومراتبها[3].

وجملة هذه المواضع، يستغلُّها المُحاجِج في حِجاجه، باعتبارها جملة المُعتقدات والموافقات العامّة الّتي يقبلها المُخاطَب العامّ دون تردّد، أمّا المخاطَب الخاصّ بمجال علم من العلوم: التّقنيّة أو اللّسانيّة أو الاقتصاديّة...إلخ، فمُحاجِجُه يحتاج إلى أن يعِيَ المواضَعات الخاصّة بمجال تخصُّصه ولغتِه ومنهَجِه وحدوده وتعريفاته، وهذا ما يحتاج إلى تبصُّر الطَّرائق الحِجاجيّة الخاصَّة[4].

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, p115, 119.

-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، مرجع سابق، ص96.

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص28. وانظر:

-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سَلمان، مرجع سابق، ص96، 97.

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp119, 125.

[2]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص28. وانظر:

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp126.

[3]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص28، 29.وانظر:

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp128, 128.

[4]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص29، 30. وانظر:

ب- **انتقاء المعطيّات والمقدِّمات وتَحْجيَّتها:** إنّ اعتماد المُحاجِج على المُتاح من المقدِّمات والمعطيّات(les données) والمصادَقات والموافَقَات غير كاف، فلا بُدَّ من[1]:

- **الاختيار**(الانتقائيّة): تحديد نوعيّة الجمهور المتلقّي وخصائصه.

- **الإحضار**(التّشخيص): أن يُحضِر المُحاجِج العنصر المُختار للمُحاجَّة أمام أعين متلقّيه، نحو: أن يُحضِر محامي الدِّفاع أبناء المُتّهم أمام القاضي، تلويح الحَجَّاج بالسّيف أمام الرّعيّة...)، أو يعتمد أسلوب بلاغيّ يُصوِّر الغائب، ويجعله مَشهدا متحرِّكا أمام المتلقّين قصد تحريك عواطفهم وتحفيز إرادتهم ودفعهم نحو العمل؛ وهذه من تقنيّات الخَطابة الّتي تتعامل مع الحاضر والخيال والرّغبة...إلخ[2].

- **التّأويل**: يختار المُحاجِج معطيّات مُعيَّنة أو يصوغها من إنشائه، ويُضيف إلى اختياره تأويلا أو تأويلات لها حسبما يريده، أو يقترح إمكانيّات للتّأويل الّذي يوجّه إليه مخاطَبه، فيجب عليه أن يراعيَ حال مخاطَبه ومقام التّخاطُب ورؤيّته للعالَم، وأن يُبعِد عناصر التّشويش واللّبس اللّغويّ...إلخ[3].

- **اختيار النّعوت أو الصِّفات** (le choix des qualifications): يظهر دورها الحِجاجيّ في إبراز موقفنا وقناعاتنا ووجهات نظرنا من موضوع الحِجاج المطروح للنِّقاش، وتصنيفها(classification)، نحو قولنا:"فلان سارق" فصفة "سارق" تستدعي أمرين وهما:

---

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص30، 33. وانظر:
-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص111 وما بعدها.
- traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp154, 190. L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp47, 63.

[2] -voir: traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp154, 161.

[3] -voir: ibid, pp161, 168. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp55, 71.

الإدانة ونوع العقاب؛ ويتعلّق التّوصيف والتّصنيف بالمصادَرة على المطلوب، كونه يُضيِّق الفهم والتّأويل في كلمة واحدة، ولا يسمح بتعدّد الآراء وفسح المجال أمام المتلقّي[1].

جـ- عرض المقدِّمات وشكل الخِطاب: تأتي مرحلة العَرض للمعطَيّات(la présentation) وهي مرحلة ضروريّة للحِجاج المؤثِّر الفعّال، يدفع السّامع إلى العمل والاعتقاد، ومن طرائق العرض النّاجعة نذكر[2]:

- إجادة الكلام والكتابة(فن الإنشاء).
- تكامل الشّكل والمضمون الحِجاجيَّين؛ أي الرّبط بين البنى الأسلوبيّة ومقاصدها الحِجاجيّة.
- عدم تشتيت انتباه السّامع بذكر معلومات غير ضروريّة، وتضيّيع الوقت بإيراد معلومات يعرفها المتلقّي ممّا يسبِّبُ له الملل.
- اعتماد الأسلوب البطيء(الإطناب والتّرديد والتِّكرار) لأنّه يُحدِث عند المتلقّي الانفعال ويُجيِّش العواطف.
- **التّكرار:** التّشديد على حضور الفكرة وقوّتها للتّأثير في السّامعة(تكرار مقاطع خطابيّة معيَّنة صوتا أو صمتا).
- تضمين الحِجاج حِكايات وقصص تدور حول موضوع واحد، وقد تكون متعارِضة، لكن هذا لا يضرّ الحِجاج بل يزيده أهمِّيّة؛ فالمُخاطَب يستدلّ على أهمِّيّة قضية ما

---

[1] -voir: -traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp169, 174.

[2] -في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص33، 40. وانظر:
-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص117 وما بعدها.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp191, 248.

بكثرة الحكايات المتوافِقة والمتعارِضة الّتي تنسجها الذّاكرة الجماعيّة حولها، وهذا ما يبعث في المتلقّي الرّغبة في معرفة أسرار القضيّة المطروحة للنّقاش وتفاصيلها.

- ذكر الزّمان والمكان والحدث بألفاظ حسّيّة تصويريّة.

- انتقاء الألفاظ سواء كانت وصفيّة محايدة أو تقويميّة، نحو قولنا:"فتاة تزوَّجت فرنسيّا" و"فتاة تزوَّجت قاوريّا"؛ فكلمة "فرنسيّ" في العبارة الأولى وصف عامٌّ، يُحاجِج به المتكلِّم مخاطَبه قصد تبرئة الفتاة من أن يتّهمها أو يُدينها أو يسخر منها، أمّا كلمة "قاوريّ" في العبارة الثّانية وصفٌ تقويميّ وتصنيفيّ، يُرافِع به المتكلِّم أمام مُخاطَبه يُدين سلوك الفتاة.

- **الموجّهات التّعبيريّة**[1](les modalités d'expression): ومنها النّفي(la négation) الّذي هو في الواقع يُعدّ ردّا على إثبات سابق أو لاحق، فعليّ أو مُحتمَل، ومن هذه الزّاوية فأسلوب النّفي هو أسلوب مُعترِضٍ على عَرْضِ الغير لقول ما.

- **أدوات الرّبط**: ربط القضايا وتسلسلها، السّبب والنّتيجة، الحُجّة والنّتيجة، نحو(ف، و، لكن، رغم أنّ...)، وهي تساعد على انقياد السّامعين، لأنّها تُضفي على الخِطاب درجةً من المعقوليّة، وقد حصر المؤلّفان الموجّهات اللّسانيّة في: الإثباتيّة(modalité assertive) والإلزاميّة(modalité injonctive) كالأوامر، الاستفهاميّة(modalité interrogatives) فالسّؤال عن الشّيء يُعطيه شرعيّة الوجود، ويُلزِم المخاطَب بإبداء الموافَقة أو إعلان وِجهة نظره، التّمنّي(modalité optative) أسلوب التّمنّي وصيغه، والتّمنّي يعتمد على موضع تقرّ به الجماعة؛ فتمنّي النّجاح مثلا، يعتمد على موضع مفاده أنّ"النّجاح مرغوب فيه".

[1]-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص125.

- **الصِّيغ النّمطيّة**(les clichés)[1]: ونقصد بها القوالب المكرورة (les clichés) الّتي يُنتجها مجتمَع معيَّن، نحو: الشّعائر، السُّنن، العادات، التّقاليد، الأشكال التّعبيريّة...إلخ، واستغلالها في الحِجاج يُؤدّي وظيفتين: وظيفة تأثيريّة في الجمهور وأخرى اتّحاديّة معه فكريّا وعاطفيّا(la communion avec l'auditoire)، ومنها: الأقوال الحِكَميّة، الأمثال السّائرة، والّتي تتضمّن مواضع وقواعد معياريّة وبنى استدلاليّة، تجعلها شعبيّة وتداوليّة ومقبولة من الجميع.

- **الصِّيغ البلاغيّة أو الصّور البلاغيّة**(les figures)[2]: لا تقف إلى حدّ الصّور البلاغيّة الكلاسيكيّة (الكناية، المجاز، الاستدراك، التّكرار، الاسهاب(l'amplification)، الالتفات في الأزمنة(enallage de temps)، الالتفات في الضّمائر(enallage de la personne)، التّلميح، الشّاهد الاستفهام...إلخ) فحسب بل تتجاوزها إلى كلِّ تعبير يكسِر المألوف ويُلفِت انتباه المستمع، وتتجاوز القيمة التّحسينيّة إلى القيمة الحِجاجيّة، نحو "التّعريف الخِطابيّ"؛ يلجأ إليه المُحاجِج ليستبعد دلالات أو مفاهيم عن كلمة أو مصطلح ما، ويُعيد تحديدها من جديد بمحدِّدات خافية عن المستمِع مثل قول القائل:"أمريكا هي نمر من ورق" فالقصد الحِجاجيّ هو: تنبيه المستمِع إلى الهشاشة كسمة خافية عنه.

ثانيّاً- التِّقنيّات الحِجاجيَّة(les technique argumentatives)[3]:

يعالج **بيرلمان وتيتيكا** الخِطاطات الحِجاجيّة(les schèmes argumentatives)بطريقتين وهما:

أ- **طريقة الوصل أو الاتّصال**(procédés de liaison):يُقصَد بهذه الطّرائق:"الطّرائق الّتي تقرِّب بين العناصر المتباينّة بدءا وفي الأصل، وتُتيح إقامة ضرب من التّضامن بينها لغاية

[1]-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp220, 225.-stéréotypes et clichés, langue, discours, société, Ruth Amossy et Anne Herschberg Pierrot, op cit, pp25, 28. Et pp87, 115.

[2] -traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp225, 232.

[3]-L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp63, 77.

هيكلتها؛ أي إبرازها في هيكل أو أو بنية واضحة أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيّا أو سلبيّا"[1]؛ ومن التِّقنيّات الحِجاجيّة القائمة على الوصل نذكر مايلي:

✓ **الحُجج شبه المنطقيّة:** هذا الصِّنف من الحُجج تستمدّ قوَّتَها الحِجاجيّة من مشابهَتها للمنطق الشّكليّ الصّوريّ والرياضيّ؛ فتبدو أنّها ذات طبيعة برهانيّة، وهي ليست كذلك فيجوز الاعتراض عليها وتقويضها من مخاطَب واعٍ بتكوينها وبنيتها، يبسط بيرلمان وتيتيكا من أنواعها[2]:

1- **التّناقض وعدم الاتِّفاق** (l'incompatibilité)[3]:ونميّز في هذا الجدول الفروق الدّقيقة بين التّناقض وعدم الاتِّفاق:

التّناقض la contradiction	**عدم الاتِّفاق أو التّعارض** l'incompatibilité
- ورود قضيّتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها؛ فالقضيّة إمّا أن تكون صادقة أو	- عدم الاتِّفاق أو التّعارض بين ملفوظين يتكشَّف بالنّظر إلى الواقع والظّروف المُحيطة

[1]-أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص324. وانظر:
-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص41. -كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سَلمان، مرجع سابق، ص99.

[2]-أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص325. وانظر:
-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سَلمان، مرجع سابق، ص99. -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص134، 135.
-L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp69, 70.
-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص42، 48.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp259, 350.

[3] -في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص42، 44. وانظر:
-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص135 وما بعدها.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp262, 264. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp80, 87. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p105. -l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, p50.

كاذبة، ولا يمكن أن تكون صادقة وكاذبة في الآن نفسه، فقولنا مثلا: فلان أستاذ وليس أستاذا يُوقِعنا في التّناقض، لأنّ الملفوظ يحوي المعنى وضدّه، وهو ما يُعرَف في المنطق بـ الثالث المرفوع.	والمقام الخارجيّ، وهذا الاعتبار يُمهِّد للمُحاجِج (العارِض) والمُحاجَج(المُعتَرِض) انتقاء احدى الأطروحتين وإلغاء الأخرى، لأنّها خاطئةٌ واقعةٌ في التّعارُض بين المقال والمقام.
- التّناقض يَرِد في النِّظام الدّاخليّ الشّكليّ المُجرَّد.	- التّعارض يحدث في مستوى العلاقة بين الملفوظات والمقام الخارجيّ.
- العَبَث مجاله تناقض القضايا المنطقيّة المُجرّدة.	- الهُزء(ridicule)مجاله المقال في علاقته بالمقام، فإذا حصل التّعارُض في قول أو اقوال المُحاجِج العارِض، جعله المُخاطَب مَهزأة ومَسخرة.
- التّناقض المنطقيّ لا يمكن تبريره.	- القول الّذي يتعارَض، دون مبرِّر(sans justification)، مع الرّأي السّائد يكون موضوع الهُزء. - التّعارض في حالة حصوله يمكن تبريره لصدّ هجمات الخصم، بسبب أنّ الخصم يبحث، باستمرار، عن مَواطِن الهزء كي يَسخَر من العارِض وأقواله، إذا وقع في شَرَك التّعارُض.

2- التّماثُل والحَدّ في المِحاج[1]:

يُعبِّر التّعريف أو الحدّ عن علاقة تماثليّة بين العنصر المعرِّف والعنصر المعرَّف، إلاّ أنّ التّعريف المِحاجيّ شبه المنطقيّ يعكس علاقة غير متماثلة بين المعرِّف والمعرَّف، كقولنا:

- الأمُّ هي الأمُّ.
- الأطفال مهما يكن فهم أطفال.

[1]-أهمّ نظريّات المِحاج من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص327، 328. وانظر:
-في نظريّة المِحاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص44، 45.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp282, 294. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp87, 91.

الملاحَظ على هذين التّعريفين أنّهما يخضعان للتّكرار والحشو، وهما من قبيل تحصيل الحاصل(la tautologies)؛ وعادة ما يكون العنصر الأوّل في هذه العبارات"تحصيل الحاصل" هو الحقيقة والثّاني هو المَجازيّ، ويلجأ المتكلِّم إلى صيغ التّماثل حين يرمي إلى تقويم شيء ما تقويما سلبيّا أو إيجابيّا بالحشو(le pléonasme).

يبدو للمتلقّي من خلال عبارات "تحصيل الحاصل" أنّ دلالتَها جامدة، وهي مجرّدة من المقام التّواصليّ والقصديّة، فهي خارج الوضعيّات التّواصليّة، تنتهي إلى أن تكون حِكمة سائرة، ولا يكون لها معنى حِجاجيّ إلاّ إذا ارتبطت بفعل العَرض والاعتراض والمقام.

3- العلاقة التّبادليّة وقاعدة العدل[1]:

تعالج الحجج القائمة على العلاقة التّبادليّة(arguments de réciprocité) وضعيّتين أو قضيّتين أو ملفوظين معالَجة واحدة، بسبب علاقة التّماثل المضمَرة بينهما؛ وهذه العلاقة تؤدّي إلى تطبيق قاعدة العدل(la règle de justice) في معالَجة الملفوظات المُندَرِجة ضمن مقولة واحدة؛ ومن الأمثلة الّتي توضّح علاقة التّبادل وقاعدة العدل، نذكر:

- أتنهى عن خلق وتأتي مثله...عارٌ عليك إذا فَعلتَ عظيم.(الشّاعر)

[1]-أهمّ نظريّات الحِجاج من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص328، 329. وانظر:
-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص140، 142.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp294, 305. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp92, 97. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p105, 106. -l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, p50.
-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص45، 46.

إنّ المُحاجِج الّذي يُخالف قوله حالَه، يُطالِبه المستمِع المُعترِض بتطبيق قاعدة العدل، بسبب علاقة التّبادل النّاشئة بين القول والحال؛ فهو يعمل عكس ما يقول.

- أَحلال عليكم وحرام علينا! المُحاجِج المُعترِض يُطالِب بتطبيق قاعدة العدل.

- قال تعالى:"قال إن تَسْخَروا منّا فإنّا نسخَر منكم كما تَسخَرون"(هود 38)؛ فالعلاقة الحِجاجيّة في الآية علاقة تبادليّة أو عكسيّة بين القضيّتين.

- قول القائل: ضَع نفسَك مكاني؛ وبناء على العلاقة التّبادلية بين الوضعيّتين، يتسنّى للمُحاجِج أن يُطالِب مُستَمِعَه بتطبيق قاعدة العدل.

4- حُجج التّعدية(arguments de trasitivité)[1]:

إنّ علاقة التَّعدية هي من العلاقات الشّكليّة شبه المنطقيّة الّتي تسمح لنا بالمرور من العلاقة بين **أ** و **ب** وبين **ب** و **جـ** إلى العلاقة بين **أ** و **جـ**؛ وهذا إجراء استنتاجيّ بناء على علاقة التّعدية، ومن أنماطها: التّعدية بالتّساوي، التّعدية بالتّفوّق(superiorité) وعلاقة التّضمّن(inclusion)، ومن أمثلة التّعدية قول القائل:

- عدوُّ عدوِّي صديقيّ؛ فتأسيس علاقة الصَّداقة هنا على علاقة التّعدية الممكِنة، فالصّداقة في المُتعارَف عليه أنّها تتمّ بين صديق وآخر، تجمعهما علاقة تفاهُم وِدّيّة إلاّ أنّها تتعدّى هذه الصّداقة إلى طرف ثالث وهو "عدوُّ عدوّي" صديقيّ؛ وهذه الصّداقة

[1]-أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص329، 330. وانظر:
-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص46، 47. -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص142، 144.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp305, 311. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp97, 108. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p107. -l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, p51.

صداقة ستراتيجيّة قائمة على منطق المصلَحة، ومن أهمّ العلاقات الّتي تقوم عليها حُجج التّعدية "علاقة التّضمُّن"(la relation d'implication)، نحو قولنا: مات سقراط لأنّه إنسان، فنستنتج النتيجة المُضمَرة أنّ: كلّ إنسان فانٍ، وهذه العبارة الأخيرة مُضمَرة ومُتضمَّنة في السّالفة، وتظهر علاقة التَّعدية بالتّضمّن في قولنا: ستنجح لأنّك مجتهِد، تتضمَّن "المجتهِد ينجح".

✓ **الحُجج شبه المنطقيّة القائمة على العلاقات الرِّياضيّة**[1]: ومنها:

1- إدماج الجزء في الكلّ[2]:

ينطلق المُحاجّ من هذا النّمط من الحُجج الّتي تقوم بإدماج الجزء في الكلّ مُعتقِدا أنّ ما ينطبق على الكلّ من أحكام وسمات يمكن أن ينطبق على أجزائه المكوِّنة له، نحو القاعدة الفقهيّة القاضية بـ: ما أسْكَرَ كثيره فقليله حرام؛ فهذا النّوع من القواعد الفقهيّة خاضعة لحجّة شبه منطقيّة، تُدمِج الجزء(شربة خمر) في الكلّ(الخمر الكثير)؛ فعلّة التّحريم هنا هي "الإسكار"، والسؤال الّذي يطرح نفسَه هنا هو: هل تناوُلُ قليل من الخمر غير المُسكِر حرام؟ وهل مدار التّحريم حول علّة الإسكار أم المواضع الكمّيّة؟.

2- تقسيم الكلّ إلى أجزائه[3]:

تُفيد الحُجج الّتي ترمي إلى تقسيم الكلِّ إلى أجزائه الّتي يتكوّن منها أنّنا نُسلِّم، سلَفا، بأنّ الكلَّ موجود فتُقوِّي حضورَه(augmente la présence) بواسطة التّصريح بالحديث عن أقسامه

---

[1]-أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص330 وما بعدها. وانظر:
-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص47، 48. -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص145، 148.

[2]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص47، 48. وانظر:
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp311, 314.

[3]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص48. وانظر:
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp315, 325.

أو أجزائه المُكوِّنة له، فحين يتَّخذ المتكلِّم المُحاجِجُ مقدِّمةً مفادها أنّ: المدينة جميلة، عليه أن يُعدِّد شوارعها وحدائقها ونمط الحياة الجميلة فيها، كي يزيدها حضورا في ذهن المُخَاطَب، وإذا اِدّعى المُحاجِج أنّ "الدّولة متطوِّرة" فعليه أن يُعَدِّد مجالات الحياة والقطاعات الّتي تشهَد بفكرة التّطوُّر، فتراه يُجمِل القولَ ثمّ يُقسِّمه إلى أجزائه، وكلّما بَسَط الحُجج في تلك الأجزاء كلّما اقتَنع المخاطَب بتطوُّر الدّولة.

✓ **الحُجج المؤَسَّسة على بنية الواقع**[1]:

تسعى الحُجج المتأسِّسة على بنية الواقع إلى الرّبط بين الأحكام المُسلَّم بها كبنية واقعيّة لا مجال للشَّكّ فيها، وأحكام يؤسِّسها الخطاب أو النّص، ويجعلها مقبولةً ومعقولةً من خلال جعلها تَندرِج في كلّ متكامل، فيضطرّ المُخاطَب إلى التّسليم بما ورد من حُجج، تُدرِج أحكاما جديدة بسبب اتّصالها بالأحكام السَّابقة المتَّفَق عليها، وهذا لا يعني أنّها موضوعيّة مطلَقا، وإنّما تقارب العلاقة الاتّصاليّة بما يرِد من آراء(opinios) ووقائع(faits) أو حقائق(vérités) أو افتراضات(présomptions)، ومن أنماط الاتّصال الحِجاجيّ بين ما هو كائن وما سيكون من أحكام نذكر:

أ- وجوه الاتّصال التّتابعيّ[2]:

1- حُجج الوصل السّببيّ: وهي ثلاث وظائف[1]:

---

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص49، 54. وانظر:
-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سَلمان، مرجع سابق، ص100. -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص149 وما بعدها.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp351, 470. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp95, 134.

[2]-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp354, 394. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp96, 118.

- ربط تتابعيّ بين حدَثين برابط سببيّ، نحو: مرِض فمات.
- استخلاص سبب من حدث أو واقعة ما، نحو: مات لأنّه كان مريضا.
- التّنبُّؤ أو التّكهُّن بالنّتائج الّتي تترتّبُ عن واقعة ما، مثل: يقود سيارتَه بسرعة جنونيّة ستنقلِب به.

إنّ الوصل السّببيّ يتحرّك في اتّجاهين متعاكسين: من السّبب إلى النّتيجة ومن النّتيجة إلى السّبب الحُجج الواصلة بينهما بـ **الحُجّة البراغماتيّة**[2](l'argument pragmatique)، وتظهر براغماتيّتها-حسبَه- في أنّها تُعطينا تقيِّيما وتقويما لعمل ما أو حدث أو سلوك أو رأي ...إلخ، وهذا بالنّظر إلى نتائجه الإيجابيّة أو السّلبيّة المترتّبة عنه، وهي تتجاوز التّقيِّيم(التّثمين) والتّقويم إلى توجيه السّلوك نحو عمل معيَّن.

2- حُجّة التّبذير(l'argument de gaspillage)[3]: يقوم هذا الصِّنف من الحُجج على الاستمراريّة والاتّصال والتّتابع بين الأقوال والأفعال، ولا تعتمد على السّببيّة، نحو قول رئيس الحزب: ما دُمنا انهزمنا في الانتخابات سنستمرّ في النّضال السِّياسيّ حتّى الانتصار، فلو ننسحب يكون مضيعة لكلّ مجهوداتنا السّابقة.

---

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص49، 50.وانظر:
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp354, 357. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p61, 68. -l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, pp27, 32.

[2]-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp357, 264. .-l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, p27, 28.

[3]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص50.وانظر:
-الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص152، 154.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp375, 379.

3- حُجّة الاتّجاه وحُجّة العَدوى(l'argument de direction et de contagion)[1]: أمّا حجّة الاتّجاه فتقوم على الاتّصال والتّتابع، مثل: إنّ هذا الإهمال سينتهي بكم إلى الإفلاس، وأمّا حجّة العدوى كالتّحذير من انتشار الفعل وتفاقمه وتوسّعه وصعوبة التّحكّم فيه، نحو:"إنّما مثَل الجليس الصّالح والجليس السّوء كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المِسك: إمّا أن يُحْذِيك، وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحا طيِّبة، ونافخ الكير: إمّا أن يحرق ثيابَك، وإمّا أن تجد منه ريحا خبيثة"(أخرجه البخاريّ ومُسلِم عن أبي موسى الأشعريّ).

ب- وجوه الاتّصال التّواجدي[2]: ومن أنماطه:

1- الشّخص وأعماله[3]: تنشأ علاقة الاتّصال بين الشّخص وأعماله فهو عُرضة للتّقويم من الآخرين من خلال صفاته وأقواله وآرائه وأعماله، فهذه المعطيّات تُساعد على فهم الشّخص والحُكم عليه من أعماله وممّا توفَّر لدينا من أفكار ومعلومات سابقة حوله، لأنّها تُشكّل نواياه ومقاصِدَه الخفيّة والمُضمَرة في خطابه، ونلاحظ هنا المسار الحِجاجيّ، يتحرَّك في اتّجاهين متعاكسين: من الشّخص إلى أعماله، ومن أعماله إلى شخصه، ولهذا فثمّ تداخل بين الشّخص وأعماله، مثال:

- من يُؤلِّف كتابا فلسفيّا لا يكون إلاّ ذكيّا، هذا الملفوظ يُوضّح لنا الحُكم على شخص المتكلِّم من خلال أعماله وتقويم ذكائه.

---

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص50. وانظر: -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص154، 155.

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp379, 394.

[2]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص51، 54. وانظر: -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص155 وما بعدها.

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp394, 470. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp118, 130.

[3]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص51، 52.وانظر:

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp394, 398.

-لا يستقيم الظّلّ والعود أعوج؛ هذا الملفوظ يصل شخص المتكلِّم بأعماله، نحو: الولد سرّ أبيه.

2- حجّة السّلطة(l'argument d'autorité)[1]: يذكُر المتكلِّم المُحاجج في حِجاجه أشخاصا مخصوصين وأقوالهم وآراءهم، ويدْعم بها كلامه لأنّ لهم سلطة ما مُعتَرَفا في مجال تخصُّصهم بها لدى الجمهور ، ومن أنماط السّلطات: السّلطة الفقهيّة "إجماع الأمّة"، السّلطة الإعلاميّة "الرّأي العامّ"، السّلطة السِّياسيّة "صندوق الإقتراع"، السّلطة العلميّة "الجامعات ومراكز البحث العلميّ"، السّلطة الكهنوتيّة "القساوسة والباباوات في الكنائس"، السّلطة الدّينيّة "الأنبياء والمُرسَلون"...إلخ؛ وليس بالضّرورة أن تكون حجّة السّلطة تستَنِد إلى شخص ذي سلطة ما فحسب، بل يمكنها أن تستَنِد إلى مؤسّسة رسميّة: قانونيّة "قضائيّة، تشريعيّة، تنفيذيّة"، علميّة...إلخ، أو إلى خطابات ونصوص ذات سلطة في مجالها كـ: أقوال الأنبياء، الكتب المقدّسة، فتاوى الفقهاء والمفسّرون، كلام علماء الطّوائف الدِّينيّة، الكلام المأثور من أمثال وحِكم...إلخ.

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص52، 53. وانظر: -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص158 وما بعدها.

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp410, 417. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p146, 148.-de la citation à l'autorité: liberté et contrainte dans le discours argumentatif, Renaud Gazalbou, dans: voix et marqueurs du discours: des connecteurs à l'argument d'autorité, sous la direction de Jean-Claude Anscombre, Amalia Rodriguez Somolinos et Sonia Gomez-Jordana Ferary, ENS(école normale supérieure de Lion) éditions, France, 2012, pp247, 251. -l'argumentation, des technique pour convaincre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, pp72, 73.

3- الاتّصال الرمزيّ(la liaison symbolique)[1]: ونقصِد به العلاقة النّاشئة بين الرّمز والمرموز إليه، كرمز **الميزان** الّذي يرمز إلى العدالة والمَحكمة، **والعلَم** كرمز يتَّصل تواجديّا بالوطن، **والصّليب** كرمز يُشير إلى المسيحيّة، **والهِلال** كرمز للإسلام، وهذه الرّموز الماديّة تستحضِر عواطف وأفكار ومنظومات، تعود إلى علاقة المشارَكة القائمة بين الرّمز ومَرموزِه، وكلّ رمزٍ له سلطتُه عند الجماعة الّتي أنشأته وأعطته قيمة رمزيّة ودلالة معيَّنة، فعلى المُحاجِج أن يعرِف صناعة الرّمز وقيمَتَه ومعناه عند المخاطَبين والجمهور، لأنّ الرّمز لا يؤثّر إلاّ في الجمهور الّذي يُقرّ بالاتّصال بين الرّمز ومرموزه.

- ✓ **الاتّصال المؤسِّس لبنية الواقع**[2]:

1- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة[3]: من أنواع الحُجج الّتي تؤسِّس لبنية الواقع، نذكر: **المَثَل**[4] (l'exemple)، ويحُلّ محلَّ المقدّمات عند انعدامها، فينطلق المُحاجِج من ذكر مثال كحالة خاصّة، ويسمح الاتّفاقُ بشأنه بإسقاطه على حالات خاصّة مشابِهة، ويُساعد

---

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص53، 54.وانظر:
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp446, 453. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp130, 134.

[2]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص54، 61.وانظر:
-كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، علي محمّد علي سَلمان، مرجع سابق، ص100، 101. -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص165، وما بعدها.
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp471, 609.

[3]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص54، 56.وانظر:
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp471, 499.

[4] -traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp471, 480. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp119, 137. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p43, 44.

على تأسيس قاعدة عامّة مُبرَهَنة. **البيِّنة** (témoigniage) أو **الاستشهاد**[1] (l'illustration)؛ وشأنُهما رفع درجة التَّصديق للرّأي أو الموقف أو القضيّة المطروحة للنِّقاش، ويدعَمان الرّأي بما يُقدِّمانه من توضيح (rendre clair)، والمَثَل يسبق القاعدة، في حين أنّ الاستشهاد يَلحَقها لتقويّة الحُجّة ويجعَل القاعدة ملموسة واضحة.

2- النّموذج والنّموذج المضادّ(عكس النّموذج) (le modèle et l'anti-modèle)[2]: ونقصِد بالنّموذج أن يكون شخصٌ ما "**قدوةٌ**"، يقتفي الآخرون سلوكَه، ويُؤسِّس قواعد سلوكيّة عامّة، يَنسِج النّاس على منوالِها، مثل: الأنبياء والعلماء ، القادة والزّعماء، ، المشاهير...إلخ، ولكلِّ عصر نماذِجُه وعلى الشّخص النّموذج أن يلتزِم باستمرار بتلميع صُورَته كي يُصبح حجّة في ذاته ويُحافظ على حُجِّيته، وحجّة "**النّموذج**" هذه تَتضادّ مع حجّة "**عكس النّموذج**" الّتي تدعو إلى كسر النّموذج والانفصال عنه.

3- التّمثيل (l'analogie)[3]: يُعَدُّ التّمثيل من الحُجج الّتي تقوم على الاتّصال الّذي يُؤسِّس بنية الواقع؛ فالتّمثيل-حسب بيرلمان وتيتيكا- له مكانتُه الحِجاجيّة لأنّه أداة تُساعد على البرهَنة

---

[1] -traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp481, 488. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp137, 140. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p45, 48. -l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, pp19, 21.

[2] -في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص55، 56.وانظر: -الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، علي الشبعان، مرجع سابق، ص176.

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp488, 495. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp140, 143. -les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p48, 49.

[3] -في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص56، 61.وانظر:

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp499, 504. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp127, 157. -les technique d'argumentation les plus sures,

وإصدار الأحكام وصياغة قواعد لأنّ التّمثيل مواجَهة بين بنى متشابِهة، وإن كانت من مجالات مختلِفة:

- قال تعالى:"**مَثَل الّذين اتّخذوا من دون الله أولياء كمَثَل العنكبوت اتّخَذ بيتا وإنّ أوهَنَ البيوت لبيت العنكبوت**"[1]. ونجد في هذه الآية أربعة عناصر لا تجمع بينهما "**علاقة تشابه**" بل "**تشابه علاقة**"، وهي: علاقة المشركين بأوليائهم كـ علاقة العنكبوت ببيتها؛ والعلاقة الأولى يسمّيها المؤلّفان "**الموضوع** thème" والعلاقة الثّانيّة "**الحامِل** phore"؛ والحامل يُوضّح العلاقة الّتي يؤسّسها الموضوع أكثر، ويُشتَرَط في الموضوع والحامل أن يكونا من مجالين مختلفين وليس من مجال واحدٍ فيُعَدَّان كـ البيِّنة والمثل والاستشهاد.

ثم كيف ينبغي أن نستخدِم التّمثيل في الحِجاج (التّمثيل وتَحْجيَّته)؟[2]:

يظهر الدّور الحِجاجي للتّمثيل في أنّ التّمثيل يفتح المجال للموضوع المطروح بواسطة الحامل المتضمّن فيه (التّمثيل)، ويُدرِجه في إطاره المفهوميّ ويُوضّح بنيّته (الموضوع)، ويُشترَط في تحْجيّة التّمثيل أن يلتزم حدّا معيّنا من الطّول، فالإكثار من التّمثيلات في نصّ أو خطاب ما قد يقدَحه المخاطَب، وعلى المُحاجِج أن يُدرِك التّفاعل بين أطراف التّمثيل (الموضوع والحامل/ المُمثَّل له والمُمثِّل)، وتقوى حِجاجيّة التّمثيل من خلال: إيجازه وكثافته واندماج أحد عناصر الموضوع مع أحد عناصر الحامل، ويستعير أحدهما صفات الآخر، وكلّما تجذّرت الاستعارة أو التّمثيل الاستعاريّ ورسُخت في جماعة لسانيّة ما كلّما

convaincre avec clairvoyance, Lionel Bellenger, op cit, p89, 93.-l'argumentation, des technique pour convaicre, connaissance du problème, Lionel Bellenger, op cit, pp41, 43.

[1] -العنكبوت، الآية41.

[2] -في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص60، 61.وانظر:

-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp517, 534.

أَلِفها النّاس وغدَت صورة نمطيّة(cliché) يسهُل قبولها والتّسليم بها، وأصبحت مادةً ثقافيّة ومعرفيّة مُندَسةً في البُنى اللّغويّة.

ب- الطرائق الانفصاليّة في الحِجاج (الفصل بين المفاهيم)[1]:

إذا كانت الحُجج الّتي أتينا على ذكرها آنفا في سياق حديثنا عن الطّرائق الاتّصاليّة في الحِجاج؛ ومنها الحُجج شبه المنطقيّة والحُجج المؤسَّسة على بنية الواقع والحُجج المؤسِّسة لبنى الواقع، فإنّ الحُجج الانفصاليّة تقوم على مبدأ الفصل بين المفهوم الواحد[2] الّذي يُعيِّنه اسم واحد وتفكيكه وجعلُه مُزدوَجا، وكسْر وحدة المفهوم، ويتمّ الفصل الحِجاجيّ بإحداث زوج "ظاهر وباطن"؛ وينطلق هذا الزّوج[3] من فرضيّة مفادها أنّ: لكلّ مفهوم أو شيء أو شخص أو عمل...إلخ ظاهر زائف وباطن واقعيّ وحقيقيّ؛ ويُمثِّل الظّاهر الحدّ الأوّل: يخطُر في الذّهن بصورة مباشرة ويسهُل فهمه واستيعابه، فهو من ضمن المعطيّات المباشِرة والحاضرة. ويُمثِّل الباطن الحدّ الثّاني: لا يمكن فهمه وتمييزه إلاّ بوعي علاقته بالظّاهر من خلال مقارنتهما ببعضهما، وفصل الباطن الحقيقيّ الغائب عن الظّاهر الزّائف، ويُمثِّل الحدّ الثّاني القاعدة (المثال والأصل) الّتي تُتيح لنا إبراز ما في الحدّ الأوّل من تناقضات أو زيف أو مغالَطة أو مناوَرة؛ فهو عمليّة تأويليّة تُفسِّر الظّاهر وتُقيِّمُه وتُقوِّمُه.

ويتوسَّل المتكلِّم المُحاجِج تعابير لغويّة تفصِل بين المفاهيم، نحو: في الحقيقة، في الواقع، واقعيّا(réellement)، ظاهريّا(apparement)، يُشبه كذا(pseudo)، شبه علميّ(pseudo-scientifique)، لا أخلاقيّ، لا علميّ، غير صحيح، غير هذا، آخر...إلخ، وجمل عتراضيّة نحو:

[1]-في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مرجع سابق، ص61، 66.وانظر:
-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp550, 609. -L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, op cit, pp139, 171.

[2]-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp550, 555.

[3]-ibid, pp556, 561.

إن صحّ هذا التّعبير، وأفعال نحو: يزعُم، يتوهَّم في قولنا، يعتقد أنّه عالِم، ووضع اقوال بين قوسين مثل: وكنت حينذاك "شابا يافعا"...إلخ.

تلك العبارات والأفعال والجمل الاعتراضيّة تُقوّي حِجاجيّتها من خلال فصلها داخل المفهوم الواحد بين ظاهره الّذي يَسِمُه الزّيف وحقيقته الّتي ليست له، فيُصبح المفهوم الواحد ذا حدّين متنافرين ومتعارضين، نحو قول القائل: **إنّ طالبا لا يعرف منهجيّة إعداد بحث التّخرّج ليس طالبا.**

نتبيّن من هذا القول أنّ المتكلِّم المُحاجِج لجأ إلى إعادة تعريف الطّالب واستبعاد تعريف آخر، يراه زائفا متوسِّلا فصل الحقيقة(ليس طالِبا) عن الظّاهر الزّائف(الطّالِب في عمومه)؛ فجاء هذا التّعريف يزعُم تقديم المفهوم الحقيقيّ للطّالب. بالإضافة إلى أنّ المُحاجِج قد يدعَم تمثيله وتعريفه بالاشتقاق العلميّ(l'étymologie) نحو: كلّكم من آدم وآدم من تراب(حديث)، وقول القائل: سُمّي القلب بالقلب لِتقلُّبه، والقصد الحِجاجيّ من هذا النّمط من الفصل هو: دعوة المُخاطَب إلى ترك الظّاهريّ الزّائف واعتناق الواقعيّ الحقيقيّ.

إنّ المبالَغة في التّفصُّح والإغراق في الخَطابيّة يجعل صاحبَه عُرضةً للنّقد والاعتراض؛ فالمخاطِب يحكم على حِجاج مخاطَبه بقوله مثلا: **هذا كلام خَطابيّ**، ويكون قد أحْدَث فصلا حِجاجيّا، بحكمه هذا، بين الخَطابيّ الزّائف وغير الخَطابيّ الواقعيّ والحقيقيّ، فيُشعِر بذلك المخاطَب بعدم نجاعة حِجاجه، ولنا في هذا التّصنيف أمثلةٌ متداوَلة، مثل: شعر الصّنعة وشعر الطّبع، الشّكل والمضمون، القول والفعل...إلخ؛ ولهذا يَشترِط بيرلمان وتيتيكا في هذا السِّياق شرطا مؤدَّاه: على الخِطاب النّاجع أن يتجنّب ضروب الفصل الّتي يمكن للمتلقي أن ينتبه إليها، وخصوصا إذا ظهرت القطيعة(la rupture) بين الشّكل

والمضمون، أو بين المقال والمقام، أو بين المعقول واللامعقول، وبين المنطقيّ وغير المنطقيّ...إلخ[1].

وإلى جانب ما أوردناه حتّى الآن من منطلقات الحِجاج وتقنيّاته، نضيف إليها عرضَ تقنيّات التّذويت أو الذّاتية في الخِطاب وأبعادها الحِجاجيّة والتّفاعليّة، ويرجع فضل السَّبق إلى ايميل بنفنيست في طرح فكرة الذّاتية في اللّغة ووصفها لسانيّا، وهذا حين نشر عام 1958م في صحيفة علم النفس(journal de psychologie) مقالا تحت عنوان :" الذّاتيّة في اللّغة"(de la subjectivité dans le langage)[2].

ثالثاً- مفهوم الذّاتية (subjectivité):

والذّاتية عند بنفنيست هي:" قدرة المتكلم على أن يطرح نفسه" ذاتا"، واللّغة التي ينبغي أن نبحث فيها عن أسس هذه القدرة؛ ففي اللّغة وبها يجعل الإنسان من نفسه ذاتا وهو يتوصّل إلى ذلك بتوخي بعض الصّيغ التي توفرها له اللغة لهذا الغرض"[3]، وتتجلى هذه المقدرة، حسبه، في: الضّمير "أنا" كعنصر إشاري يمثل ذاتيّة المتكلم، وتوظيفه في الخطاب يؤسّس الوعي الذّاتي بـ"الأنا" والآخر "أنت"؛ فبمجرد التّلفظ بالضّمير "أنا" يتضمن المخاطَب "أنت" بسبب أن المتكلّم يتوجّه بخطابه لمن يتلقاه (يسمعه ويقرأه)؛ فالذّاتية الخطابية تستقي مبرّرات وجودها من المقابلة مع **البينذاتيّة الخطابية**(intersubjectivité discursive).

وتُسهم أدوات لسانية أخرى غير الضّمائر لتأكيد الذّاتية والبينذاتية في الخطاب نحو: العلامات الإشارية (déictiques)، وهي:الإشاريات الزمانية: الآن، غدا، أمس، قبل أسبوع...الخ، والإشاريات المكانية: هنا، في المكتب، داخل المدينة...الخ، والإشاريات

[1]-traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, op cit, pp561, 568.

[2]-ذاتية، subjectivité، كاترين كير برات أوركيوني، معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ص536.

[3]-المرجع نفسه، ص536، 537.

الشخصية، وأسماء الإشارة: هذا، هذه، هؤلاء...الخ، وأيضا الأفعال الجهية: ظنّ، اعتقد، يؤمن...إلخ، وتعبّر في مجموعها عن موقف المتكلم(الموقف الذّاتي الخطابي) الذي تبرزه العلاقة الاسناديّة ومحتوى التّلفظ نحو قول القائل:

أ-الطقس سيتغير(موضوعي غير شخصي).

ب-أظن أن الطقس سيتغير(ذاتي).

لا تظهر الذّاتية الخطابية في الجملة(أ) بسبب غياب علاقة الإسناد للمتكلم والتّعبير عن الموقف من المحتوى الدّلالي للجملة (أ)، في حين أن الجملة (ب) يمكن التماس الذّاتية في الفعل"أظن" المسند إلى المتكلم، الّذي يحدد موقفه من "الطقس"؛ وهكذا فوعي الذّاتية له مؤشرات لسانية تجعل الوجود اللفظي للشخص داخل خطابه ممكنا عبرها[1].

استأنفت (كاترين كيربرات أوركيوني) المشروع اللِّساني الذي أسّسه (بنفنيست) حول "الذّاتية في اللغة"، وصاغته في كتابها "فعل القول من الذّاتية في اللغة"، ووصفت فيه الوحدات اللّسانية الواسمة للذاتية (subjectivité) في نظام اللّغة والخطاب، وحضورها سواء بالقوة أو بالفعل، وتقول كاترين :"لم يكن لنا أن نحاول جرد الوحدات " الذّاتية" دون أن نتأمل أولا حالة وحداتها اللسانية حيث ملاحظتها هي أصل التفكير" اللكسولوجي"(lexologique)، والّذي نسمّيه قرائن إشارية(déictiques)، أو(shifter)"[2].

[1]-ذاتية، subjectivité، كاترين كير برات أوركيوني، معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، مرجع سابق، ص537.

[2]-فعل القول من الذّاتية في اللغة، كاترين كير برات أوركيوني، ترجمة محمد نظيف، افريقيا الشرق، المغرب، 2007م،ص51. وانظر:

-l'énonciation de la subjectivité dans le langage, Catherine Kerbrat-Orecchioni, Armon Colin, Paris, 1980, p34.

وتعرّفها بكونها:" فئة من الكلمات، يتغيّر معناها حسب المقام"[1]، وارتباطها بالمقام التواصل الميتالساني، يفرض على الدارس ضبط بعض المعايير التكوينية لمقام التلفظ[2].

وترتبط الإشاريّات[3] بمفهوم المَرجعيّة، ومن تمام التواصل أن: يتمكن المتحاوران من ضبط الوظيفة المرجعية لموضوع التّواصل: حقيقة كان أم خيالا؛ لأن اللّغات الطبيعية تخلق العوالم المرجعية الممكنة؛ سواء أكانت عوالم واقعية أو عوالم متخيلة، والمرجعية(référence) هي ثلاث أنماط-حسب كيربرات أوركيوني- نمثلها بالمثلث التالي:[4]

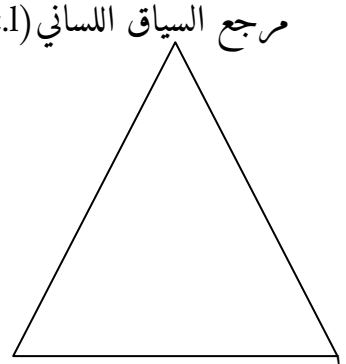

ونُمثل لهذه الأنماط بالأمثلة الثلاثة التالية:

1. فتاة شقراء ⟵ تسمية مطلقة (مرجع مطلق).

[1]-فعل القول من الذّاتية في اللغة، كاترين كير برات أوركيوني، مرجع سابق، ص51.

[2]-المرجع نفسه.ص.51

[3] -l'énonciation de la subjectivité dans le langage, op cit, pp34, 142.

[4]-فعل القول من الذّاتية في اللغة، كاترين كير برات أوركيوني، مرجع سابق، ص53.

2. أخت بيبر ← في هذا المثال بيبر اختير كعنصر مرجعي غير مطلق لأن كلمة" أخت" يمكن إضافتها إلى عناصر مرجعية أخرى كقولنا:" اخت جون"، بنت عم روبير...الخ، وتحديد الذّاتية هنا تمّ في إطار " كلمات القرابة".

3. النمط الثالث: حين يتم تمثيل الأشخاص بالضّمائر وأَشكالها الإعرابية: أنا، أنت، هو...الخ؛ إنّ التأويل المرجعيّ لهذه الوحدات الذاتية، يتمّ في إطار إكراهات المقام الإشاريّ، الّذي يحدّد دور تلك الذّوات في التّواصل (متكلم، مخاطب، خارج الحوار...إلخ).

ومن العناصر التّكوينية التي تنضاف إلى المرجعية نذكر: المقام الزماني والمكاني(spatio-temporelle)- ودور كل من القائل والمخاطب وعلاقتهما بموضوع التّواصل ومواقفهما-، ومراجع الإشاريات تتغيّر بينما دلالتها ثابتة فالضّمير "أنا" مثلا دائما يخبر عن إسناد القول لقائله؛ فهو شكل فارغ خارج التّلفظ، ولا يحمل معنى إلا حين يباشر المتكلم خطابه بقوله: "أنا " فتتحدّد المرجعيّة والذّاتية معا[1].

إلى جانب "**الإشاريَّات**" (déictique) التي تعدّها أوركيوني الوحدات اللّسانية الواضحة في إعلانها للذّاتية؛ أي حضور ذات المتكلّم وصورته في خطابه "وجد اللسانيون أنفسهم مواجَهين بمشكل الحضور الكلّي(omniprésence) لهذا المرسل في الإرساليّات، في جملة نحو:" هذا جميل" (c'est beau) المعبَّر بها خارج السّياق في مقام تبادل شفهي، "اسم الاشارة" بطبيعة الحال قرينة إشارية، ولكن الوصف "جميل" هو أيضا يتضمن المرسِل: استعمال هاته الكلمة التي تضفي قيمة معينة مرتبطة بالطبيعة الخاصة لموضوع فعل-القول، لهاته الشّبكة التقييمية، لهاته القنوات الجمالية"[2]، وتندرج ضمن القرائن الإشاريّة

[1]-فعل القول من الذّاتية في اللغة، كاترين كيراث أوركيوني، مرجع سابق، ص54.
[2]-المرجع نفسه، ص100.

كواسمات للذّاتية كلّ "الوحدات اللسانيّة ذات القيمة الانفعالية وذات المحتوى التقويمي"[1]، وقد خلصت أُوركيوني في نهاية كتابها "فعل القول من الذّاتية في اللّغة" إلى الإقرار بأن: الذّاتية مسجَّلة في كل تلفظ، ولهذا فكلّ خطاب موسوم ذاتيا[2].

1- **ذاتُ الخِطاب** (sujet du dissours) **والذّاتية الخِطابية** (subjectivité discursive):

يترتّب عن النّشاط اللغوي أو فعل التّلفظ الذي تقوم به الذّات المتكلمة (المتكلم) مشكلات منهجية تتعلق بملابسات التبليغ في مقام التواصل وقنواته، وما تفرضه على المتكلم من ستراتيجيات تكوين الخطاب وبنائه وإخراجه وفق إكراهات: لغوية، معرفية، نقدية، اقناعية، حجاجية، تواصلية...الخ، معلنة أو مضمرة، فردية أو جماعية، وما تفترضه الذّات من مواقف المخاطب وتأويلاته وردوده، وهكذا يتموضع المتكلّم ذاتا خطابية ثلاثية الاقطاب: تواصلية، خطابية ولسانية[3].

إن تخطيب الذّات أو تذويت الخطاب هو: عملية تحويليّة- أساسا- تتلخّص في تحويل الشّخص المتكلّم كذات ميتالسانية إلى ذات خِطابيّة، تنصهر سماتها غير اللّغوية (عقلية، نفسية، اجتماعية، فيزيولوجية، ايديولوجية، مقاماتية...الخ) في التشكيلات الخطابية، وتتحدّد صورتها وهويتها اللّفظية داخل الخطاب، ويتعرف إليها المخاطَب من خلال الواسمات اللّغوية -داخل الخطاب- للذّات المتكلّمة[4].

2- **أنماط الذّوات** (type du sujet):

[1]-فعل القول من الذاتية في اللغة، كاترين كيراث أوركيوني، ص100.
[2]-معجم تحليل الخطاب، باتريك شاردورو، مرجع سابق، ص537.
[3]-المرجع نفسه، ص538.
[4]-نفسه، ص538.

يميز(أوسفالد ديكرو) في إطار "التَّداوليات المدمجة" بين ثلاثة أنماط من الذّات المُنجِزة لنشاط لغوي:

أ- ذات افتراضيّة: وهي ذات اختبارية مجردة سابقة لأيّ نشاط لغوي، وهي عنصر ضروري من عناصر التواصل.

ب- ذات خِطابية: وهي المتكلم أو القائل، وإليه ترجع مسؤولية قوله والقائه.

جـ- ذات تلفظ صرف: وهي التي توجّه الخطاب أو الملفوظ نحو نتيجة معينة، ونتعرَّف إليها من خلال هويتها الخطابية(واسمات الذّاتية)، وأمّا (باتريك شارودو) فيصنّف ذوات اللغة في الجدول الموالي[1].

ذات	موقع انتاج	موقع تقبل
خارجي (عن الخطاب)	متكلم مؤلف	متقبل، مخاطب، الموجه اليه الخطاب، سامع، قارئ.
داخلي (في الخطاب)	متلفظ سارد مؤلف مثالي	مرسل اليه، الموجَّه اليه الخطاب، متلفظ مشارك، متقبل السّرد، قارئ مثالي.

3- الإيتوس والهوية اللفظيَّة:

كان القدامى اليونانيون يلحّون على الخطيب أن يستلهم "الإيتوس" في كتاباته، من حيث هو صورة ذاته المأثورة والمفضَّلة، تُخرِج سلطتَه ومصداقيتَه (crédibilité)، وقد ألف عالم الاجتماع الأمريكي غوفمان أرفينج عام 1956 كتابه حول الإيتوس بعنوان:presentation of self in Every Day life" " (1956)، ونقل إلى الفرنسية تحت

[1]-معجم تحليل الخطاب، باتريك شاردورو، مرجع سابق، ص538.

عنوان: la mise en scène dans la vie quotidienne "1973"، ويتمحور الكتاب حول فكرة مركزية: تهتمّ بتقديم الذّات كصورة شخصيتنا التي نصمّمها ونعرضها في تفاعلاتنا اليومية لنضمن لها وجاهتها واشتغالها جيدا، إنّ مَسرَحة الذّات - بشكل عفوي أو ممنهج- التي يدرسها علم النفس وعلم النفس الاجتماعي تحت مصطلح: "تسيّير الانطباعات " gestions des impression"، والبحوث التواصلية تنحصر- شيئا فشيئا- في "صناعة صورة" تفرض نفسَها في وسائل الإعلام (médias) وبواسطتها؛ حيث أصبحت بمثابة الخبز اليومي للشّخصيات السّياسية (personnalités) والمترشحين في الانتخابات، والحاملين للشّهادات الجامعية والمهنية حين يُقدّمون أنفسهم للحصول على العمل أو تسيير مؤسسة؛ وهؤلاء وغيرهم، وأنا وأنت أيضا، نصنع صورةً لذواتنا في الممارسة الاجتماعيّة، ويمكن دراستها في وجهات نظر مختلفة أو مركبة: لسانية، تواصلية، اجتماعية، سياسية، أو نفسية، ويبدو أن ترك الانطباع المحمود عن الذّات في الخطابات والنّصوص والمحادثات اليومية أمر يرتبط بلعبة الكلمات (le jeu de mots)، وإطلاق القواعد اللّغوية والتّداولية وفهم مكانيزماتها[1].

نعتمد في دراستنا للايتوس على مورد: اجتماعيّ وظيفيّ، وآخر بلاغيّ، وآخر تحليل الخطاب، لنتمكن من فهم وتأويل أفضل لكيفية بنائنا لذواتنا في تفاعلاتنا مع غيرنا الملأى بالأدوار الاجتماعية؛ إنّها ظاهرة مركبة تحتاج إلى رؤية شاملة لمناهج متعددة، وخطورتها تتجلّى في حدوثها -باستمرار- في جميع المستويات لممارساتنا الاجتماعية وتفكيرنا حول التّواصل أو بناء الهويّة الذاتيّة؛ فالسّياسي الّذي يشتغل لتقديم ذاته في حملة انتخابية (campagne)، والطّبيب الّذي يتقابل مع مريض، والأمّ الّتي تتحدَّث مع أبنائها،

[1]-la présentation de soi, ethos identité verbale, Ruth amossy, presses universitaires de France, 1e edition, 2010.pp5, 6.

والصّحفي الّذي يكتب مقالا، والقاصّ الّذي يحكي قصّة في نصّ أدبيّ؛ هؤلاء جميعا يبنون "صورةً للذّات" الّتي تؤدي دورا رئيسا في التفاعل بإظهار أساليب وطرائق ورهانات هذه الصّورة، وتستوعب وضعَها على الرَّكح في مظاهرها المتعدّدة في أحضان مقاربة موحّدة، تدرس البناء الخطابي للهويّة تارة و النّجاعة اللّفظية تارة أخرى، من البعد اللّساني للصّورة الذّاتية في الخطاب (الايتوس الخطابي).

وننأى بمنهجنا عن منهج غوفمان أرفينج (erving goffman) الّذي قدَّمه في كتابه: تقديم الذّات في الحياة اليومية (1958)؛ حيث ركّز على الجوانب غير اللّفظية نحو: الديكور، الألبسة، العناصر الجسديّة...الخ، ونحن نوجه اهتمامَنا نحو: تقديم الذّات في الخطاب وصناعة الإيتوسيّة الخطابيّة، ونتحاشى الخوض في الآثار النفسية لإدارة الانطباعات (impressions) والأمثلة التجريبية الميدانية الّتي هي اختصاصات سيكولوجيّة، ولن نخوض أيضا في ما يتعلق بالمرئي (سيميائية وبلاغة الصّورة بإمكانهما دراسة الجوانب المرئيّة للصورة)، وما يهمنا هنا هو من يأخذ الكلمة والريشة وهو المتكلّم، حين يتوسَّل "موارد اللّغة" في مَسرَحة نفسه - بأقل تخطيطاً أو أكثر- لأغراض تواصليّة مختلفة؛ من الإشهار السّياسيّ إلى المحادثات الشائعة، إلى القضيّة الأدبية[1].

ننطلق في درسنا خلال هذا الفصل لتقديم الذّات كتقنيّة حِجاجيّة أو ما يدعى في التقاليد البلاغية منذ أرسطو بـ: "الايتوس"، وننطلق من فرضية مفادها: "إدماج الإيتوس في الخطاب" ليصبح ظاهرة لغويّة خطابيّة، وتشفع لنا مؤشرات نصّيّة محدّدة، وتمكّننا من الإمساك بها، ونتساءل: كيف تُستَلهَم صورةُ الذّات بشكل تجريدي في التّفاعل اللّفظي أين يواجه ضمير"أنا" ضمير"أنت أو أنتم" في علاقة تداوليّة وتفاعلية تَستلهِم النّماذج الثّقافية والمخيال الجماعي، المشتركة بين الذّوات المتفاعلة؟، وما هو دور الحالة الاجتماعية والتّمثيلات

[1]-la Présentation de soi, Roth amossy, op cit, pp6,7

الاجتماعيّة المرتبطة بالمتكلم؟ ووفق أيّ معيار يُسمَح للمتكلّم تعديل صورته السّابقة لإضفاء الشّرعية والسّلطة؟.

ولدينا نماذج ميدانية يمكن دراستها دراسة تجريبية مثل: الصّورة الرئاسية لرئيس دولة ما، أين يُطرَح بناء الهوية (الصّورة) في إطار سياسيّ وإعلاميّ (médiatique)، وأيضا علميّ وفلسفيّ، حين يكون الإيتوس مجهَّزاً في نصّ أدبيّ، وفي محادثة عادية بين المتكلّمين أو في منتدى النّقاش لمستعملي الانترنت (forum de discussion)[1].

سنقوم بتحليل وتأويل المدونة باحتساب البعد الحجاجي لرسالة الجاحظ في "حُجج النبوَّة"، إن الرّهان المركزيّ في الإطار التّطبيقيّ من هذا الفصل من البحث يتمحور حول: البناء التّقنيّ للحجج بالإضافة إلى الصّورة الذّاتية، ويستبعد الخطط غير اللّفظية: الجسمية والهندامية للمتكلّم، إلى جانب إبراز الحقيقة الاجتماعيّة (réalite) وكيفية انبنائها في التّفاعل اللّفظي[2].

[1]-Voir: -la Présentation de soi, Roth amossy, op cit, pp7,8

[2]-voir: ibid, p9.

رابعاً- الإطار التّطبيقيّ: تحليل منطلقات الحِجاج وتقنيّاته في"حُجج النّبوَّة" للجاحظ.

يُفيدنا نموذج بيرلمان وتيتيكا عند تطبيقه على مدوَّنة الجاحظ النّصيّة الّتي تعالج موضوع حُجج نبوَّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، بمعرفة المنطلَقات الّتي يعوِّل عليها الجاحظ في حِجاجه وبالتّقنيّات الحِجاجيّة الّتي يبني بها نصَّه الحِجاجيّ، ووفق ذلك المنظور نقسِّم منهجَنا إلى قسمين، وهما:

- **منطلَقات الجاحظ لإثبات نبوَّة محمَّد صلّى الله عليه وسلَّم.**

نحلِّل فيما يلي من كلامنا فصولاً من صدر كتابه"حُجج النّبوَّة"، ونحدِّد مداخل الجاحظ الّتي ينطلق منها في كلّ فصلٍ من حيث هي: وقائع وحقائق مسلَّمات وافتراضات مسبَقة مخزونة في المخيال الجماعيّ لدى جمهور جماعة ما، وقيم ثابتة تُحدِّد إطار النّقاش، وتوجِّه الحِجاج وتراقبه من بداية النّص الحِجاجيّ إلى نهايته.

ومن الجدير بالإشارة أنّ كلّ فصل من فصول صدر الكتاب يستقلّ بشخصيّته الحِجاجيّة كما لو أنّه نصٌّ منفردٌ إلاّ أنّ النّاظر في هيكلة الجاحظ لها يجد أنّ كلّ الفصول ترتبط بالمشكلة الكلّية المطروحة في الكتاب وهي"مشكلة النّبوّة"، وكلّ فصل يُثبت حجّة أو حُججاً تنضاف إلى غيرها لتلتئم في مجموعها وتسير نحو وِجهة حِجاجيّة واحدة، وهي أنّ محمّد صلّى الله عليه وسلَّم نبيٌّ، لنر الآن منطلقات الجاحظ فيما يلي:

مقدّمات الحِجاج: ونتطرّق إلى أقسامها فيما يلي:

قال الجاحظ:"إنّ النّاس موَكَّلون بحكاية كلّ عجيب، ومُيَسَّرون للإخبار عن كلّ عظيم، وليسوا للحسن أحكى منهم للقبيح، ولا لِمَا ينفع أحكى منهم لِمَا يضرُّ، وعلى قدر كِبر الشيء تكون حكايتهم له واستماعهم"[1].

يمهِّد الجاحظ لحجاجه بافتراض وقائع فطريّة، تختصُّ بالإنسان دون غيره من الكائنات، ويقدِّمها كمسلَّمات كونيّة، يحرص الجاحظ على أن يتقاسمها مع محجوجه قبل الشّروع في نشاط حِجاجيّ، لأنّ التّسليم بما ورد في هذه المقدّمات، يترتّب عنه التّسليم بما ينجرّ عنها من حجج ونتيجة، والتّسليم مرهونٌ بالتَّحجِية.

يوجّه الجاحظ محجوجَه ليس إلى الحكايات والأخبار في ذاتها وإنّما إلى فعل التَّحْكِية والتَّخْبير، وهو فعلٌ بشريّ فطريّ جُبل عليه الإنسان، وتؤشّر عليه صفتان في المقدِّمة، وهما "مُوَكَّلون ومُيَسَّرون"، فما بال المَحجوج لو كانت الحِكايات عجيبة والأخبار عظيمة، إلاّ أنّ إطلاق المقدِّمات دون تبرير معقوليّتها يُضعِف من درجة حُجّيتها؛ فالمَحجوج سيُطالب الجاحظ بأدلّة على ما قدَّمه من مسلَّمات كي ينخرط معه في قناعاته ومواقفه؛ فتلك المقدِّمة حقيقة مطلَقة لا ريب فيها، ويمكن تسميّتها بالمقدّمة النّتيجة، وتؤدّي دور الدّعوى الّتي تستدعي الاستدلال على حقيقتها، وإلاّ فلن يتقدَّم النّشاط الحِجاجيّ.

وتتكوَّن المقدّمة السّابقة من المنطلَقات التّالية:

1-الافتراضات المسبَقة: يباشر الجاحظ ومحجوجه حجاجَهما وهما مفترِضان أنّ كلّ عجيب مدعاة للحكي، وكلّ خبر عظيم مدعاة للإخبار، وأمّا الحكايات والأخبار العادية فلا تُحكى ولا تحفظها الذّاكرة الجماعيّة.

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، 1964م.

2-الهرميّات: تنقسم الأخبار في مقدّمة الجاحظ إلى أخبار حسنة وأخرى قبيحة، وأخبار نافعة وأخرى ضارّة.

3-المواضع: تُعدّ المواضع مبادئ عامّة مشترَكة، تُسلّم بها جماعة بشريّة ما، فاستغلّ الجاحظ هذه الخاصّية في موضعين وهما:

أ-مواضع المُفضَّل: يظهر أنّ النّاس يفضِّلون كلّ ماهو حسن ونافع من الأخبار والحكايات، وينبذون كلّ ماهو قبيح وضارّ منها، وهذا هو الموضع الأصل المألوف إلاّ أنّ الجاحظ ينفي لمحجوجه أن يكون تعلّق النّاس بالأخبار الحسنة النّافعة دون القبيحة والضّارّة، ويقدِّم بين يديه موضعاً آخر وهو:

ب-موضع الكمّ: يتعلَّق النّاس بحكاية الأخبار وحفظها، سواء أكانت حسنة أم قبيحة، نافعة أم ضارّة، بشرط أن يكون قدرها من ذلك كثيراً فاق المعتاد إلى درجة العجيب المُبهج.

4-الوقائع: يُورِد الجاحظ وقائع مفترَضة، يترتّب عن تسليم المَحجوج بمضمونها وقصودها التّسليم بما ورد في الدّعوى والاقتناع بها.

-الواقعة الأولى: يصوغها الجاحظ بقوله:"ألا ترى أنّ رجلاً من الخلفاء لو ضرب عنق رجلٍ من العظماء لَما أمسى وفي عسكره وبلدته جاهلٌ ولا عالمٌ إلاّ وقد استقرّ ذلك عنده وثبت في قلبه"[1]، ويُضفي المعقوليّة على مضمون هذه الواقعة بالتّبرير التّالي حين يقول:"لأنّ النّاس بين حاسد فهو يحكي ذلك الّذي دخل عليه الثّكل وقلّة العدد، وبين واجد يُعجِّب النّاس، وبين واعظٍ معتبَر، وبين قوم شأنهم الأراجيف بالفاسد والصّالح،

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مرجع سابق، ص258.

ولو كان ضرب عنقَه في يوم عيد، أو حلبة(يوم سباق الخيل)، أو استمطار، أو موسم، لَكان أشدّ لاستفاضته، وأسرع لظهوره"[1].

-**الواقعة الثّانية:** يُخرجها الجاحظ بقوله:"ولو جاز أن يكتم النّاس هذا وشبهه على الإيثار للكتمان، وعلى جهة النّسيان، لكنّا لا ندري: لعلّه قد كان في زمن صِفّين والجمل والنّهروان حربٌ مثلها أو أشدّ منها، ولكنّ النّاس آثَروا الكتمان، واتّفقوا على النِّسيان"[2].

-**الواقعة الثّالثة:** يربط الجاحظ هذه الواقعة الثّالثة بسابقتيها، إلاّ أنّه يضعها في أعلى الهرم من حيث العُجب والكِبر، ويضع الواقعتين: الأولى والثّانية في أدنى الهرم على الرّغم من خلابتهما، يقول:"فإذا كان قتلُ الملكِ الرّجلَ من العظماء بهذه المنزلة من قلوب الأعداء، ومن قلوب الحكماء والغوغاء، فما ظنّك لو أبصروا رجلاً قد أحياه بعد أن ضرب عنقَه، وأَبان رأسَه من جسده، أليس كان يكون تعجُّبهم من إحيائه أشدّ من تعجُّبهم من قتله، وكان يكون إخبارهم مَن خلَّفوا في منازلهم ومَن ورد عليهم عن القَتل ليكون سبباً للإخبار عن الإحياء، إذ كان الأوّل صغيراً في جنب الثّاني"[3].

إنّ تعالق الوقائع الثّلاث في ذهن المَحجوج يدفعه إلى بناء هرم، يخصّ الأخبار العجيبة مقارَنةً بالأخبار العادية؛ فمضمون الواقعة الأولى يُدلِّل بأنّ الخليفة إذا قتل رجلاً عظيماً، ينتشر هذا الخبر بسبب المكانة الاجتماعيّة والسّياسية لكليهما، وخصوصاً إذا وفق ذلك القتل يوماً من الأيّام الجليلة أو المقدَّسة سيكون أحكى لأنّه خبر عجيب.

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص258.

[2]-المصدر نفسه، ص258.

[3]- نفسه، ص258.

وأمّا مضمون الواقعة الثّانية فهو يقدِّم افتراضاً ضعيفاً وهو"إيثار النّاس الكتمان"؛ فإذا كان كتمان الأخبار ديدن النّاس، فهل من المعقول أن تصل إلينا أخبار الأوَّلين السّالفين؟، وهل سنعلم ما جرى في الماضي من حروب، نحو: صِفّين والجمل والنَّهروان...؟.

إنّ وصول أخبار تلك الحروب والأقوام الّذين بادوا بسبب إيثار النّاس الإخبار والإذاعة وليس الكتمان والنّسيان، وللقارئ أن يعتبر عصرنا الحالي قيام تخصّصات تهتمّ بالأخبار الجليلة منها: كعلم التّاريخ والآثار، وعلوم الإعلام والاتّصال، ألا ترى أنّ وسائل الإعلام السّمعيّة والبصريّة والصّحافة المكتوبة، تهتمّ في مجموعها بالأخبار العاديّة، فما ظنّك لو كانت أخباراً عجيبة، فلا يتوانى الصّحفيّون بإدراجها تحت إطار العاجل والهامّ، وكتابتها باللّون الأحمر، ويعقدون ندوات ونقاشات متلفَزة بشأنها لمعرفة طبيعتها وتداعيّاتها.

وأمّا مضمون الواقعة الثّالثة فتؤسِّس لِما هو أعجب من العجيب قياساً إلى العادي المتعارَف عليه؛ فإذا كانت الواقعة الأولى تفترض قتلاً لشخص فإنّ الواقعة الثّالثة تفترض إحياءً كشخص مقتولٍ، فُصل رأسه عن جسده، فأيّهما أعجب وأدعى للحَكي يا تُرى؟، يُعلّق الجاحظ بأنّ إحياء القتيل معجزة لا يقدر عليها إنسان، ولهذا فإن حصلت فعلا واقعيّا فإنّ النّاس لا يُؤثرون كتمان خبر مُعجِز كهذا، فالقتل صغيرٌ بالنّظر إلى الإحياء.

5-الحقائق: يُرسي الجاحظ في ذهن محجوجه مضمون دعواه، ويُرفِقه بالوقائع الثّلاث والمواضع النّاشئة منها، ويُمهِّد بذلك لحقائق يرمي إلى اقتياد محجوجه إلى اعتقادها والعمل بها؛ فالوقائع الثّلاث في جملتها حجّة ذات اتّجاهين؛ الإتّجاه الأوّل: قبليٌّ حين يؤكِّد الدّعوى، والإتّجاه الثّاني بعديٌّ حين يتّخذها الجاحظ دليلاً على حقيقة يقصد تأكيدها، وهي قوله:"فهذا يدلّ على أعلام الرّسل عليهم السّلام وآياتهم أحقّ بالظّهور والشّهرة، والقهر للقلوب والأسماع، من مخارجهم وشرائعهم، بل قد نعلم أنّ موسى عليه السّلام لم يُذكر ولم

يُشهَر إلاّ لأعاجيبه ولآياته، وكذلك عيسى عليه السّلام، ولولا ذلك لَما كانا إلاّ كغيرهما مِمَّن لا يُشعَر بموته أو مولده"[1].

ويُضيف الجاحظ تأكيداً لقصده استفهاماً إنكاريّاً، يقول:"وكيف نتقدَّم المعرفة بهما المعرفةَ بأعلامهما وأعاجيبهما، وأنت لم تسمع بذكرهما قطّ، دون ما ذُكر من أعلامهما"[2]، ويُضيف بشأن أعلام الأنبياء وآياتهم قائلاً:"فكيف إن كان الله عزّ وجلّ قد خصّ أعلام أنبيائه وآيات رسله عليهم السّلام من تهيّيج النّاس على الإخبار عنها، ومن تسخير الأسماع لحفظها، بخاصّة لم يجعلها لغيرها"[3].

- **فصلٌ منه:** الحُجج لا تكون حجّة حتّى تُعجز الخليقة.

قال الجاحظ:"فإن قال قائلٌ: إنّ الحجّة لا تكون حجّةً حتّى تُعجز الخليقة، وتخرُج من حدّ الطّاقة، كإحياء الموتى، والمشي على الماء، وكفلق البحر، وكإطعام الثّمار في غير آوان الثّمار، وكإنطاق السِّباع، وإشباع الكثير من القليل، وكلّ ما كان جسماً مخترَعاً، وجُرماً مبتدَعاً، وكالّذي لا يجوز أن يتولاّه إلا الخالق، ولا يقدر عليه إلاّ الله عزّ ذكره"[4].

يربط هذا القول منذ البداية بين الحجّة والمعجزة، بحيث يُسوّي بينهما؛ فكلّ عمل عجز النّاس عن فعله فهو معجزة، والحجّة المُعجِزةُ مؤشّر على النّبوّة؛ وهذا افتراض مُسبَقٌ متّفَقٌ عليه، يُلزِم النّبي كما يُلزِم من يُرافع لنبوَّته.

إنّ السّند الّذي يؤكّد ذلك الافتراض هو ما يفهمه النّاس من معجزات الأنبياء السّابقين بالنّظر إلى النّاس العاديّين، فاعتراف النّاس بنبوّة نبيٍّ ما، يُبنَى على مبدأ العادي

---

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص259.

[2]-المصدر نفسه، ص259.

[3]-نفسه، ص259.

[4]-نفسه، ص259، 260.

والمُحتمَل؛ فالبشر في طبيعتهم لا يأتون بالأعمال الخارقة؛ وهذا أمرٌ محتمَلٌ مسبقاً، أما إن حصل استثناء وجاء واحدٌ منهم بعمل أو قولٍ يشذُّ عن القاعدة فهو نبيّ.

وتتنزّل الوقائع العينيّة الّتي شاهدها النّاس في زمن الأنبياء السّابقين في هرميّة معيّنة، تُصنّف أعمال البشر في: العادي والمحتمَل والمُعجِز، وتُحدِّد الوقائع المذكورة في القول السّابق سمات المُعجزة وهي:

- **وقائع مُشاهَدة:** كلّ هذه الأعمال المُعجِزة قام بها الأنبياء، وأصبحت مواضع يُقاس بها مدى صدقيّة النّبوّة.
  - -إحياء الموتى.
  - -المشي على الماء.
  - -فلق البحر.
  - -إطعام الثّمار في غير آوانها.
  - -إنطاق السِّباع.
  - -إشباع الكثير من القليل.
- **وقائع مُفترَضة:** انفتاح الوقائع على كلّ طلب، أمرٌ يُلزِم النّبي على جاهزيّته للوفاء بشروط المُعجِز، ووفاؤه دليل على تأيّيد الخالق له بالوحي.
  - -إختراع الأجسام.
  - -ابتداع الأجرام.
  - -الّذي لا يجوز أن يتولاّه إلا الخالق.

إنّ النّاظر في جملة الوقائع العينيّة والوقائع المُفترَضة لا يجد الاهتمام بأمر الأخبار الّتي يأتي بها الأنبياء، وإنّما ينشغل النّاس بالأفعال المرئيّة الخارقة فحسب، فما هي منزلة الأخبار من الحجّة المُعجِزة؟.

يُورد الجاحظ قولاً يعترض على كون الأخبار حجّة مُلزِمة، يقول:"فأمّا الأخبار الّتي هي أفعال العباد، وهم تولَّوها، وبهم كانت وبقولهم حدثت فلا يجوز أن يكون حجّة، إذ كان لا حجّة إلاّ ما لا يقدر عليه الخليقة، وما لا يُتوهَّم من جميع البريّة"[1].

يُؤسّس هذا القول حقيقة، نتمثَّلها هكذا:

أ-واقعة: لا حجّةَ إلاّ ما لا يقدر عليه الخليقة.

ب-حقيقة: الأخبار هي أخبارالعباد، وهم تولَّوها، وبهم كانت وبقولهم حدَثت.

جـ-القضية: لا يجوز أن يكون حجّة.

إنّ تسليم المحجوج بالواقعة "أ" والحقيقة الواقعيّة"ب" يعني تصديقه للقضيّة"جـ"، ويترتّب عن هذه الحقيقة أنّ إثبات النّبوّة من خلال الأخبار الّتي جاء بها محمّد وحدها لا يكفي.

ما هو موقف الجاحظ وردّه عن هذه الوقائع والحقائق والمواضع يا تُرى؟ وهو يرمي إلى إثبات النّبوّة من الأخبار، فهل الأخبار حجّة في ذاتها؟.

يردّ الجاحظ قائلاً:"قلنا: إنّا لم نزعم أنّ الأخبار حجّة فيحتجّون علينا بها، وإنّما زعمنا أنّ مجيئها حجّة، والمجيء ليس له أمرٌ يتكلّفه النّاس ويختارونه على غيره، ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه وتهيّئوا له، ولَفعلوه في الباطل كما يجيء لهم في الحقّ"[2].

ويُضيف قائلاً:"والمجيء أيضا ليس هو فعلاً قائما فيستطيعوه أو يعجزوا عنه، وإنّما هو الإنسان، يعلم أنّه إذا لقي البصريّين فأخبروه أنّهم عاينوا بمكّةَ شيئاً، ثمّ لقي الكوفيّين

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص260.

[2]-المصدر نفسه، ص260.

فأخبروه بمثل ذلك، أنّهم قد صدقوا، إذ كان مثلهم لا يتواطأ على مثل خبرهم على جهلهم بالغيب، وعلى اختلاف طبائعهم وهممهم وأسبابهم"[1].

وينفي الجاحظ أن يكون هناك فرقٌ في الوجه الإعجازي الحِجاجيّ بين مجيء الأخبار وغيره من المُعجزات الّتي قدَّمها الصّوت العارض، يقول:"فليس بين هذا وبين إحياء الموتى والمشي على الماء فرقٌ، إذ كان النّاس لا يقدرون عليه، ولا يطمعون فيه، والمجيء إنّما هو معنى معقول، وشيءٌ موهوم، إذ كان كيف يكون ومعلوم أنّ النّاس لا يمكنهم أن يقدروا، ولا يستطيعون فعلَه"[2].

ويُوافق الجاحظ محجوجه على أنّ الحجّة النّاجعة لإثبات النّبوّة لا تكون لها مصداقيّة إلاّ إذا كانت مُعجِزة، يقول:"وإنّما مدار أمر الحجّة على عجز الخليقة، فمتى وجدت أمراً ووجدتَ الخليقة عاجزةً عنه فهي حجّة، ثمّ لا عليك جوهراً كان أو عرضاً، أو موجوداً أو متوهَّماً معقولاً، ألا ترى أنّ فلق البحر ليس هو جنس اختراع الثِّمار، لأنّ الفلق هو انفراج أجزاء، والثِّمار أجرام حادثة"[3].

أجل، إنّ الجاحظ يوافق محجوجَه بخصوص الموضع المُشترَك بينهما وهو الدّعوى القائلة بأنّ"الأخبار ليست حجّة في ذاتها"؛ وهذه القضيّة مُسلَّمة مشترَكة يحتكم إليها المتحاجان، والجاحظ يوافق على تلك الدّعوى إلاّ أنّه يؤسّس موضِعا آخر، يُثبِت به إعجازيّة الأخبار وهو"مجيء الأخبار"؛ ففعل الإخبار ليس حجّة لأنّه غير مُعجِز، وأمّا فعل مجيء الأخبار فهو حجّة لأنّه مُعجِز، ولن يكون مُعجِزاً إلاّ إذا وافقته الوقائع العَينيّة، الّتي يشاهدها

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص260.
[2]-المصدر نفسه، ص261.
[3]-نفسه، ص261.

النّاس، فحتّى المجيء له خصوصيّة إعجازيّة، لأنّ إيراد الأخبار قد يصنعه النّاس في الباطل كما يصنعونا في الحقّ، ويستدلّ الجاحظ في النّص الثّاني السّابق بافتراض واقعتين وهما:

أ-شاهد البصريّون بمكة شيئاً ما وأخبروا عنه.

ب-شاهد الكوفيّون بمكة الشيءَ نفسَه وأخبروا عنه بالخبر المماثل.

وحين تترامى الأخبار المتماثلة إلى واحد منّا من فريقين مختلفين عمّا شاهدوه في مكان ما، فالأولى أن نصدّق الأخبار الواردة مهما كان مضمونُها وغرضُها، وهذه حقيقة يرمي الجاحظ إلى إرسائها في ذهن محجوجه أوّلاً، قبل أن يواجهه ويستمرّ في بناء السّيرورة الحِجاجيّة.

بعد أن أثبت الجاحظ أنّ المجيء مُعجِزة، أدرجه ضمن غيره من المُعجِزات الّتي يتحصَّن بها المحجوج المعترِض على كون الأخبار حجّة، فيجعل مجيء الأخبار حجّة مُعجِزة، ولا فرق بينه وبين غيره من المُعجِزات المرئيّة.

يُعيد الجاحظ تصنيف المُعجِزات إلى: مُعجِزات مَشاهَدة عينيّة وأخرى مُتوهَّمة معقولة، فالمحجوج الّذي يَقصِر الحجج المُعجِزة على الوقائع العينيّة فحسب، حين يأخذ في حسبانه إعجازيّة الأخبار من حيث مجيئها على الأقل، فإنّه ينخرط في دعوى الجاحظ بأنّ هرميّة المُعجِزات تتضمَّن: الجواهر والأعراض والموجودات المحسوسة، كما تتضمّن المتوهَّمات المعقولة، وطالما أنّ مجيء الأخبار من المُتوهَّمات المعقولة فهي حجّة مُعجِزة.

وعليه يبني الجاحظ الحقيقة الثّابتة في قوله:"وكذلك لو ادَّعى رجلٌ أنّ الله عزّ وجلّ أرسله وجعل حجّتَه علينا الإخبار بما أكلنا وادَّخرنا وأضمرنا، لكان قد احتجَّ علينا"[1].

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص261.

تُبنى الحقيقة المجرَّدة المستقاة من هذا القول وفق هذه العناصر:

أ-إدّعاء رجل بأنّه مُرسَلٌ من الله عزّ وجلّ(واقعة افتراضيّة).

ب-إخباره بما أكَلنا وادَّخرنا وأَضمرنا(حقيقة حجّة).

جـ-لَكان قد احتجّ علينا(القضيّة).

إنّ مرور المَحجوج من الواقعة المفترَضة"أ" إلى القضيّة"جـ" لا يكون اعتباطيّاً فلا بدَّ من اعتقاده بالحقيقة "ب"، والمبدأ المعتمَد في قياس الإعجاز في الأخبار هو مجيء مضمونها بما لا يعلمه النّاس العاديّون، حيث يجيء مضمونها مختلفاً بالنّظر إلى العادي المُحتمَل بالنّظر إلى قائلها، فإن عجز النّاسُ العاديّون عن الإتيان بها فنحن أمام حجّة معجِزة حقيقة لا شكّ في إعجازيّتها وحجّيتها.

يُصادف الجاحظ اعتراضاً من المتلقّي بشأن الإتيان بالأخبار كمن يطّلع على الضّمائر والغيب، ونراه يفترض اعتراضاً لصوتٍ خارجيٍّ يحاوره، يقول:"فإن قُلتُم: إنّ المنجِّمين ربَّما أخبروا بالضَّمير وبالأمر المستور، وببعض ما يكون"[1].

يستحضر هذا القول حقيقة متداوَلة فيما بين النّاس وهي: التّنجيم والمنجّمون، وهم فئة من النّاس تتعاطى الأخبار الغيبيّة، وتُخبر عن المُضمَرات، ولها قدرة التّنبّوء بالمستَقبل، فهل معنى هذا أنّ الأنبياء منجِّمون؟ أم أنّ المنجِّمين أنبياء؟ وإذا كان لا هذا ذاك ولا ذاك هذا، فما الفرق بينهما؟.

يردُّ الجاحظ على ذلك الاعتراض مُحدِّداً خصائص فئة المنجِّمين، رافعاً اللَّبس والمغالَطات، يقول الجاحظ:"قلنا: أمّا واحدة فإنّ خطأ المنجّمين كثير، وصوابهم قليل، بل

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص261.

هو أقلّ من القليل، وأنتم لا تقدرون أن تقفونا من أخبار المرسَلين عليهم السّلام في كثير أخبارهم على خطأ واحد، والّذي سهَّل قليل المنجِّمين طرافةَ ذلك منهم، لأنّهم لو قالوا فأخطأوا أبدا لما كان عجبا، لأنّه ليس بعجب أن يكون النّاس لا يعلمون ما يكون قبل أن يكون، ومن أعجب العجب أن يوافق قولُهم بعض ما يكون"[1].

صحيح أنّ الأنبياء يتقاطعون مع المنجّمين في "فعل الإخبار" إلاّ أنّ الفرق بين الفريقين هو أنّ المنجِّمين يُخطئون دوما إلاّ فيما ندر، وهذا النّزر اليسير من الأخبار الصّائبة والموافقة لِما سيكون من حوادث المستقبل يُغطّي عن أخطائهم الكثيرة، والسَّبب يكمن تعجّب النّاس من صوابهم النّادر، وفي المقابل لا يجد النّاس خطأً واحداً اِرتكبه الأنبياء المُرسَلون.

وموضع آخر يؤكّد اختلاف المنجِّمين في قضيّة واحدة، حيث نجد آراء مختلفة غير متوافقة، وأمّا النّبي المُرسَل فلا تجد لديه أخباراً متعارِضة في قضيّة واحدة، يقول الجاحظ:"وقد نجد المنجّمين يختلفون في القضيّة الواحدة، ويُخطئون في أكثرها، وقد نجد الرّسول يُخبرهم عمّا يأكلون ويشربون ويدّخرون ويُضمرون، في الأمور الكثيرة المعاني، والمختلفة الوجوه، حتّى لا يخطئ في شيء من ذلك، وليس في الأرض منجّم ذكر شيئاً أو وافق ضميراً إلاّ وأنت واجدٌ بعضَ من يزجُر قد يجيء بمثله وأكثر منه"[2].

يُؤسِّس الجاحظ دعوى أخرى، ويُضيف فروقاً أخرى بين المنجِّمين والأنبياء، يقول:"وبَعد، فلو كان خبر المنجِّمين في الصّواب نكبر الأنبياء والمُرسَلين عليهم السّلام، الّذي هو حجّة، لَما كان خبر المنجِّمين حجّة، فإن قلتَ: ولِمَ ذاك؟"[3].

---

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص261، 262.

[2]-المصدر نفسه، ص262.

[3]- نفسه، ص263.

ينفي الجاحظ كون صواب المنجِّمين حجّة، ويُثبت كون صواب الأنبياء حجّة، ولكنّ المحجوج لا يُسلّم له بذلك إلاّ إذا قدَّم حججاً كافية تؤكّد إدّعاءه، ودليله قوله:"قلتُ: لأنّ من كثر صوابه على غير استدلال ومقايَسة، وعلى غير حساب وتجربة، أو على نظر ومعايَنة، لم يكن الأمر من قبل الوحي، لأنّك لو قلتَ قصيدةً في نفسك فحدَّثك بها رجلٌ، وأنت تعلم أنّه ليس بمُنجِّم، وأَنشدكها كلَّها، لعلمتَ أنّ ذلك لا يكون إلاّ بوحي"[1].

يربط الجاحظ بين دعواه ومبرِّراتها بالرّابط السَّببيّ "لأنّ"، ويقسم الصّواب صوابين؛ صواب يتأتّى من: الاستدلال والقياس، الحساب والتّجربة، النّظر والمعايَنة، وهو صواب المنجِّمين وغيرهم؛ ولهذا فهو ليس بحجّة، وصوابٌ يتأتّى من الوحي دون أن يتمرَّس المرء تلك الأدوات ووسائل التّحقيق العلميّ والتّجارب البشريّة، وهو صواب الأنبياء المُرسَلين؛ ولهذا فهو حجّة.

ويُدلِّل الجاحظ بمثال آخر، يقول:"ومثل ذلك رجلٌ اشتدّ وجع عينه فعالَجه طبيبٌ فبرأ، فلو جعل الطّبيب ذلك حجّة على نبوّته لوجب علينا تكذيبه، ولو قال رجلٌ من غير أن يَمَسَّه أو يدنو إليه: اللّهمّ إن كنت صادقاً عليك فاشفه السَّاعة، فبرأ من ساعته لَعلِمنا أنّه صادق"[2]، فعلاج الطّبيب مصدره العلم والتّجربة، وأمّا علاج النّبي فهو وحي لأنّه لم يتوسّل في علاجه أيَّ أداة مساعدة غير الدّعاء بالكلمات فينزل الشّفاء.

- **القسم الثّاني:** نعالج في هذا القسم مسألة التّقنيّات الحِجاجيّة في المدوَّنة المختارَة فيما يلي:

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص263.
[2]-المصدر نفسه، ص263.

يقول الجاحظ:"ثمّ إنّ الّذي تقدَّمه صلّى الله عليه وآله من البِشارات في الكتب المتقادِمة، في الأزمان المتباعدة، والبلدان الموجودة بكلّ مكان، على شدّة عداوة أهلها، وتعصّب حامليها، ومع قوّة حسدهم، وشدّة بغيهم، ومع ذلك ببديع منهم ومن آبائهم، على أنّهم أشبه بآبائهم منهم بأزمانهم، وكلّ النّاس أشبه بأزمانهم منهم بآبائهم، وآباؤهم الّذين قتلوا أنبياءَهم عليهم السَّلام، وتعنَّتوا رسلَهم صلّى الله عليهم، حتّى خلاّهم الله عزّ وجلّ من يده، وأفقدهم عصمته وتوفيقَه"[1].

يستدلّ الجاحظ من خلال هذا النّص على نبوّة محمّد بما ورد عن ذكره من البِشارات في الكتب السَّماويّة السَّابقة، في مراحل تاريخيّة، وفترات زمنيّة متباعدة، وعبر بلدان متفرِّقة، ونحلّل ذلك النّص بما توسَّله الجاحظ من حجج فيما يلي:

إنّ ما جاء به محمّد من وحي ليس بدعاً منه، وما ادَّعاه من نبوّة ليس اختلاقاً منه، فقد سبقه إلى ادّعاء النّبوّة والرّسالة وأنبياء آخرون قبله؛ وبهذا ينسف الجاحظ كلّ محاولة للاعتراض عليه وتكذيبه، فتركيز الجاحظ على الأخبار الّتي تُبشِّر بقدوم محمّد صلّى الله عليه وسلّم لا يتعارض مع مجيئه بل تمهِّد لبعثته، ثمّ إنّ البِشارات وردت عند أقوام متعصِّبين وأعداء لمحمّد وحاسديه، فلو كان من أصله وشيعته لقلنا أنّهم تواطئوا عليه وساندوه.

إنّ وسم الجاحظ للأقوام الّذين جاءت فيهم البِشارات بصفات: العداء، التّعصّب، والحسد، والبغي لهو فصل بينهم وبين محمّد؛ فالعدو يناقض عدوَّه ولا ننتظر التّوافق بينهما، ويتحجَّج الجاحظ بحجّة التّعارض الّذي يقع فيه أعداء محمّد في قوله:

- كلّ النّاس أشبه بأزمانهم من آبائهم.

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص269.

هذا السّور التّكميم الكلّي "كلّ"، يضع أمام المحجوج مبدأ "علاقة المشابَهة" بين النّاس في علاقتهم فيما بينهم وبين أزمانهم وآبائهم؛ وتلك المقدّمة شبه منطقيّة، تصل الجزءَ(الأبناء) بالكلّ(الآباء)، وتجعلها "علاقة اختلاف ومُغايَرة"، وتلك سنّة الحياة والنّاس، إلاّ أنّ أبناء تلك الأمم المعادية لمحمّد قلبت القاعدة، فأبناؤهم بدل أن يُشبِهوا زمنهم شابَهوا آباءَهم في العداء والتعصُّب والحسد والبغي، فهل يُنتَظر منه الاعتراف بنبوّة محمّد؟، فالتّعارض الّذي يقع فيه خصوم محمّد، يسخر منه الجاحظ، ويُنبِّه محجوجَه إلى مواطن التّعارض والمَسخَرة.

ثمّ يُضيف الجاحظ إشارة إلى هؤلاء الآباء القَتَلة المتعنّتون الّذين قتلوا حتّى الأنبياء المبعوثين فيهم وتَعَنَّتوهم، وأصبح قتل الأنبياء وتعنيتهم إرثاً ورثه أبناؤهم وفشا فيهم، فإن اعترضوا على نبوّة محمّد فقد اعترضوا قبل نبوّة أنبيائهم، وإن حارب أبناؤهم محمّداً فقد حارب آباؤهم الأنبياء من قبلهم.

فالعلاقة بين الأبناء والآباء هي علاقة تبادليّة متّصلة، وهذه العلاقة يرفضها الجاحظ ويُطالب ضمنيّاً خصمَه بتطبيق قاعدة العدل، ومضمونها هو: الأبناء يختلفون عن آبائهم، ويُشبِهون زمنَهم، فمن الظّلم تنشئة الأبناء على زمن آبائهم، وهذا التّعارض والظّلم يعرِّض الخصمَ للسُّخريّة.

وتتمثَّل حجج التّعدية في هذه الصّيغ المتضمَّنة في نصّ الجاحظ السّابق:

-أعداء أنبيائهم هم أعداء أنبيائنا.

-قتَلة أنبيائهم هم قتلَة أنبيائنا.

-أبناء الأعداء يُشبِهون آباءَهم، وآباؤهم يقتلون أنبياءَهم ويُعَنِّتوهم.

-إذن أبناؤهم سيكونون قتلة ومُعنِّتة لأنبيائهم، فإذا كان هذا هو أمرهم مع أنبيائهم فما ظنّك مع نبيِّنا؟، ولهذا تتواصل علاقة العَداء ما دامت علاقة العَدوى والتّبادل والتّماثل بين الأبناء والآباء مستمرّة.

ويقول الجاحظ:"ولِمَ استدلّ على ذكره في التّوراة والإنجيل والزّبور، وعلى صِفته والبِشارة به في الكتب إلاّ لأنّك متى وجدت النّصرانيّ واليهوديّ يُسلِّم بأرض الشّام وجدتَه يعتلّ بأمور، ويحتجّ بأشياء مثل الأمور الّتي يحتجّ بها من أسلَم بالعراق، وكذلك مَن أسلَم بالحِجاز، ومَن أسلَم من اليمين، من غير تلاقٍ ولا تعارف، ولا تشاعر، وكيف يتلاقون ويتراسلون، وهم غير متعارفين ولا متشاعرين؟ ولو كانوا كذلك لظهر ذلك ولم ينكتم، كما حكينا قبل هذا، ولو قابَلتَ بين أخبارهم واحتجاجهم مع كثرة الألفاظ واختلاف المعاني، لوجدتها متساوية"[1].

نصوغ من هذا النّص العلاقات الحِجاجيّة الواصلة الآتية:

-**حجّة الوصل السّببي:** تتأسّس العلاقة السّببيّة بثلاث عناصر وهي:

-**النّتيجة:** وهي قول الجاحظ: ولِمَ استدلُّ على ذكره في التّوراة والإنجيل والزّابور، وعلى صفته والبشارة به في الكتب؛ وهذه النّتيجة تمثّل استدلالاً توسَّله الجاحظ لإثبات دعواه، وهذا الحكم يحتاج إلى تعليل، وقد أسّسه الجاحظ على بُنى واقعيّة متماثلة.

-**أداة التّعليل:** لأنّ.

-**السّبب:** يُوجِّه الجاحظ محجوجَه إلى اعتبار الأحداث الواقعيّة، الّتي تحصُل بالّذين أسلموا من النّصارى واليهود، وهم ينتمون إلى بلدان متفرِّقة(الشّام، العراق، الحِجاز، اليمن)؛

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص270.

فرغم أنهم لم يتعارفوا أو يتلاقوا فإنّهم يذكرون الأخبار نفسها ويحتجّون بحجج متماثلة، إنّ علاقة التّماثل في الأخبار والحجج عند هؤلاء يؤكّدها الجاحظ في عبارته"لَوَجدتَها متساوية"؛ وهذه العبارة التّقويميّة تؤكّد مرّةً أخرى التزامَ الجاحظ أمام محجوجه وخصومه بتطبيق قاعدة العدل في بناء النّص الحِجاجيّ.

ويؤسّس الجاحظ دعواه على حجج واقعيّة، ويدعو محجوجه إلى المقارنة بينها، فهل يجدا ثَمّةَ تعارض أم لا؟، يقول :"فلو قابَلتَ"؛ وهي عبارة توجيهيّة تدعو المتلقّي إلى المشاركة والتّفاعل في بناء الحِجاج.

-**حجّة الاتّجاه:** تظهر في قول الجاحظ: فلو قابَلت بين أخبارهم واحتجاجهم مع كثر الألفاظ واختلاف المعاني لوجدتَها متساوية.

ولو اتّخذ المتلقّي الشّاك النّاقد أسلوب المقابَلة بين أخبار واحتجاجات اليهود والنّصارى الّذين أسلموا فهل سيصل إلى الإختلاف بينهما وتعارضها أم لا؟، ويحدّد الجاحظ وجهة تلك المقابَلة مسبَقاً كونها تتّجه نحو: علاقة التّساوي فيما بينهما رغم اختلاف الملل والنِّحل واللّغات والبلدان.

يقول الجاحظ:"مع أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلَّم مخصوص بعلامة لها في العقل موقع، كموقع فلق البحر من العين، وذلك قوله لقريشٍ خاصّة، وللعرب عامّة، مع ما فيها من الشّعراء والخطباء والبلَغاء، والدّهاة والحُلَماء، وأصحاب الرّأي والمَكيدة، والتّجارب والنّظر في العاقبة: إن عارَضتموني بسورة واحدةٍ فقد كذبتُ في دعواي، وصدقتُم في تكذيبيّ"[1].

يحرص الجاحظ في هذا النّص على توجيه متلقّيه إلى العلامة الّتي اختصّ بها محمّد صلّى الله عليه وسلَّم دون غيره من الأنبياء المُرسَلين وهي: تحدّيه لقريش والعرب عامّة

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص273.

بالقرآن، حيث طلب منهم أن يأتوا بسورة مثله، وإن تحقّق هذا الطّلب ستكون وجهة الصّراع بين محمّد وخصومه نحو: تكذيب دعواه وتصديق تكذيبهم له، وماذا كان؟

قد يعتقد المتلقّي أنّ هذا التّحدّي وجّهه محمّد إلى قوم جهلة لا يعرفون شيئاً، فيُنبِّه إلى الفئات الاجتماعيّة من ذوي المكانة المرموقة في المجتمع العربي الجاهليّ، وهم: الشّعراء والخطباء والبلغاء، والدّهاة والحُلَماء، وأصحاب الرّأي والمَكيدة، والتّجارب والنّظر والعاقبة.

إنّ هذه الصّفات التّقويميّة لهؤلاء تدفع المتلقّي إلى أنّ التّحدّي موجَّه إلى فئات اجتماعيّة متمرِّسة في فنون القول والخطاب، وتأليف سورة من سور مشابِهة لسورة من القرآن أمرٌ يكفي العرب مؤونة الحرب والقِتال وما يترتّب عليها من خسائر مادية وبشريّة، فهل رفعوا هذا التّحدّي؟.

يتوسَّل الجاحظ العلاقة الحِجاجيّة الّتي تصل بين الشّخص وأعماله، ونقصد هنا قريشاً وأعمالهم، يقول:"ولا يجوز أن يكون مثلُ العرب في كثرة عددهم واختلاف عللهم والكلام كلامهم، وهو سيّد عملهم، فقد فاض بيانهم، وجاشت به صدورهم، وغلبتهم قوّتهم عليه عند أنفسهم، حتّى قالوا في الحيّات والعقارب، والذّباب والكلاب، والخنافس والجِعلان، والحمير والحمام، وكلّ ما دبَّ ودَرَج، ولاحَ لعينٍ، وخطَر على قلب، ولهم بعد أصناف النَّظم، وضروب التّأليف، كالقصيد، والرّجز، والمُزدوج، والمُجانَس، والأسجاع والمنثور"[1].

إنّ تقديم الجاحظ لهذه الصّورة الخاصّة بالعرب وأعمالهم أمام أعيننا ينتهي بنا إلى أنّ التّحدّي الّذي أطلقه محمّد صلّى الله عليه وسلَّم، سيكون متاحاً إذا أخذنا في الحسبان تلك

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص273.

الصّفات والأعمال ذات التّقويم الإيجابيّ لخصومه، كيف لا وهم أرباب القول وفنون الخِطابات والمعرفة بالعربيّة، فهل سيعجِزون أمام هذا التّحدّي؟.

أجل، يقول الجاحظ:"وبعد، فقد هَجَوْه من كلّ جانب، وهاجى أصحابُه شعراءَهم، ونازَعوا خطباءَهم، وحاجُّوه في المواقف، وخاصَموه في المواسم، وبادَوه العداوة، وناصبوه الحرب، فقتل منهم، وقتلوا منه، وهم أثبت النّاس حقداً، وأبعدَهم مطلَباً، وأذكرهم لخير أو لشرّ، وأنفاهم له، وأهجاهم بالعجز، وأمْدحهم بالقوّة، ثمّ لا يُعارضه مُعارِض، ولم يتكلّف ذلك خطيب ولا شاعر"[1].

لقد ناصَب العرب محمّداً وأصحابَه العَداء الشّديد، وحارَبوهم بكلّ وسيلة، نحو: هجوه بالشّعر، ومنازَعته بالخطابة، ومُحاجَته في المواقف، ومُخاصَمته، إلاّ أنّ هذه الوسائل القوليّة اتّجهت إلى كلّ شيء غير معارَضة القرآن، وهذا الانفصال بين تحقيق "طلب المعارَضة" و"العرب"، يؤكّد فساد ادّعاءاتهم وصدق ادّعاءات محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

ويُضيف الجاحظ:"بل لا يقول واحدٌ من جماعتهم: لِمَ تقتلون أنفسكم وتستهلكون أموالَكم، وتَخرُجون من دياركم، والحيلة من أمره يسيرة، والمأخذ في أمره قريب؟! ليؤلّف واحدٌ من شعرائكم وخطَبائكم كلاماً في نظم كلامه، كأقصر سورةٍ يُخذِّلكم بها، وكأصغر آيةٍ دعاكم إلى معارضتها، بل لو نسوا ما تركهم حتّى يُذكّرهم، ولو تغافَلوا ما ترك أن يُنبّههم، بل لم يرض بالتّنبيه دون التّوقيف"[2].

ومن الحجج المؤَسِّسة لبنية الواقع حجّة الاستشهاد بآيات من القرآن، والموافِقة للقضايا المطروحة للنّقاش، ومنها:

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص274.
[2]-المصدر نفسه، ص274.

-قوله تعالى:"**وإذا تُتلى عليهم آيّاتنا قالوا قد سمِعنا لو نشاء لقُلنا مثل هذا**"[1]، يؤكّد الجاحظ من خلال هذه الآية عزمَهم على تأليف آيات وسور تتشابه القرآن وتُنافِسه، إلاّ أنّهم لم يفعلوا، وبقي ادّعاؤهم المقدرة مجرّد ادّعاء باطل وغير موفَّق، وعلى الرّغم من أنّ الشّخصيّة العربيّة الجاهليّة تأبى التّقريع بالعجز والرّمي بالنّقص، بل يقدِّمهم الجاحظ كنموذج للأنَفَة وعزّة النّفس وفرط الحَمِيَّة، وأصحاب الخطابات والبلاغات[2].

-قوله تعالى:"**وقال الّذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملةً واحدةً**"[3]، وقوله تعالى:"**وإذا تُتلى عليهم آياتنا بيِّنات قال الّذين لا يَرجون لِقاءَنا اِئتِ بقرآنٍ غير هذا أو بَدِّله**"[4]، وقوله تعالى:"**وقال الّذين كفروا إن هذا إلاّ إفكٌ اِفتراه وأعانَه عليه قومٌ آخرون**"[5]، يستدلُّ الجاحظ بهذه الآيات أنّ خصوم محمّد طَعَنوا في القرآن وانشغَلوا بمساءَلته، وطالَبوه بتبديله وحتّى بقرآن غيره، ولم يلتزموا بمعارَضته، ويُصدر الجاحظ حُكماً بعد تلك الآيات قائلاً:"ويَدلُّك كثرةُ هذه المُراجَعة، وطول هذه المُناقَلة، على أنّ التّقريع لهم بالعجز كان فاشيّاً، وأنّ عجزَهم كان ظاهراً"[6].

-قوله تعالى:"**قل فأتوا بِعَشر سورٍ مِثلِه مُفتَرَيات**"[7]، يستشهِد الجاحظ بهذه الآية لِيُثبتَ أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلَّم، فقد طالَبهم بتأليف ولو عَشرَ آياتٍ مُفتَرَيات، وهذا الطّلب يُعبِّر عن اِحتدام التّحدّي بينه وبين خصومه، وعن هَوَان بلاغتهم وعجزهم عن

---

[1]-الأنفال، الآية31.

[2]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص276.

[3]-الفرقان، الآية32.

[4]-يونس، الآية15.

[5]-الفرقان، الآية44.

[6]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص276.

[7]-هود، الآية13.

مَعارَضة آيات يسيرة من القرآن[1]، ويعلّق الجاحظ بقوله:"إذ كان كلامهم هو سيّد عملهم، والمئونة فيه أحقُّ عليهم، وقد بذَلوا النّفوس والأموال، وكيف ضاع منهم، وسقَط على جماعتهم نيِّفاً وعشرين سنة، مع كَثرة عددهم، وشِدَّة عقولهم، واجتماع كلمتهم؟!، وهذا أمرٌ جليل الرّأي، ظاهرُ التّدبير"[2].

ولا يكتفي الجاحظ بالاستشهاد بالآيات القرآنيّة فحسب، بل يذكر في هذا السّياق بعضَ من كانوا يؤلّفون الأخبار الكاذبة ويبُثُّونها في الأمصار، ويَطعنون في القرآن إلاّ أنّهم لم يتجرَّأوا على مُعارَضته، يقول الجاحظ:"والّذي منعهم من ذلك هو الّذي منع ابن أبي العوجاء، وإسحاق بن طالوت، والنّعمان بن المُنذِر، وأشباههم من الأرجاس...فقد كانوا يصنَعون الآثار، ويولّدون الأخبار، ويَبُثُّونها في الأمصار، ويَطعنون في القرآن، ويسألون عن متشابِهه، وعن خاصّه وعامّه، ويضعون الكتب على أهله، وليس شيءٌ ممّا ذكرنا يستطيع دَفْعَه جاهلٌ غبيٌّ، ولا مُعانِدٌ ذكيّ"[3].

ومن علامات النّبوّة الّتي يحرصُ عليها الجاحظ كحجج يُضيفها إلى غير من الحجج، وهي قضيّة أخلاق النّبي صلّى الله عليه وسلّم وأفعاله، والاهتمام بالجانب الأخلاقيّ للمشاركين في الحِجاج موضوع على درجة كبيرة من الأهمّية، فقد عالجه أرسطو تحت مسمّى"الإيتوس"، وفي البلاغة الجديدة يُسمّيه بيرلمان بـ"النّموذج"؛ أي الشّخص القدوة الجدير بالاقتداء، كما عالَجته (روث أموسي) في كتابها"تقديم الذّات" من المنظور السوسيولوجيّ والخطابيّ.

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص277.

[2]-المصدر نفسه، ص277.

[3]- نفسه، ص277، 278.

يقول الجاحظ:"وآيةٌ أخرى لا يعرفُها إلاّ الخاصَّة، ومتى ذكرتُ الخاصَّة فالعامَّة في ذلك مثلُ الخاصّة، وهي الأخلاق والأفعال الّتي لم تجتمع لِبشرٍ قطُّ قبلَه، ولا تجتمع لِبَشَرٍ بعده"[1].

يطرحُ هذا النّص دعوى تأسيسيّة تُرافع لِصالح أخلاق النّبي صلّى الله عليه وسلَّم وأفعاله الّتي يدّعي الجاحظ بأنّها آية من آيات النّبوّة إلى جانب الأخبار والقرآن الّذي جاء به محمّد، ويحكم الجاحظ بِكَون أخلاق النّبي وأفعاله نموذَجيَّةً، ويوجِّه محجوجَه بعبارتين منفيّتين تؤكّدان أنّ: أخلاقه وأفعاله لم ولن تجتمع في بَشَرٍ قبلَه أو بعدَه، وهنا يتساءل المتلقّي الشّاكّ عن شخص النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلَّم، من حيث أخلاقُه وأفعالُه، فهل اِلتَزَم الجاحظ بتقديم أدلَّة لدعواه؟، وكيف قدَّم صورةَ محمَّدٍ في خطابه أمام مَحجوجه؟، وهل قدَّمه بصورةٍ تجعله جديراً بالثِّقة والقَبول؟، أجل، اِلتَزم الجاحظ بذلك لأنّه يعرف أهمّية الأخلاق والأفعال في ترسيخ الانطباع الحَسن في عقل المتلقّي ونفسيَّته.

يرفع الجاحظ أخلاق النّبي وأفعالَه فوق الصِّفات البشريّة، وقدراتِها على تقليده والنّسج على منواله، وينفي الجاحظ تكرار تلك الأخلاق والأفعال بأدوات النّفي الّتي تؤدّي التّوجيه للمتلقّي، يقول:"وذلك أنّا لم نر ولم نَسمع لأحدٍ قطّ كصبره، ولا كحِلمه، ولا كوفائه، ولا كزهده، ولا كجوده، ولا كنجدته، ولا كصدق لَهجتِه، وكرم عشرته، ولا كتواضعه، ولا كعلمه، ولا كحفظه، ولا كصمته إذا صمَتَ، ولا كقوله إذا قال، ولا كعجيب منشئه، ولا كقلَّة تلوُّنه، ولا كعفوه، ولا كدوام طريقته، وقلَّة امتنانه"[2]، ثمّ إنّ تلك الأخلاق-حسب الجاحظ- لا نَجِدها مجتمِعةً في شخص واحد، بل يُقارنه ببعض النّماذج الأخلاقيّة الّتي تحقَّقت فيها بعض القيم الأخلاقيّة إلاّ أنّها دون أخلاق النّبي قوَّةً

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص280.
[2]-المصدر نفسه، ص280، 281.

وثباتاً ورسوخاً، يقول:"ولم نَجد شجاعاً قطُّ إلاّ وقد جال جولَةً، وفرَّ فرّةً، وانحاز مرّة، من معدودي شجعان الإسلام، ومشهوري الجاهليّة كفلان وفُلان"[1].

فإذا كانت هذه القلَّة من شجعان الإسلام قد عُرف عنها أنّها قد جالَت أو فرَّت أو انحازت مرّةً من المرّات، فهل فعل مثلهم محمّد صلّى الله عليه وسلّم؟!، يُجيبنا الجاحظ:"فلا يستطيع منافقٌ ولا زنديقٌ ولا دُهريٌّ، أن يُحدِّث أنّ محمّداً عليه السّلام جال جولةً قطّ، ولا فرَّ فرَّةً قطّ، ولا خامَ عن غزوة، ولا هابَ حَرْبَ من كاثره"[2].

هذا، وأشار الجاحظ أيضا إلى أخلاق صحابة النّبي محمّد وأفعالهم النّموذجيّة، يقول:"وبَعدُ، فقد نَصَر النّبي صلّى الله عليه وسلّم وهاجَر معه قومٌ، ولم نَرَ كنجدتهم نَجدةً، ولا كصبرهم صبراً، وقد كانت لهم الجولةُ والفَرَّةُ، كما قد بلغَك عن يوم أُحُد، وعن يوم حُنَين، وغير ذلك من الوقائع والأيّام"[3].

لقد أصبحت أخلاق النّبي وأفعالُه مؤسَّسةً اجتماعيَّةً، يَنهَلُ منها أصحابُه وتابعوه.

[1]-رسائل الجاحظ، حجج النّبوّة، ج3، مصدر سابق، ص281.

[2]-المصدر نفسه، ص281.

[3]- نفسه، ص281.

خاتمة

توصَّلنا من خلال بحثنا في مستوييه: النّظريّ والتّطبيقيّ إلى النّتائج الآتية:

▪أنّ نظريّة الحِجاج عُرِفت منذ نشأة الريطوريكا الأرسطيّة، فقد اهتمَّت بأنماط من الحجج وهي: الإيتوس والباتوس واللّوغوس، ويترتَّب عن كلّ نمط جنسٌ خِطابيّ مختلف، وتقابلها على التّوالي: الخطبة المَشُوريّة، الخطبة التّثبيتيّة، والخطبة القضائيّة.

▪اِهتمَّت الريطوريكا الأرسطيّة بقضيّة إنتاج الخطاب الحِجاجيّ وتداوله فيما بين الخطيب والمُخاطَب، فالعمليّة التّخطيبيّة للحِجاج هي سيرورة، تبدأ من الظّفر بالحجج، ثمّ ترتيبها وفق قوّتها الحِجاجيّة، ثمّ تأتي مرحلة الصّياغة اللّغويّة لتلك الحجج المُختارة، فمرحلة الذّاكرة، ويقصد بها أرسطو أن يحفظ الخطيب خطابَه الّذي أعَدَّه لغرض إقناع هيأة المَحكمة، لأنّ إلقاءَه سيكون شفهيّا، وهذه المُشافَهة دعت أرسطو إلى تأكيد مرحلة العمل، وهي المرحلة الأخير من مراحل الحِجاج، وهنا يُشبِّه أرسطو الخطيب المُحاجِج بالممثّل، فكلاهما يستخدم الصّوت والحركات في تمثيليّته لمقطوعة سرديّة، فلا بأس إذن أن يكون الحِجاج موضوعاً للسّرديّات وفنّ التّمثيل وما يُرافقه من دراسات صوتيّة وإيقاعيّة وموسيقيّة وعلم الحركات الجسميّة والمكان والزّمان والشّخصيّات والعقدة والحلّ.

▪اِستأنف الدّارسون الغربيّون خلال العصر الحديث والمعاصر النّظر في السّيرورة الحِجاجيّة، فانقسموا إلى اتّجاهات مختلفة وهي:

أ- منهم مَن أعاد تأسيس نظريّة الحِجاج على درس تقنيّات الحِجاج ضمن لغة الخطاب وأساليبه دون أن يعتبر دور المتلقّي في تلك السَّيرورة، فحصر القصديّة الحِجاجيّة في اقتناع المخاطَب وإذعانه كفعل عقليّ واختيار حرّ، وصاحب هذا التّصوّر التّقنيّ للحِجاج هو: شايم بيرلمان وأولبرخت تيتيكا، وقد يرمي الحِجاج إلى إقناع المخاطَب بأساليب وصور بلاغيّة تستلهم الأَخْيِلة، وبالتالي فالعمليّة الاقناعيّة هي شكل من أشكال المناوَرة والإغراء والاستدراج واستغلال نوازع المخاطَب.

وفي هذا السّياق نُفرِّق بدورنا بين الاقتناع والاقناع؛ فالأوّل سيرورة عقليّة ومنطقيّة ولسانيّة مجرَّدة من كلّ إكراه مقاميّ، وأمّا الثّاني فهو سيرورة نفسيّة وعاطفيّة وذاتيّة، والحِجاج الّذي يتأسّس نصُّه على ما يُحرِّك العاطفة ويُغيِّر وفقها سلوكيّات المتلقّي وقناعاته، فهو حِجاج مُغالِطيّ، وصاحبُه واهمٌ وضحيّتُه متوهِّم.

ب- منهم مَن أسّس نظريّته الحِجاجيّة على لسانيات الخِطاب وتداوليّاته، وهم أصنافٌ متفرِّعة، وهي:

✓ صنفٌ يُدعى التّداوليّات المُدمَجة؛ أسّسها لسانيّان فرنسيّان هما: أوسفالد ديكرو وجون كلود أنسكومبر، فقد انتبها إلى إهمال بيرلمان وتيتيكا لدور المتلقّي في السَّيرورة الحِجاجيّة، فأضافا مكوِّنا بلاغيّا يُعنَى بالوضعيّة التّواصليّة، وأدرجاه إلى جانب المكوِّن اللّساني في تحليل الحِجاج وصناعته، إلاّ أنّهما أكّدا أنّ اللّغة في أصلها ذات طبيعة حِجاجيّة توجيهيّة؛ فدلالة ملفوظ ما ليست معانيه الحرفيّة الواصفة وإنّما ما يوجِّه إليه المتلقّي، وعمل المتكلِّم يكمُن في التّوجيه وليس في التّدليل فحسب، ومن هنا فالحِجاج موضوع للدّرس اللّسانيّ والتّداوليّ.

✓ صِنفٌ آخر طوَّر نموذج التّداوليّات الإنجازيّة، وروّادها الأوائل هما: جون أوستين وتلميذه جون سيرل، ووسَّع اشتغاله لِيمتدَّ إلى النّص مثل: كلاوس برينكر وتيون فان دايك إلاّ أنّنا اِخترنا نموذج أصحاب المدرسة الهولنديّة وهما الثنائي: فان إيميرن وروب غروتندورست، فقد أرسيا في نموذجهما التّحليليّ للحِجاج على دعائم جدليّة وأخرى تداوليّة دون الفصل بينهما، فقد عدّا الحِجاج فعلاً كلاميّاً مركَّباً، وإذا كان ديكرو وأنسكومبر قد دمَجا المكوّن البلاغيّ في المكوّن اللّسانيّ فإن فان إيميرين وغروتندورست يُدمجان المكوّن الجدليّ في المكوّن الإنجازيّ؛ ومن هنا فالحِجاج موضوع للتّداوليّات الجدليّة.

✓ صنفٌ آخر تناول الحِجاج من منظور الإيتوس والباتوس، واهتمّ بما يُعرف لديه بـ"تقديم الذّات" وركّز تحليله على الإشاريّات الشّخصيّة وما تحيل إليه من نماذج ثقافيّة وصور نمطيّة ودورها في رسم صورة وجيهة للذّات المتكلّمة وتسويقها للجمهور المتلقّي عبر الهويّة اللّفظيّة الكامنة في الخطاب، وهذا النّموذج تُمثّله الباحثة "روث أموسي" من خلال كتابيها:"الحِجاج في الخطاب" و"تقديم الذّات: الإيتوس والهويّة اللّفظيّة"، وعليه يكون الحِجاج موضوعاً لـ: أخلاقيّات التّواصل، والإشهار وفن التّسويق.

لقد وفَّرت هذه المعارف والنّظريّات مفاهيمَ ومصطلحات ونماذجَ، تُفيد دارس الحِجاج لوعي أركان الحِجاج الثّلاثة: الإيتوس والباتوس واللُّوغوس، وتفاعلها لأجل سيرورة حِجاجيّة ناجعة.

✓ صِنفٌ آخر نظَر إلى الحِجاج نظرة المنطق الطبيعيّ كما فعل باتريك شارودو وأدلسون تولمين وجاك موشلار، فنجد عند الأوّل نموذج فيه ثلاثة أنماط من القول وهي: قول الانطلاق، وقول العبور ، وقول الوصول، وهذا النّموذج يشبِه نموذج المنطق الأرسطيّ ونقصد به: المقدمة الكبرى والمقدّمة الصّغرى والنّتيجة.

وأمّا الثّاني فنجد في منطقه الحِجاجيّ الأوّلي: المُعطَى والضّامن والنّتيجة، والثّاني: المُعطى والضّامن والاستثناء والنّتيجة، والثّالث: المُعطى والضّامن والأساس والاستثناء والنّتيجة، وأمّا الثالث وهو جاك موشلار، فقد اِهتمَّ بدراسة منطق الرّوابط ودورها في الإخراج النّصي للحِجاج.

والملاحظ على هذا الصِّنف من التّحليلات الحِجاجيّة أنّها تجاهلت دور المتلقّي في بناء الخطاب الحِجاجيّ، وانتهت إلى أنّ المنطقيّات الحِجاجيّة تُضفي طابع العقلانيّة على الحِجاج

مادام له منطق مَعقول يعيه المتلقّي؛ وعليه فالحِجاج موضوع لِمنطق الخِطاب الطّبيعيّ، وله خصوصيّته الّتي تسِم استدلاله وسماً طبيعيّاً يَميزُه من المنطق الصّوريّ وبَرهَناته.

هذا، وحين مزجنا تلك النّماذج والتّصوّرات الّتي قدَّمها دارسو الحِجاج من دراسات حِجاجيّة معاصرة، وركَّبنا منهَجاً متعدِّد النّماذج وأَقدَمنا على تحليل رسائل الجاحظ الثّلاث، اِنتهينا بخصوص آرائه وحِجاجه في رسائله من حيث لغته وأساليبه ومنطقه وإنجازيّته إلى النّتائج الآتية:

• **رسالة في النّابتة:** طبَّقنا على هذه الرّسالة نموذج باتريك شارودو، وكشفنا عن منطق الحِجاج في الرّسالة وانتظامه، ونقرّ هنا بما يلي:

▪ اِختار الجاحظ لموضوعه الحِجاجيّ شكلاً خِطابيّاً ونعني به "الرِّسالة"؛ وهذا شكلٌ يستحضر اهتمام الجاحظ بالعناصر التّكوينيّة للحِجاج وهي: المُرسِل(الجاحظ) والرِّسالة ذات الطابع الحِجاجيّ لأنّها تطرح أخباراً وآراءَ مُشكِلة وليست عادية، والمرسَل إليه وهو أبو الوليد محمّد بن أحمد بن أبي دؤاد.

والرِّسالة الحِجاجيّة عند الجاحظ ترمي إلى القصد التّفاعليّ بتغيّير آراء المخاطَب وقناعاته وسلوكيّاته تجاه ما تطرحه الرِّسالة من قضايا وأخبار مُشكِلة.

▪ يَستنِد حِجاج الجاحظ إلى أسلوبين اِثنين وهما: أسلوبٌ عقلانيّ يكاد يطغى على رسائله، إلى جانب الأسلوب التّأثيري الّذي يخاطب الأَخْيلة، على الرّغم من انحساره في مساحات ضيِّقة جدّاً.

▪ اِلتزم الجاحظ منطقاً حِجاجيّاً نمطيّاً في عرض آرائه أمام مخاطَبه، ومن خلاله إلى جمهور قرّائه، فقد رسم علائقه الحِجاجيّة وفق بنية مجرَّدة هي:

قول الانطلاق ⟵ قول العبور ⟵ قول الوصول

فالجاحظ يقدّم أخباراً أوّلية في قول الانطلاق ثمّ يحتجّ في قول العبور فيعلن عن مقصديّته في قول الوصول، وتتَّخذ تلك العلاقة الحِجاجيّة صورتين متمايزتين في مستوى قول العبور هكذا:

أ-قول الانطلاق (ق1) ← لأنّ ← قول الوصول (ق2)

ب-قول الانطلاق (ق1) ← إذن ← قول الوصول (ق2)

▪ أمّا على مستوى "عقد العلائق الحِجاجيّة" وإخراجها فيتجرَّد وفق هذه السَّيرورة:

خبر ← حكم ← حدث إقناعيّ

فلا يُورِد الجاحظ في رسالته خبراً إلاّ وأصدر حكماً وأتبعه بإنشاء أقوالٍ تُحاجج وترافع للحُكم المقرَّر.

▪ ساعدنا منطق العلاقة الحِجاجيّة وإخراجها على معرفة آراء الجاحظ وقناعاته بشأن ما حصل من فتن واغتيالات في التّاريخ الإسلاميّ، فقد برَّأ عثمان بن عفّان رضي الله عنه وأدان قاتليه وكفَّرهم وأخرجهم من المِلَّة، وبرَّأ علي بن أبي طالب وابنه الحَسن رضي الله عنهما وأدان معاوية وابنه إدانةً بلغت إلى حدّ تكفيرهما وتكفير أهل عصرهما ومَن جذا حَذوَهما.

• **الرّدّ على النّصارى:** اِنتهينا في تحليلنا لهذه الرِّسالة بصياغة السَّلالم الحِجاجيّة الواردة فيها، وتَعرَّفنا إلى نقد الجاحظ لنظرة العوامّ إلى النّصارى وتفضيلهم على اليهود، وفي ردّه على النّصارى قلَب السّلم وبيَّن بالحجج أنّ النّصارى أخطر على الإسلام والمسلمين من اليهود.

• **حُجج النّبوَّة:** تناولنا صدراً من رسالته "حُجج النّبوَّة"، حيث اِحتجَّ لنبوَّة محمّد صلّى الله عليه وسلَّم وأثبت بالحجج نبوّتَه، وأورَد مِن أمر الأخبار ومجيئها وما تحمله من مؤشّرات على نبوَّته، وطبَّقنا عليها النّموذج التّداولي-الجدليّ، وقد ساعدنا على التّعرّف إلى الأقسام الجدليّة للسّيرورة الحِجاجيّة وهي: مرحلة المواجَهة والافتتاح، والمُحاجَجة والاختتام، وتوزيع الأفعال

الكلاميّة عبرها، كما حلّلناها أيضاً من خلال طرائق الفصل والوصل، وعَرفنا تنويع الجاحظ للحجج.

وكأيِّ بحث علميّ وأطروحة جامعيّة لا يخلوان من أخطاء، فإنّنا لا ندّعي الكمال، وحسبنا اِجتهدنا ما استطعنا إلى الاجتهاد سبيلا، والله ولي التّوفيق.

قائمةُ المصادر والمراجع

أوَّلاً- المصادر :

1. -القرآن الكريم برواية وَرش.
2. -أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسالة في النّابتة، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،1964م، ج2.
3. .....، في الرّد على النّصارى، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، 1964م.
4. .....، حجج النّبوّة، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، 1964م.

ثانيّاً- المراجع:

1. أمينة الدّهري، الحِجاج وبناء الخِطاب، في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النّشر والتّوزيع المَدارس، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2011م.
2. باتريك شارودو(Patrick Chareadeau)، الحجاج بين النّظريّة والأسلوب، ترجمة أحمد الوردوني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009م.
3. باتريك شارودو ودومينيك مانغنو(Dominique Maingueneau) (إشراف)، معجم تحليل الخطاب،ترجمة عبد القادر المهيري وحمَّادي صمُّود، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للتّرجمة، تونس، 2008.
4. أبو بكر العزَّاوي، اللّغة والحجاج، دار العمدة في الطبع، الدَّار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.
5. جاك موشلر وآن ريبول(Jacques Moschler et Anne Reboul)، التّداوليّة اليوم، علم جديد في التَّواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، مراجعة عبد اللطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

6. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدّار البيضاء، المغرب، 2014م.

7. جورج يول، التّداوليّة، ترجمة قصي العتّابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م.

8. جون أوستين(John Austin)،كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

9. جون سيرل(John Searle)، العقل واللّغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعيّ،ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006م.

10. حافظ اسماعيلي علوي (إشراف)، الحِجاج والاستدلال الحِجاجيّ، دراسات في البلاغة الجديدة، دار وَرد الأردنيّة للنّشر والتّوزيع، ط1، 2011م.

11. ..... (إعداد وتقديم)، الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة تطبيقيّة في البلاغة العربيّة، ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، ج5، 2010.

12. حسان الباهي، الحوار ومنهجيّة التّفكير النقدي، أفريقيا الشّرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2013م.

13. حسن المودن، بلاغة الخِطاب الإقناعيّ، نحو تصوّر نسقيّ لبلاغة الخِطاب، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط1، 2014م.

14. حمَّادي صمّود (إشراف)، أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، كلّية الآداب، منّوبة، تونس.

15. حمو النقاري(تنسيق)، التّحاجُج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، مجموعة من المؤلّفين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.

16. رولان بارت(Roland Barthes)، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011م.

17. سامية الدّريدي، الحِجاج في الشّعر العربيّ القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثّاني للهِجرة، بنيتُه وأساليبُه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008م.

18. سعيد بنغراد، الصّورة الإشهاريّة، آليّات الإقناع والدّلالة، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009م.

19. صابر الحباشة، التّداوليّة والحِجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدّراسات والنّشر، دمشق، ط1، 2008م.

20. طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

21. عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة، سلسلة علوم اللّسان عند العرب، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، وحدة الرغاية، الجزائر، 2012م.

22. عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نُغيِّر، مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليّات التّواصل والحِجاج، إفريقيا الشّرق، المغرب، 2006م.

23. عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013م.

24. عبد الله صولة، الحِجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2001م.

25. .....، في نظريّة الحِجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنّشر والتّوزيع، تونس، ط1، 2011م.

26. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت.

27. .....، الخطاب الحجاجيّ عند ابن تيميّة، مؤسَّسة الانتشار العربيّ، بيروت، ط1، 2013م.

28. عزالدين المجدوب (إشراف)، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين ، المركز الوطني للتّرجمة، تونس، ط2، 2010م.

29. علي الشبعان، الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل، في نماذج مُمَثَّلة من تفسير سورة البقرة، بحثٌ في الأشكال والاستراتيجيّات، تقديم حمّادي صمّود، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

30. علي محمّد علي سلمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريّات الحِجاج، رسائله نموذجاً، المؤسَّسة العربيّة للنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 2010.

31. عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفيّ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

32. فرانز هانز فان إيمرين و روب غروتندورست(Frans Hans Van Eemeren et Rob Grootendorst)، نظرية نسقيَّة في الحجاج، المقاربة الذّريعيّة-الجدليّة، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2016م.

33. فليب بروطون(Philippe Breton)، الحِجاج في التّواصل، ترجمة محمّد مشبال وعبد الواحد التّهامي العلميّ، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، ط1، 2013م.

34. فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ النّظريّات الحِجاجيّة، ترجمة محمّد صالح ناحي الغامدي، مركز النّشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011م.

35. فيليب بلانشي، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007م.

36. قدّور عمران، البعد التّداوليّ والحجاجيّ في الخطاب القرآنيّ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1،2012م.

37. كاترين كيربرات أوركيوني، فعل القول من الذّاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007م.

38. كريستيان بلانتين، الحجاج، ترجمة عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م.

39. كلاوس برينكر، التّحليل اللّغوي للنّص، مدخل إلى المفاهيم الأساسيّة والمناهج، ترجمة سعيد بحيري، مؤسّسة المختار، القاهرة، ط2، 2010م.

40. محمّد العمري، أسئلة البلاغة في النّظريّة والتّاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، 2013م.

41. محمّد بن سعد الدّكّان، الدّفاع عن الأفكار، تكوين ملَكة الحِجاج والتّناظر الفكريّ، مركز نماء للبحوث والدِّراسات، بيروت، لبنان، ط1، 2014م.

42. محمّد سالم محمّد الأمين الطَّلَبة، الحِجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النّقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2008م.

43. محمد طرّوس، النّظريّة الحجاجيّة، من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللّسانيّة، دار الثّقافة، ط1، 2005.

44. محمّد عبد الباسط عيد، في حِجاج النّص الشِّعريّ، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، 2013م.

45. محمّد مفتاح وأحمد بوحسن (تنسيق) ، المفاهيم وأشكال التّواصل، مجموعة من المؤلّفين، منشورات كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم92، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م.

46. محمّد نظيف، الحوار وخصائص التّفاعل التواصليّ، دراسة تطبيقيّة في اللّسانيّات التّداوليّة، إفريقيا الشّرق، المغرب، 2010م.

47. محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، 2002م.

48. مسعود صحراويّ، التّداوليّة عند العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللّسانيّ، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008.

49. هناء حلاسة، بلاغة الحجّة في خِطاب الخلفاء الرّاشدين، دراسة وصفيّة لنماذج خِطابيّة، مركز الكتاب الأكاديميّ، الأردن، ط1، 2016م.

ثالثاً- المراجع الأجنبيّة:

أ- الكتب:

1. Catherine Kerabrat-Orecchioni, les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Armand Colin, Paris, 2014.

2. Catherine Kerbrat-Orecchioni, l'énonciation de la subjectivité dans le langage, Armon Colin, Paris, 1980.

3. chaim Perelman et Lucie Olbrechts tytica, traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, 6e éditions de l'université de Bruxelles, 1992.

4. Chaim Perlman, L'empire rhétorique, rhétorique et argumentation, librairie philosophie, Paris, 2e, 2012.

5. Gisèle Mathieu-Castellani, la rhétorique des passion, Presses universitaires de France, 1e, 2000.

6. Jacques Moeschler, Modélisation du dialogue, représentation de l'inférence argumentative, , Editions Hermès, Paris, 1989.

7. Jacques Moeschler, Pragmatique du discours, de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours, Armon Colin, Paris, 2005.

8. Jean Claude Anscombre et Oswald Ducrot, l'argumentation dans la langue, 3e, Pierre Mardaga éditeur, 1997, France.

9. Lionel Bellenger, l'argumentation, des téchnique pour convaincre, connaissance du problème, ESF, Paris, 5e, 1996.

10. Lionel Bellenger, les technique d'argumentation les plus sures, convaincre avec clairvoyance, , ESF, 2012, France.

11. Oswald Ducrot, les échèlles argumentatives, les éditions de Minuit, France, 1980.

12. Oswald Ducrot, les mots du discours, les éditions de Minuit, France.

13. Renaud Gazalbou, de la citation à l'autorité: liberté et contrainte dans le discours argumentatif, dans: voix et marqueurs du discours: des connecteurs à l'argument d'autorité, sous la direction de Jean-Claude Anscombre, Amalia Rodriguez Somolinos et Sonia Gomez-

Jordana Ferary, ENS(école normale supérieure de Lion) éditions, France, 2012.

14. Ruth Amossy et Anne Herschberg Pierrot, stéréotypes et clichés, langue, discours, société, , Armond Colin, 2014, Paris.

15. Ruth Amossy, l'argumentation dans le discours, Armon Colin, Paris, 2012.

16. Ruth amossy, la présentation de soi, éthos et identité verbale, presses universitaires de France, 1e edition, 2010.

ب- المجلاّت:

1. Christian Plantin, le trilogue argumentatif, présentation de modèle, analyse de cas, langue française, argumentation en dialogue, sous la direction de Claudine Garcia Debanc, larousse, décembre1996, n0112.

2. Elisabeth Nonnon, Activités argumentatives et élaboration de connaissances nouvelles: le dialogue comme espace d'exploration, langue française, l'argumentation en dialogue, sous la direction de Claudine Garcia-Debanc, n0112, décembre1996.

3. Gwenole Fortin, une dérive néo-sophistique, les pratiques argumentatives dans les débats politiques télévisés, communication et

langages, dialogues politiques: images et miroirs, éditions de Armon Colin, n^{0}148, Juin2006.

4. Jean Claud Ansombre, même le roi de France est sage, revue de communication, N^{0}20, 1973.

5. Jean-Claude Ancombre et Oswald Ducrot, L'argumentation dans la langue, langages, Juin1976, argumentation et discours scientifique, sous la direction de Laurent Danon-Boileau,n^{0}42, Larousse.

6. Jean-Michel Adam et Sylvie Durrer, Les avatars rhétoriques d'une forme textuelle: le cas de la discription, langue française, rhétorique et littérature, sous la direction de Michel Meyer, larousse, Septembre1988, n^{0}79.

7. Jean-Michel Adam, l'argumentation dans le dialogue, langue française, l'argumentation en dialogue, décembre1996, n^{0}112, Larousse.

8. Marion Carel, L'argumentation dans le discours, argumenter n'est pas justifier, langage et société, 1994.

9. Ruth Amossy, De la sociocritique à l'argumentation dans le discours, littérature, analyse du discours et sociocritique, présentation: Ruth Amossy, Larousse, décembre 2005, n^{0}140.

فهرسُ الموضوعات

مقدّمة:.....أ-ي.

مدخل: واقعُ الدِّراسات الحِجاجيَّة المعاصِرة.....11

تمهيد.....12

أوَّلاً- المقارَبات البلاغيّة لتحليل الحِجاج.....12

1- البلاغة الأرسطيَّة كفعل حجاجيّ.....12

2- مراحلُ اِنتاج الخطاب الحجاجيّ(الحدَث الحجاجيّ واشتغال الحِجاج).....14

3- البلاغة الجديدة(إعادة التَّأسيس في الخمسينيَّات).....15

ثانيّاً- المقارَبات المنطقيَّة لتحليل الحِجاج.....18

1- نقد الحجاج المُغالِطيّ والمنطق غير الشَّكليّ.....18

2- منطق اللُّغة الطَّبيعيّ(جون بليز غريز).....19

ثالثاً- المقارَبات التَّداوليَّة لتحليل الحِجاج.....20

1- التَّداوليَّات المُدمَجة في اللِّسان.....21

2- الحِجاج الخطابيّ وتحليل المحادَثة.....25

3- التَّداوليَّات الاجتماعيَّة والفلسفيَّة للفعل التَّواصليّ.....29

4- المنطق التَّداوليّ(جورج فينيو).....29

أ-محور السَّتراتيجيَّات الخِطابيَّة المجرَّدة.....30

ب-محور شروط استخدامها.....31

رابعاً- التَّحليل الحجاجيّ للخِطاب(منهجُه وموضوعاتُه).....31

1- المقارَبة اللّغويّة.....31

2- المقارَبة التّواصليَّة.....31

3- المقارَبة التّحاوريَّة.....32
4- المقارَبة الأنواعيَّة.....32
5- مقارَبةُ الصُّور البلاغيَّة.....32
6- المقارَبة النَّصيَّة.....33
خامساً- حدودُ المدوَّنة المختارة.....33
الفصلُ الأول : الحِجاج ومنطِقُه.....35
تمهيد.....36
أوَّلاً- الحجاج عند فليب برُطُون.....36
ثانيّاً- الحجاج عند ستيفن تولمين.....38
ثالثاً- الحجاج والمساءلة عند ميشال ميار.....42
رابعاً- الحجاج عند كرستيان بلانتين.....43
1- الحجاج وثنائية اللّغة والفكر.....43
2- الحجاج وثنائيَّة اللِّسان والخِطاب.....43
3- الحجاج وثنائيَّة الحوار والتَّحاور.....44
4- دراسة الحجاج غير معياريَّة/ معياريّة.....45
5- الحجاج إجماع/ اختلاق.....45
خامساً- الحجاج عند جاك موشلار وآن ريبول.....46
أ- الحجاج بالمعنى العادي.....46
ب- الحجاج بالمعنى الفنيّ.....46
سادساً- الحجاج عند باتريك شارودو.....47

أ- بحث عقلانيّ.....48
ب- بحث تأثيريّ.....48
- **انتظام المنطق الحجاجيّ(نموذج باتريك شارودو).....49**

1-مكوِّنات المنطق الحجاجيّ.....49
- **العناصر الأساسيَّة للعلاقة الحجاجيَّة.....49**

أ- قول الانطلاق.....50
ب- قول الوصول.....50
جـ- قول العبور.....50

2-مكونات الانجاز الحجاجيّ.....51

أ- الجهاز الحجاجيّ.....52
- ✓ الخبر.....53
- ✓ الحكم.....54
- ✓ الاقناع.....55

ب- نماذج التَّشكُّل.....56
- ✓ مقام التَّبادل.....56
  - ○مقام التبادل الأحادي(الحواريّ).....56
  - ○مقام التَّبادل التَّحاوريّ(الثُّنائيّ والمُتعدِّد).....57

جـ- عقد الكلام.....57
- ✓ مواقف الفاعل.....57
  - ○موقفه من الخبر.....57
  - ○موقفه من باث الخبر.....57

سابعاً- الإطار التَّطبيقيّ: تحليلُ منطق الحِجاج لرسالة "في النَّابِتة" للجاحظ.....60

الفصل الثَّاني: السَّلالم الحِجاجيَّة والظَّواهر الدَّرجيَّة.....104

تمهيد.....105

أوَّلاً- الأسوار.....107

ثانيّاً- القيمة الإبلاغيَّة والقيمة الحِجاجيَّة للملفوظات.....111

✓ الرَّابط لأنَّ puisque.....111
✓ الرَّابط لكن mais.....112
✓ الرَّابط حتىّ، بل même.....112

ثالثاً- السَّلالم الحِجاجيّة.....114

1- القسم الحجاجيّ أوالفئة الحجاجيَّة.....115
2- القوة الحجاجيَّة.....116
3- الوجهة الحجاجيَّة.....116
4- السّلم الحجاجيّ.....118
✓ الحجج المُضمَرة.....122
✓ النتيجة المُضمَرة.....123
✓ **ق حتىَّ ق1 p1 même p**.....124
✓ العامل الحجاجيّ "تقريبا" presque.....126
✓ الصِّفات adjectives.....126

د- قوانين السُّلم الحجاجيّ.....127

1- قانون النَّفي.....127
2- قانون القلب الحجاجيّ.....128
3- قانون الخفض.....131

هـ- توسيع مفهوم السّلم الحجاجيّ.....134

رابعاً- الإطار التّطبيقيّ: تحليلُ السَّلالِم الحِجاجيّة في رسالة " الرّدّ على النَّصارَى" للجاحظ.....136

الفصل الثَّالث: الأفعال الكلاميَّة.....176

تمهيد.....177

أوَّلاً- مفهوم الفعل الكلاميّ وإجراءاتُ النَّمْذَجة.....178

ثانيّاً- طبقات الفعل الكلاميّ.....180

1- الفعل القوليّ التعبيريّ أو القَضَويّ.....180
2- الفعل الإنجازيّ الغرضيّ أو المتضمَّن في القول.....180
3- الفعل التأثيريّ.....180

ثالثاً- تصنيف أفعال الكلام عند جون أوستين.....181

1- الحكميَّات أو الاقراريَّات verdictives.....181
2- الممارسات التَّشريعيَّة exerictives.....181
3- الالتزاميَّات أو الوعديَّات commissives.....182
4- الأوضاع السلوكية أو السلوكيات behabitives 182
5- المعروضات الموصوفة أو التبيِّينات expositives 182

رابعاً- صُنافة أفعال الكلام عند سيرل.....182

1- شروط توفيق الفعل اللغويّ.....183
2- القواعد المعيارية والقواعد الدلالية والمواضعات.....184

خامساً- بديل سيرل عن صُنافة "أوستين".....185

1- التمثيليات أو الاثباتات représentatives.....185
2- التَّوجيهيَّات directives.....186
3- الوعديَّات أو الالتزاميَّات commissives.....186
4- التَّعبيريَّات expressives.....187
5- الايقاعيَّات أو التَّصريحيّات déclaratives.....187

سادساً- المحاج فعل كلاميّ نصيّ.....188

أ- مؤشراتُ وظيفة النَّص.....190
ب- صُنافة "كلاوس برينكر" للوظائف النَّصيَّة.....191
1- الابلاغيَّات.....191
2- الاستثاريَّات.....192
3- الالتزاميَّات.....193
4- وظيفة الاتِّصال.....193
5- الإعلانيَّات.....193

سابعاً- المحاج فعل لغويّ مركَّب.....194

✓ الأثرُ التَّواصليّ.....194
✓ الأثرُ التَّفاعليّ.....195

أ- الفروق بين الأفعال الكلاميَّة البسيطة والمُركَّبة.....196

ب- شروط التَّحديد (الهويّة) والتّصحيح (السَّلامة).....198

جـ- الخطوات التَّداوليَّة في سيرورة الحل.....200

1- الأفعال الكلاميَّة الإقراريَّة (الإقراريَّات assertives).....200
✓ نموذجُها النَّمطيّ.....201

- ✓ قَصْدِيَّتُها.....201

2- الأفعال الكلاميَّة التَّوجيهيَّة (التَّوجيَّهات directives).....201

- ✓ نموذجها النَّمطيّ.....201
- ✓ قصديَّتها.....201

3- الأفعال الكلاميَّة التَّعهديَّة (التَّعهديَّات commissives).....202

- ✓ نموذجُها النَّمطيّ.....202
- ✓ قصديّتها.....202

4- الأفعال الكلامية التَّعبيريَّة(التَّعبيريَّات expressives).....202

- ✓ نموذجُها النَّمطيّ.....203
- ✓ قصديَّتها.....203

5- الأفعال الكلاميَّة التَّصريحيَّة(التَّصريحيّات déclaratives).....203

- ✓ نموذجُها النَّمطيّ.....203
- ✓ قصديَّتها.....203

ثامناً- جدول الخطوات الجدليَّة والتداوليَّة لحل الخلاف في نقاش نقديّ.....204

1-النَّموذج التَّداوليّ الجدليّ(pragma-dialectique).....205

2-النَّموذج التّداوليّ الجدليّ للِحجاج عند روب غروتندورست و فرانز هانز فان ايمرين.....207

3-نموذج النِّقاش النَّقديّ(الحجاجيّ).....209

4-مبادئ ميتا-نظريّة للمقارَبة الذَّريعيَّة-الجدليَّة.....212

أ- التَّوظيف functionalizing.....212

ب-الإخراج externalizing.....212

جـ- إضفاء البعد الاجتماعيّ socializing.....213

د- التَّجديل dialectifing.....213

5- المراحل الجدليَّة في سيرورة حلّ الخلاف في الرّأي.....214
أ- مرحلة المواجهة confirmation.....215
ب- مرحلة الإفتتاح ouverture.....216
جـ- مرحلة المحاجة argumentative.....216
د- مرحلة الاختتام conclusion.....216
تاسعاً- الإطار التَّطبيقيّ: تحليل تداوليّ-جدلي لـ"حجج النَّبوَّة" للجاحظ.....218
الفصل الرَّابع: منطلَقات المِحاج وتِقنيّاتُه.....264
تمهيد.....263
أوَّلاً- منطلقاتُ المحاج.....263
أ- مقدمات المحاج.....264
1- الوقائع faits.....264
2- الحقائق vérités.....264
3- الافتراضات les présomptions.....265
4- القيم les valeurs.....265
5- الهرميَّات les hiérarchies.....266
6- المواضع les lieux topos.....266
ب- انتقاءُ المعطيات والمقدِّمات:.....268
جـ- عرض المقدِّمات وشكل الخطاب.....269
ثانيّاً- التِّقنيات المحاجيَّة.....271
أ- طريقة الوصل أو الاتِّصال (procédés de liaison).....271
✓ المحج شبه المنطقية.....272

1- التناقض وعدم الاتِّفاق (l'incompatibilité).....272
2- التماثل والحد في الحجاج.....273
3- العلاقة التبادليَّة وقاعدة العدل.....274
4- حجج التَّعْدِية.....275
✓ الحجج شبه المنطقيَّة القائمة على العلاقات الرياضيَّة.....276
1- إدماجُ الجزء في الكلّ.....276
2- تقسيم الكلّ إلى أجزائه.....276
✓ الحجج المؤسَّسة على بِنية الواقع.....277
أ- وجوه الاتِّصال التَّتابعيّ.....277
1- حجج الوصل السَّببيّ.....277
2- حجَّة التَّبذير.....278
3- حجَّة الاتِّجاه وحجَّة العدوى.....279
ب- وجوه الاتِّصال التَّواجديّ.....279
1- الشَّخص وأعمالُه.....279
2- حجَّة السُّلطة.....280
3- الاتِّصال الرَّمزيّ.....281
✓ الاتِّصال المؤسِّس لبِنية الواقع.....281
1- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة.....281
2- النَّموذج والنَّموذج المضادّ (عكس النموذج) le modèle et l'anti-modèle.....282
3- التَّمثيل l'analogie.....282
ب- الطَّرائق الانفصاليَّة في الحجاج (الفصل بين المفاهيم).....284
ثالثاً- مفهوم الذَّاتيَّة subjectivité.....286

1- ذاتُ الخطاب (sujets du discours) والذَّاتيَّة الخطابيّة (subjectivité discursives).....290

2- أنماطُ الذَّوات (type du sujet).....290

3- الإيتوس والهويَّة اللَّفظيَّة.....291

رابعاً- الإطار التَّطبيقيّ: تحليل منطلقاتِ المحاج وتِقنيَّاتِه في " حجج النُّبوَّة" للجاحظ.....295

خاتمة.....318

قائمة المصادر والمراجع.....325

فهرسُ الموضوعات.....335

ملخصُ الأطروحة.....346

ملخَّصُ الأُطروحة

❖ **مُلخَّص الأطروحة:**

أ- بالعربيّة:

عالَجنا في أطروحتنا هذه موضوعَ الحِجاج كنظريّة وممارَسة، وإذ ركَّزنا اهتمامَنا على وعي الآليات الحِجاجيّة سواءٌ أكانت بلاغيّة أم لسانيّة أم منطقيّة أم تداوليّة أم جدليّة، فإنّنا لم نشتغل في تاريخ النّظريّة الحِجاجيّة وتطوُّراتها، وإنّما كان مدارُ اهتمامنا حول النّماذج والمقاربات الّتي قدَّمها أصحابُها إلى حدّ الآن لتحليل الوظيفة الحِجاجيّة في الخِطاب.

وعرَضنا تلك النَّماذج والمقاربات وأفدنا منها لدراسة آليّات الحِجاج في ثلاث رسائل مختارَة من بين رسائل الجاحظ المعتزليّ، وفق الخطة الآتية:

-**المدخل:** عرَّفنا بواقع الدِّراسات الحِجاجيّة المعاصرة وأصالَتها عند اللِّسانيّين المعاصرين وبتوجُّهاتهم: البلاغيّة والمنطقيّة ، اللِّسانيّة والتّداوليّة.

-**الفصل الأوَّل:** عرَضنا فيه منطِق الحِجاج ومفهومه عند: فيليب بروتون، ميشال ميار، جاك موشلار وأن ريبول، ستيفن تولمين، كريستيان بلانتين وباتريك شارودو، وحلَّلنا منطق التَّحْجية في "رسالة النّابتة" للجاحظ.

-**الفصل الثّاني:** تناولنا نموذَج السّلالِم الحِجاجيّة في اللّغة والخِطاب، وطبَّقناه على رسالة "الرّد على النّصارى" للجاحظ.

-**الفصل الثّالث:** درَسنا الأفعال الكلاميّة ودورَها الحِجاجيّ والتَّفاعليّ، وحلَّلنا رسالة "حُجج النُّبوَّة" للجاحظ من منظور النّموذج الّذي اقترحه الهولنديّان: فان إيميرن وروب غروتندورست.

-**الفصل الرّابع:** وفيه عَزَّزنا الفصول السَّابقة عليه بنموذج منُطلَقات الحِجاج وتقنيّاته، وهو الّذي اقترحه شاييم بيرلمان وأولبرخت تيتيكا، إلاّ أنّنا أضفنا إليه تقنيّات التّذويت في الخِطاب الّتي قدَّمتها الباحثة "روث أموسي"، واستخرجناها من رسالة "حجج النّبوَّة" للجاحظ.

وفي نهاية الأطروحة جمعنا ما تيسَّر جمعه من النّتائج في الخاتمة.

ب-بالفرنسيّة:

Dans cette thèse, nous avons traité le sujet de l'argumentation en tant que théorie et pratique, en mettant l'accent sur la prise de conscience des mécanismes de l'argumentation, qu'ils soient: rhétoriques, linguistiques, logiques, pragmatiques, dialectiques, nous n'avons pas travaillé dans l'histoire de la théorie de l'argumentation.

Mais a été le centre de notre attention sur les modèles et les approches présentés par propriétaires jusqu'à présent pour analyser la fonction argumentative dans le discours.

Nous avons présenté ces modèles et approches et en avons profité pour étudier les mécanismes de l'argumentation dans trois lettre des lettres de Al-djahiz Al-mu'tazili selon le plan suivant:

***Préface:** nous avons défini la réalité des études de l'argumentation contemporaines et leur originalité chez les linguistes modernes et leurs attitudes: rhétoriques, logiques, linguistiques, et pragmatiques.*

***Chapitre 1^0:** dans lequel nous avons présenté la logique de l'argumentation et son concept chez: Philippe Breton, Michel Meyer, Jasques Moeschler et Anne Reboul, Stephen Toulmin, Christian Plantin, Patrick Chareadeau, et analysé la logique de l'argumentation dans la lettre "Al-nabita" d'Al-djahiz.*

***Chapitre 2^0:** dans lequel nous avons traité le modèle des échèlles argumentatives dans la langue et discours et l'appliqué à la lettre "Al-rade ala Al-nassara"(la réponse aux chrétiens)d'Al-djahiz.*

Chapitre 3^{0}: *nous avons étudié les actes verbaux et leur rôle argumentatif et interactif et analysé la lettre des "arguments de la prophétie" d'Al-djahiz, du point de vue du modèle proposé par Néerlandais: Van Eemeren et Rob Grotendoorst.*

Chapitre 4^{0}: *et nous y avons soutenu les chapitres précédentes par un modèle des démarches de l'argumentation et ses techniques, lequel présenté par Chaim Perlman et Olbreschts Tityca, mais nous y avons ajouté les techniques de subjectivisations dans le discours, lesquelles présentées par la chercheuse "Ruth Amossy", et nous les avons extraits da la lettre des "arguments de la prophétie" d'Al-djahiz.*

A la fin de la thèse, nous avons collecté les résultats disponibles dans la conclusion.